

روايات امالان

# شفاء الأحنان

چون شتایمیک



# روايات الهلال

Rewayat Al - Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

العدد ٣٥٦ - أغسطس ١٩٧٨ - رمضان ١٣٩٨  
No. 356 - August 1978

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد  
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبوالمجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس  
سكرتير التحرير : موسى عبيد

## بيانات ادارية

لمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ ملياً ، عن الكميات المرسلة بالطائرة -  
في سوريا ولبنان ٢٠٠ قرشاً ، في الاردن ٢٠٠ فلساً ، في العراق ٣٠٠ فلساً - في  
الكويت ٣٠٠ فلساً - في السعودية ٣٥٠ ريال سعودي  
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عدداً في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد  
العربى والاfricanى ١٥٠ قرشاً صاغاً - في سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أمريكية أو ٢٥٠ جك  
والقيصة تسدد مقدماً لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان  
بحوالة بريدية . وفى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية .  
والاسمار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل  
على الاسمار الموضحة عند الطلب .

اللائحة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بالقاهرة  
لليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »





# شِئَاءُ الأَحْزَانِ



جون شتاينباک



محمد مسعود



دارالہلال



## مقدمة

ازجى الينا الكاتب الأمريكى الأشهر « جون شتاينيك » فى هذه الرواية قصة فياضة بالقوة حافلة بالحياة والمرح والحب ، تصور فى واقعية اخاذة مقترنة بالتحليل الدقيق أنماط حياة شخصياتها الفريدة وصراعاتها فى تلك البلدة الصغيرة بأقليم نيوانجلند الأمريكى، وخاصة « ايثان » بطل القصة الذى يستهويه صراع الحياة العنيف ومغريباتها التى تصصف بالنفوس وتخلخل القيم ، و « ماروللو » الإيطالى رب المال المحنك الذى يعمل « ايثان » أجرا عنده وتلقى فى مدرسته أسرار المهنة وأصولها ، و « مارجى » المرأة المغرية العابثة التى لا تكل من نصب شركاها حول الرجال ولاسيما « ايثان » مستعينة فى ذلك حتى بالسحر وقراءة الطالع - وكيف يبدأ « ايثان » حياته مجدا كادحا مؤمنا بالفضائل ، فإذا لاح له بوادر النجاح ضعف أمام اغراءاتها القوية متأثرا فى هذا بحياته الكادحة وظروفه العائلية العانية وبيئته الانتهازية المتنافسة حتى يكاد يتخلى عن استقامته ومثله الطيبة ليجد طريقه فى النهاية وقد تفجرت فيه الآفام وانطمست العالم وأبهمت السبيل ، حتى اذا ضاقت الدنيا فى وجهه سعى الى التخلص من حياته لولا بصيص ضياء لاح له لكى يعدل عن عزمه ويرتد الى الجادة .

يبد أن هذا الجمل لاينبغى أن يحجب عن النظر تلك الملابس الدقيقة التى اقترنت بأحداث الرواية والتى توخاها المؤلف وهو يعرض لنا تسلسل الأحداث وتشابك الوقائع لكى يجعل منها مادة فكرية تتجاوز نطاقها المحلى المحدود الى الدائرة الإنسانية الأوسع التى تتشابه فيها نحايز الناس وغرائز البشر وتضطرب على مسرحها شتى النوازع من خير وشر ومن فضائل ووزائل ومن مثل عليا تستشرفها القلة المختارة ومطامع مادية تتعلق بأذيالها السواد الأكبر، بحيث اذا تعمقت القصة ونفذت الى مراميها لم تجلك تقرا سياقا قصصيا ممتعا وحسب ، وانما ألفتك تستشعر أحاسيس مشتركة تكاد تتفاعل فى كل بيئة مجردة عن المكان والزمان ، وتجاوبا فكريا

نايما من الانتماء الى البشرية في عمومها . وربما كان من الخير ان نعرض لهذا بشيء من التعقيب دون مساس بالسياق القصصي او الدخول في صميم الاحداث حتى لا تفوت القارئ متعة الجدة وطلاوة المتابعة .

ولعل اول ما يعرض لنا من هذا هو قضية العلم والعامل وصلاتها الوثيقة بعمرك الحياة . فقد نبغ « ايثنان » بطل القصة في العلوم الانسانية التي صقلت فكره وشجلت مواهبه وانارت بصيرته فلم يعد مجرد الانسان المادى الذى يساق في خضم الحياة دون ارادة ولا وعى او تدبير ، وانما هو يتناول بالتفكير والتحليل والتأمل كثيرا مما يعرض له في حياته - احدانا واناسا - على نحو يفتح امام القارئ منافذ عديدة يتأدى منها الى اطوار النفس البشرية وادق خلجاتها وخوافيها ، الى حد انه يتخذ لنفسه ملاذا بين شعاب الكهوف البحرية يخلو فيه الى نفسه كلما حزن به الامور واعيته سبل التصرف لكي يجد في هدايته من الصفاء النفسى والاشراق الفكرى ما يبدد الظلمات ويهديه الى وجوه السداد - ذلك وهو مجرد بائع في محل بقالة لاينال من الاجر ما يمسك عليه حياته وحياة أسرته . الا ترى ان اختيار المؤلف لشخصية هذه سماتها انما هو اختيار بارع ان كان يترجم عن تصبوبر لاتمط العيش السائدة في المجتمع الأمريكى ومايمثله من المجتمعات الغربية الأخرى من حيث اعتبار العلم والتعليم لا مجرد سلاح يتوسل به الانسان لشق طريقه في مفاوز الحياة وانما هو منفذ الى غاية اسمى وهى صقل هذه الحياة المادية بما يسبغ عليها الطابع الجمالى بكل عناصره الفكرية والنفسية والروحية والمعنوية حتى تصبح الحياة في النهاية اسمى من مجرد تحصيل « لقمة العيش » واحفل بالتذوق والمتاع؟ ثم الا يسوقنا هذا الاختيار الى مقارنة محتومة - مجرد مقارنة - بين مايتوخاه شباننا من التعليم - ولا تقول العلم - من مجرد التلقين والتحصيل لنيل الاجازة الجامعية والفوز بسداها بالوظيفة العامة كمحط ينتهى عنده كل هدف ويجمد او يتعدم بعده كل سعى للتزود من العلم بما يحفظ على الفرد كيانه الانسانى وذابته المتميزة في مجتمع نابض بالحياة الفكرية في كل مجال ؟ للقارئ ان يضيف الى هذا ما يشاء ، وان يخلص في النهاية الى ان اتبعنا شباننا الى هذه الوجهة التعليمية العلمية بكل او بعض مقوماتها كقيل بتغيير حياتنا الفكرية الرتيبة والتخفيف من اوجه القصور والتعثر والحيرة



التي يعاني منها شبابنا ومجتمعنا والارتفاع بها الى مستويات ودرى خليق أن يبلغها شبابنا وهو على ذلك قدير وله أهل اذا وعى وتدبر وصمم .

وقضية ثانية نستشفها من احداث الرواية هي قضية الفقر والغنى وصلتها بالحياة التي يحيها الناس . كان « ايثان » يظن القصة سليل أسرة ذات حسب ونسب ، فلما ذهب عنها الجاه والمال واتجه الشاب الى العمل والكسب اكتسب القوت مستمكاً في ذلك بأسباب الاستقامة اذا كل من حوله يعيرونه بفقره : زوجة ثقيل عليه بمطالب البيت والاولاد وتهيب به الى الاستزادة من المال لكي يكفل لهم رغد العيش ويدفع عنهم المذلة بين الناس ، ومجتمع متكالب على المال يسعى الى اقتنائه بكل الوسائل مشروعها وغير المشروع ، واغراءات تفرض له وتلح عليه ليقتنص بدوره ما يستطيع حتى لو توسل الى هذا بقبول الرشوة والسطو على المال . فماذا يكون مسلكه بين هذه المحاذير التي يابى عليه طبعه الوقوع في مزالقها وينأى به فكره التدبر دائماً عن التردى في مهاوئها ؟ انه رغم ذلك يريد المال والغنى - لا للدائمتها - ولكن لكي يحقق لاسرته ما تطمح فيه ولكي يتساوى مع الأنداد والجيران . وهو يسلك الى هذا سببلا متعددة حرص في بعضها على الاستمسك بنواميس الاستقامة وجرفه التيار في بعضها الآخر الى التفكير الاثم لالتماس المال غصبا ، لولا أن تداركته المقادير وعصمته من التورط القملي في الاثم وهيأت له من المال والجاه ما هو حقيق أن يبدل حياته .

وقضية ثالثة يطرحها « جون شتاينيك » من خلال هذا العرض القصصي الشائق ، هي قضية الأبناء وتنشئتهم مزودين بالعلم والخلق . فنرى ابن « ايثان » الصبي اليافع يكاد ينصرف عن التفرغ للتعليم متجلاً للشهرة والمال عن طريق المسابقات التليفزيونية التي تتنافس الشركات الاذاعية في تقديمها ، وقد أدى به الجنوح في هذا المسلك الى افتعال نجاح فرحت به الأسرة اول الأمر ، وعندما تجلى زيفه كان مخيباً لآمال الأب مقوضاً لكل هذه القيم التي كان يسعى الى غرسها في نفس ولده ، حتى لقد كانت هذه الصلعة اشد العوامل التي دفعت به الى التفكير في وضع حد لوجوده كله لولا ذلك الضياء النفسي الذي يلوح له في اللحظة الأخيرة لكي يرد عليه ايمانه وينفض عنه عوادي الخذلان والياس .

وقضية رابعة ساقها المؤلف هي قضية الأتلاق الى الخطيئة بتأثير المغريات النسوية التي ظلت تحاصره بها تلك المرأة العاشبة اللعوب رغم اصطناعها الصداقة لزوجته . فهل يستطيع حبه لزوجته ووفائه لابنائه أن ينأى به عن الاستسلام للقوابة ويعصمه من الزلل ؟ للقارىء أن يستخلص النتيجة من ثنايا المحاولات والمحاويرات التي تشر الفضول طوال السياق الروائي الحافل .

لكن ثمة قضيتين أخريين أجل شأننا وأقرب الى العموم والشمول أن يكن « جون شتاينيك » قد عرض لهما في أجاز فان لهما من الخطر ما يضمهما في قمة القضايا المالية الكبرى . احدهما هي قضية الحرب والسلام وصلتهما الوثيقة بأسلحة الدمار النووي الذي يهدد البشرية كلها بالفناء ما لم يتغير أسلوب معالجة القضية تفسيرا جليا له فيه رأى طريف ان يكن اقرب الى الغيبيات فانه قمين ان يمسك على البشرية سلاحها وامنها ويدرا عنها مهالك الدمار والفناء . وثانيتهما هي قضية الفساد السياسي الذي تعاني منه مجتمعات دولية كثيرة ولكنها اكثر استهراء في المجتمع الأمريكي . ولعل أخطر ما في هذه القضية هو اتخاذها سلاحا ماضيا في معارك المنافسات الانتخابية لا بهدف الاصلاح ولكن لاغراض القضاء على الخصوم والتخلص من المنافسين . ولعل ما تقرأه من هذا في تقلبات المعارك السياسية الأمريكية هو تأكيد لما أزعجنا المؤلف من أخطار هذه القضية على الحياة السياسية وتحذير من الانسياق في تيارها الجارف الذي اضحى في المهود الأخيرة يهدد بتقويض استقرار مجتمع السياسة الأمريكية وغيره من المجتمعات للماتلة ، وهي قضية ذات ارتباط ملحوظ بالاستقرار والأمن الماليين . وبعد ، فلا ينبغي أن نقول ان هذه القضايا وامثالها قد ساقها المؤلف عامدا وأبرزها ماهرة وذات كيانات مستقلة عن القصة ذاتها ، ولكنها البراعة القصصية التي تخرج القصة القوية والأحداث الروائية المحبوكة باللمحات الفكرية الثاقبة التي نستخلص مراميها من خلال السياق والتي يبرع فيها اساطين القصة العالميين من أمثال « جون شتاينيك » . وفي هذا ما يسلك القصة بين شوامخ الآداب انغالية ويجعل الوقت الذي ينفق في قراءتها مضيئا من الزاد الفكري والامتع الأدبي يضيفه القارىء الى رصيده اللذخر .

محمد مسعود

## الجزء الأول

### الفصل الأول

ما أن اهلت بواكر هذا الصباح المشرق من شهر ابريل حتى استيقظت ماري هاولي ثم انثنت الى ناحية زوجها ، ولما رآته بهم بمعايشتها بادرتة قائلة :

— ألا تكف عن هذا الهذر يا ايثان ؟ ام ان العاكسة اصبحت متأصلة في طبعك ؟

— قولي يا حبيبة الروح ، هل تقبليني زوجا ؟

— هل استيقظت فعلا ، ام انك لازلت مخدر الحواس ؟

— ان السنة كلها قد اجتمعت في هذا اليوم ، واليوم كله قد

اجتمع في هذا الصباح البدع .

— اذن فقد استيقظت فعلا . هل تتذكر ان هذا يوم الجمعة

الحرينة ، وعيد الفصح على الابواب ؟ وهل سيدعك ماروللو تغلق

محل البقالة في الساعة الحادية عشرة صباحا ؟

— ان ماروللو يا مهجتي رجل لا يتقيد بأى عرف ، والأرجح

انه لن يظهر طول النهار . سوف أغلق المحل عند الظهر الى أن

تنتهى مراسم القدسة .

— يخيل الى انك لا تتكلم عنها بالاحترام الواجب ، وهذا شيء

غير لطيف .

— هذا الأسلوب ورثته عن امي ، وهو أسلوب القراصنة في الكلام .

— انهم لم يكونوا قراصنة . انت نفسك قلت هذا — كانوا

صيادي حيتان ، وكانوا معتمدين من الكونجرس في ذلك العهد .

— ان السفن الانجليزية التي كانوا يطلقون عليها النيران كانت

تعدهم قراصنة .

— هذا خلط في الكلام يا ايثان . ان كل الظروف تدعوك الى

الفخر بنسبك . فاسرتك كان فيها المهاجرون الأوائل الذين استوطنوا

اقليم نيوانجلند هذا ، وكان منهم ربانة سفن صيد الحيتان .

واجتماع هذا في اسرة واحدة يدعو الى الفخر حقا .  
- وهل اجدادى العظام يمكن ان يشعروا بالفخر اذا عرفوا انهم  
انجبوا بانما لعيننا في محل بقالة لعين في بلده كانوا من اكابرها ،  
- انت لست هكذا . انت اقرب الى مدير للمحسل ، فانك  
تمسك الحسابات، وتورد النقود للبنك، وتباشر طلب السلع للمحل .  
- صحيح . وانا ايضا اكنس المحل واناقل القمامة واداهن  
ماروللو ، ولو كنت قطة لاأكلت ايضا فئران ماروللو .  
فطوقته ماري بدراعيها قائلة :

- دع عنك هذا الكلام السخيف ، ارجوك الا تذكر هذا  
التذلف ونحن في يوم « الجمعة الحزينة » ، اننى احبك . وكلامك  
انسانى ان اكلتك من « الأولاد » .

- هل دخلوا السجن ؟  
- اراك عدت الى السخف من جديد . ربما كان الافضل ان  
يخبروك هم .

- ولم لا تخبرينتى انت ؟  
- ان مارجى الملقبة « بالصيداء الشابة » سوف تقرا لى الطالع  
مرة اخرى اليوم .

- من هى مارجى هذه ، التى تهافت عليها العشاق و ... ؟  
- انت تعرف اننى لست غيورة ، وان كانوا يقولون انه عندما  
يتظاهر الرجل بالاستخفاف بفتاة جميلة ...  
- تلك المخلوقة فتاة ؟ انها تزوجت مرتين !

- ان ثانى الزوجين توفى .  
- اريد ان افطر . هل تصدقين تلك الخرميلات ؟  
- لا بأس . ان مارجى قرأت الطالع الاخى ، قالت ان شخصا  
قريبا وعزيزا سوف ...

- ... ان شخصا قريبا منى وعزيزا على سوف ينال رفسة  
اذا لم يقم حالا باعداد الأقطار .  
- سأذهب . بيض ؟

- اظن .  
وفعلا لم يكذ اثنان ينتقل الى المكان الصغير المخصص للطعام  
قرب النافذة حتى وجد القهوة معدة الى جانب البيض والخبز  
المحمص . وفى اثناء الطعام دست فى جيب صدره قائمة بالأصناف  
المطلوبة للبيت قائلة :

— انها تبدو كثيرة ، لكن لا تنس ان هذه عطلة عيد الفصح .  
« دستنا » بيض على الأخص . سيقوم الآن وايلين بتلويتهما .  
يحسن ان تذهب الآن .

— حسنا يا زهرتي العاطرة ، لكن الا يمكن ان اصعد اليهما  
واتحفهما « بعلقة » ؟

— انك تدللها اكثر من اللازم يا ايثان. الآن اذهب على بركة الله .  
خرج ايثان الى اشراقة الصباح المونق بالخضرة وأشعة الشمس  
الدهبية ، ولم يتمالك ان تلفت خلفه يستجلي مشهد البيت العتيق  
البيديع ، بيت أبيه واجداده ، الأبيض الطلاء والمشيد على هيئة  
سفينة تملو مدخله تلك النافذة الدائرية الكبيرة ، وتحف به حديقة  
بانمة الخضرة ، حفلت بالزنايق التي يرجع عهدا الى مائة عام ..  
ثم تابع سيره الى شارع « ايلم » حيث التقى في منتصفه بصراف  
البنك جومورفي خارجا من دار أسرة فيليبس التي تحولت الآن الى  
« بنسيون » ، وما ان رآه مورفي حتى جياها قائلا :  
— اهلا بامستر هاولي ، كنت في طريقى اليك .

كان جومورفي أشبه في ملامحه بحصان ، خصوصا اذا أتسم  
وبدت أسنانه الكبيرة المربعة ، ولكنه كان محبوبا في بلدة « نيو  
بايتاون » هذه رغم انه قدم اليها منذ أعوام قلائل ، وكان محاسبا  
مفهدا وصرافا متمرسا ، حتى ان مستر بيكر رئيس البنك منحه  
تفقه الكاملة الى حد انه وكل اليه معظم العمل في بنك « فيرست  
ناشونال » ، وكان مورفي يعرف كل شخص معرفة وثيقة ، ولكنه  
لم يكن ينادى احدا باسمه الجرد ، فهو ينادى ايثان باسم مستر  
هاولي ، ومارجى « الصيادة الشابة » باسم مسز « يونج هانت » ،  
على الرغم من الهمس الدائر بأنه على علاقة سرية بها ، ولم تكن  
له أسرة ولا أقارب ، وكان يقطن وحيدا في غرفتين بدار أسرة  
فيليب ، ويتناول أكثر وجباته في مطعم فورماستر ، وكان حريصا  
على نظافته متافقا في ملبسه .

وسار الاثنان معا متجهين الى شارع « هاي » ، وفي الطريق  
قال مورفي :

— كنت اود ان اسالك : هل لك قرابة بأمير البحر هاولي ؟  
فقال ايثان : تقصد ادميرال هالزى ؟ ان أسرتنا كان بها ربانة  
كثيرون ، لكن لم يكن بها أمراء بحر .  
ح سمعت ان جدك الأكبر كان ربانا لسفينة سيد الحيتان ،

- وربما كان هذا سبب خلطى بينه وبين أمير البحر .
- ان بلدة مثل بلدنا لا بد ان توجد بها اساطير ، مثل الاسطورة القتالة بان بعض العاملين مع ابي كانوا يقومون بأعمال القرصنة ، يا له من يوم رائع لم أر ابداع منتهى حياتي !.. لماذا كنت تريدني؟
- آه . نعم . اظن انك ستطلق المحل فيما بين الثانية عشرة والثالثة ، فهلا جهزت لي بعض الشطائر حوالي الحادية عشرة والنصف ؟ سوف اجيء اليك وأخذها ، مع زجاجة لبن .
- ان يعلق البنك أيضا ؟
- سوف يعلق ، لكنني سأبقى به لانجاز الحسابات المتأخرة ، ان عطلة كبيرة كهذه سوف تجعل كل الناس ، حتى كلابهم ، يتهافون على سحب وصرف الشيكات .
- لم اكن اظن هذا .
- بل هو الواقع ، سلسلة اعياد : عيد الفصح ، وعيد الرابع من يوليو ، وعيد العمل ، كلها عطلات طويلة ، ولو أردت السطو على بنك لفتلت هذا قبل واحدة من هذه العطلات الطويلة ، فالأموال المعدة للصرف تكون كثيرة ، جاهزة ، تنتظر .
- ألم تتعرض باجو مرة لحدث سطو ؟
- لا ، لكن لي صديق تعرض للسطو مرتين .
- وماذا قال في هذا ؟
- قال انه استسلم للفرع ، كل ما فعله انه انطرح على الأرض اذعانا للتهديد وتركهم يسطون ، وقال أيضا ان أموال البنك مؤمن عليها أكثر من التأمين على حياته !
- سأحضر لك الشطائر عندما اطلق المحل ، عن طريق البلب الخلفي ، ما هي الأصناف التي تريدنا ؟
- لا تعب نفسك بامستر هاولي ، سأجاء اليك عبر الحارة ، أريد لحمًا مقددا وجبنا وبعض الخس و « المايونيز » ، ثم زجاجة لبن و « كوكا » لما بعد .
- وأردف مورفي بعد برهة :
- كيف حال ماروللو ، الذي هو وحده عصابة « مافيا » ؟
- على مايرام فيما اظن .
- انه شخصية عجيبة ، الناس يعرفون براعته في البيع والشراء وانتناص الصفقات الرابحة ، وان كانوا لا يعرفون مبلغ ثروته ، اما

انا فلست في حل من الكلام في هذا ، لان صراف البنك مفروض فيه الكتمان .

- وانا من زاوية ، انك لم تكمل القضية ، هل قبضوا على اللصوص الذين سطوا على صديقك في البنك ؟  
- طبعا ، قبضوا عليهم كالقتران ، من حسن الحظ ان اللصوص ليسوا اذكياء ، لو ان جومورفي الف كتابا عنواته « كيف تسطو على بنك » ، لما تعبت الشرطة في القبض على اللصوص .  
فضحك ايثان قائلا :

- اشرح لي هذا باختصار ، فاننى اريد ان افتح المحل .  
فراح جو يقول :

- سيداتى وساداتى : اننى اقف امامكم هذا الصباح لكى ... لكن لا ... الافضل ان اقول : كيف يمكن القبض على لصوص البنوك ؟ اولا - بالبحث عن السوابق ، ثانيا - تشاجر اللصوص على المسروقات وايقاع احدهم بشركائه ، ثالثا - فتش عن المرأة ، فلابد ان يبعثر اللصوص الاموال المسروقة على النساء ، رابعا - رصد من يتفقون بسخاء واستخلاص اللصوص بينهم .  
- حسنا يا استاذ ، وما هو اسلوبك في السطو ؟

- في غاية البساطة ، لكل نقطة عكسها ، لا تحاول ابدا السطو على بنك اذا كنت من ارباب السوابق ، لا يمكن لك شركاء ، قم بالعملية وحلك ، ولا تقل شيئا لاي انسان ، انس النساء تماما ، لا تنفق الاموال المسروقة ، وضعها في مكان مأمون ولو لسنوات ، وعندما تحتاج الى المال خذ ما هو ضرورى فقط واحتفظ بالباقي في حوز حريز .

- وماذا يكون الحال اذا تعرف احد على السارق ؟

- اذا حجب وجهه ولم يتكلم ، فمن الذى سيصرفه ؟

فوضع ايثان يده في جيبه ثم اخرجها خاوية وهو يقول ضاحكا :

- ساكون مدبنا لك بشمن هذه المحاضرة القيمة ياغبقرى البنوك!

فقال جو مورفي :

- سأتال الثمن شطائر !

وفي هذه اللحظة اجتاز الاثنان شارع « هاي » واتعظفا الى الحارة الفاصلة بين البابين الخلفيين للبنك ومحل البقالة ، فدلف جو مورفي الى باب البنك وفتح ايثان باب محل « بقالة وفواكه ماروللو » ، وتوقف برهة في مخزن المحل الذى تكلمت فوق ارفقه

التصاعدة الى السقف بصناديق الملبات من فاكهة وخضر واسماك ولحوم محفوظة واصناف جبن شتى ، واكياس الدقيق والبقسول الجففة ، وما لبث ان فتح باب الحارة مرة ثانية واخرج اوعية انقمامة المغطاة ، وعندما تحفز قط رابض للوثوب الى الداخل طرده ايثان منتهرا ، ثم عاد الى داخل المخزن واغلق الباب .

واجتاز ايثان الباب الفاصل بين المخزن ومحل البيع ذى النوافذ الزجاجية الكبيرة المظلة بالستائر المعدنية ، وكان هو ايضا مملوءا بالارفف المتطاولة حتى السقف والتي تراصت فيها باتم تنسيق وعناية الملبات المعدنية ، والزجاجية التي لا حصر لها ، والتي كان يسميها « مكتبة المدة » تفكها ، وحين اضياء الشلاجة الفولاذية الكبيرة الالامعة غمر الضياء الباهر ما بها من شرائح اللحوم والجبن والسجق والاسماك حتى كان لها مشهد اخاذ لم يتمالك ايثان نفسه من استجلائه والاعجاب به .

وانثنى ايثان الى درج في المنصة الطويلة قرب مسجلة النقود واخرج « مريلة » طويلة مخططة شدها الى صدره ووسطه وربط عقدها من الخلف ، ثم رفع يده باسطة كفه الى الامام ونادى قائلا :  
- صباح جميل يا مخللات منها اللعاب يسيل ، ويا ملبات فاكهة وخضر ولحم اليها تهفو المدة وتميل !

ثم رفع الستائر الخضراء عن النوافذ الكبيرة وهو يهتف : ادخل ايها النهار المشرق ... وبعدها فتح الابواب الالامية قائلا : ادخلي يادنيا !

وانثنى على الاثر الى مكان الفضل الصغير فجاء بمكنسة لكنس الرصيف .

وفي هذه اللحظات اقبل مستر بيكر ورئيس بنك « فيرست ناشونال » ، فامسك ايثان عن الكنس وحياه قائلا :

- صباح الخير يامستر بيكر .

- صباح الخير يا ايثان ، هذا صباح جميل .

- جميل فعلا يامستر بيكر ، هذه بشارت الربيع .

فقال مستر بيكر في وقفة يسيرة :

- كنت اريد ان اكلّمك يا ايثان عن ذلك المال اللذي ال ال لي

زوجتك بموجب وصية اخيها - الذي زاد عن خمسة آلاف دولار، اليس كذلك ؟

- ستة الاف وخمسمائة دولار ، بعد خصم الضرائب .



- لآباس ، المبلغ مودع في البنك ، مجرد ايداع ، ينبغي استثماره  
 ارد ان اكلحك في هذه المسألة ، ان هذا المال يجب ان يعمل .  
 - ان مبلغا كهذا لا يمكن ان يكون له عمل كثير ياسيدى ، هو  
 مجرد احتياط في حالات الطوارئ .  
 - انا لست ممن يؤمنون بالمال العاطل يا ايثان .  
 - المسألة ياسيدى هي ان هذا المبلغ بمثابة تأمين مؤقت طارئ ،  
 في حالة حدوث شيء لى .  
 - اذن يجب ان تستخدم جانبا منه للتأمين على حياتك .  
 - هناك ناحية اخرى للمسألة ياسيدى . ان والدة ماري لاتزال  
 على قيد الحياة ، وربما يمتد بها العمر .  
 - مفهوم . ان كبار السن يمكن ان يكونوا عبئا .  
 - ثم اننى لو استثمرت مال ماري ياسيدى ، فقد امنى  
 بالخسارة ، كما حدث عندما خسرت مالى ، وكما حدث عندما  
 خسر أبى ثروته .  
 - انا اعرف انك تعرضت لهذا فعلا ، لكن الزمن تغير ، وهناك  
 فرص كثيرة تتفتح باستمرار .  
 - اننى جربت فرصتى يا مستر بيكر ، لا تنسى اننى كنت املك  
 هذا المحل بعد الحرب العالمية الأخيرة مباشرة ، وقد اضطررت الى  
 بيع عقاراتى الموروثة للمثه بالسلع .  
 - اعرف هذا يا ايثان ، فانا صاحب البنك الذى تتعامل معه ،  
 واعرف طبيعة اعمالك كما يعرف الطبيب نبضك .  
 - صحيح ياسيدى ، وفي اقل من عامين اوشكت على الافلاس  
 التام ، وكان لابد ان ابيع كل شيء باستثناء بيتى لكى اسدد ديونى .  
 - لا يمكن ان يقع كل اللوم عليك بسبب هذا ، فقد كنت وقتها  
 حديث العهد بالتسريح من الجيش ، ولم تكن لك خبرة في مجال  
 الأعمال ، ثم لا تنس ان موجة « الكساد الكبير » قد مستك  
 ايضا ، انها اغرقت كثيرين من كبار رجال الأعمال .  
 - بل انها غمرتنى ياسيدى تماما ، فهذه اول مرة في التاريخ  
 يعمل فيها واحد من أسرة هاولي بائعا في محل بقالة .  
 - هذا هو الذى لا افهمه يا ايثان ، كل انسان معرض للافلاس ،  
 اما الذى لا افهمه فهو لماذا تظل مفلسا ، وانت المتعلم سليل  
 الأسرة الكريمة ، لا يمكن ان تظل هكذا على الدوام ، اللهم الا اذا  
 كنت قد فترت عزيمتك ، ودب الخور الى قلبك ، ما الذى دهاك

يا ايثان ، وجعلك تستسلم لليأس ؟  
فراح ايثان يقول بانفعال :

— الإنسان لا يستسلم لليأس بسهولة ، ويمبارة أخرى هو قادر على المقاومة والتصدي للصعاب ، ولكن ما يقتل الهمة هو التآكل ، ان عوامل التخوف والفرع تتسلل الى نفسه وثيدا ، وأنا في فرع دائم ، فقد تقطع شركة الاضاءة التيار الكهربائى فتمسى أسرئى في ظلام ويرد ، وزوجتى بحاجة الى الملابس ، وأطفالى يطلبون الاحذية — والتسلية ، وماذا لو انهم لم ينالوا حظهم من التعليم ؟ ثم هناك فوائير المطلوبات الشهرية وأجور الطبيب وعلاج الأسنان واللوز ، والى جانب هذا لنفرض اننى مرضت وقعدت عن كنس هذا الرصيف الملون ؟ طبعا لا تفهم هذا ، العملية كلها تنخر ببطء في همتى على مدار الأيام والليالى ، ليس في قدرتى أن أفكر في أبعد من قسط الثلجة للشهر القادم ، اننى أكره عملى وأنا في فرع دائم من فقدته ، كيف يمكن أن تفهم هذا ؟

— مع ذلك أنت في حاجة الى صلعة تشحذ همتك . ان اهلنا كانوا رجالا ذوى جسارة وأقدام . وانت تعرف هذا . انهم لم يتركوا انفسهم تتآكل حتى الموت . والزمن الآن في تغير مستمر . وهناك فرص لم يكن اسلافنا يحملون بمثلها . وهذه الفرص يقتنصها الاجانب عن بلادنا . ان الاجانب يأخذون عندنا الزمام . استيقظ يا ايثان !

— وماذا عن الثلجة ؟

— دعها تذهب اذا لم يكن من هذا بد .

— وماذا عن ماري والاولاد ؟

— اتسهم الى حين . انهم سوف يحبونك اكثر اذا تسلقت خارجا من جحرك . انك لاتساعدهم بدوام قلقك عليهم وانشغالك بأمرهم .  
— ومال ماري ؟

— أخسره اذا لم يكن من هذا بد ، لكن جازف به ، ومع التدقيق وحسن المشورة لن تتعرض لضيعاه ، ان المجازفة لا تعنى الخسارة ، ان قومنا كانوا دائما من أهل المجازفة المحسوبة ولم يتعرضوا لخسران ، سوف أهزك يا ايثان من الأعماق ، انك تخيب بروحك هذه ذكرى الكاتين هاولى ، انت مدين للذكراه بشيء عمله . يا للعجب ! انه وأبى كانا يمتلكان السفينة « بيل — أدير » معا ، وكانت من إمتن وأجمل سفن صييد الحيتان ،

انفض عنك عفار الخمول والياس يا ايشان ، واصل شيئاً للذكرى  
« بيل آدير » .

- ان « بيل - آدير » احترقت حتى خط الماء ياسيدى .  
- اعرف هذا ، لكن هل ننى هذا من عزمننا ؟ لا باى حال .  
- كانت السفينة مؤمنا عليها .  
- بالطبع كانت كذلك .  
- أما أنا فلم يكن مؤمنا على بشيء ، ولم استطع سوى اقتلا  
هذا البيت لا أكثر .

- لا بد لك ان تنسى هذا ، انك تحزن نفسك بشيء فات وانقضى ،  
لا بد ان تستجمع بعض الشجاعة ، والجرأة ، ولهذا السبب قلت  
ان عليك ان تستثمر مال مارى ، اننى أحاول مساعدتك يا ايشان .  
- شكرا لك ياسيدى .

- سوف ننزع عنك هذه « المريلة » ، انت مدين بهذا للكاتبين  
هاولى ، انه ما كان يصدق شيئاً كهذا .  
- اظن ذلك ياسيدى .

- هذا هو الكلام المطلوب ، سوف ننزع عنك هذه « المريلة » .  
- لو لم تكن مارى والأولاد ...  
- انسهم كما قلت لك من اجل صالحهم ، هناك مشروعات  
هامة سوف تتم فى بلدتنا « نيو بايتاون » هذه ، يمكنك ان تكون  
جزءاً منها .

- شكرا لك ياسيدى .  
- كل ما اطلب هو ان تدع لى فرصة للتفكير فى الامر .  
- قال لى مستر مورفى انه سوف يواصل العمل عندما تفلق  
البنك وقت الظهر ، وسوف اجيز له بعض الشطائر ، هل تحب  
ان اجيز لك مثلها ؟

- لا شكرا ، ان مورفى رجل كفاء ، ولهذا فاننى اترك له كل  
العمل ، هناك ارض عقارية احب ان ابحث امرها فى مكتب  
السجلات العقارية ، وربما يكون لك نصيب فيها ، سوف نتكلم  
فى هذا قريبا ، الى اللقاء .

واسرع باجتياز الحارة ودلف الى باب البنك الامامى وايشان  
ينظر فى اثره مبتسما .

واسرع بالعام الكنسى اذ بدأ الناس ينتشرون ، وان لم يحضر

اليه سوى قليل من « الزبائن » معظمهم من الاطفال لشراء خبز او لبن او بن .

ثم اقبلت مارجى الملقبة بالصياداة الشباية ، وكانت مرتدية « سويتير » ابرز صدرها و « جونلة » محكمة مشدودة حول خاصرتيها ، وان كانت عينها العسليتان هما اللتان رآى فيهما ايشان ما لا يمكن أن تراه زوجته مما لا يكون ماثلا في حضور الزوجات ، كانت صياداة حقا ، وكانت اقرب الى حيوان مفترس ضار .

ثم كانت نبراتنا الناعمة المتحفزة هي التي اكملت الصورة .  
قالت له : صباح الخير يا «ايش» ، ياله من يوم بديع للرحلات الخلوية !

— صباح الخير ، اراهن انك محتاجة الى بن .  
— خانك الذكاء هذه المرة ، جئت لأقول لك ان مندوب محلات « ب . ب . د » سوف يحضر لمقابلتك .  
— انا نشتري سلعنا من محلات « وايلاندز » .  
— على كل حال قد ابلقتك عن مستر « باجازز » هذا . هل يمكن ان تعطينى كوب ماء ؟ ساتناول قرصين من الاقراص الفوارة . فذهب ايشان الى المخزن وجاء بكوب الماء ، فوضعت فيه ثلاثة اقراص فوارة وانتظرت حتى ذابت ثم شربتها ، فقال لها :  
— سمعت انك سوف تقرئين الطالع لمارى اليوم .  
— يا الهى ! اننى نسيت ، بإمكانى اذا مارست هذه المهنة ان اجمع ثروة .

— ان مارى تمشق هذه العملية ، هل انت بارعة فيها ؟  
— لابرعة هناك ، ما عليك الا ان تدع الناس — خصوصا النساء — يتكلمون عن انفسهم ، ثم تكرر لهم الكلام ، فيتوهمون انك تعرف الغيب ، اما الرجال فامرهم يحيرنى ، لماذا لا تعلمنى احوال الرجال يا ايشان ؟

— انت تعرفين عنهم ما فيه الكفاية ، وربما اكثر من الكفاية .  
— آه ، اراك تسرف فى ظنونك .  
— هل تحبين ان ابدأ الآن ؟  
— ربما يكون الأفضل مساء .  
— حسنا ، سنكون جماعة ، مارى وانت والاولاد ، وموضوع التعليم هو الرجال : نعط الضعف فيهم ، ومواطن الضباوة ، وكيفية تسخيرهم واستخدامهم .

فتجاهلت مارجى لهجته قائلة :

— الا تشتغل قط مساء — حسابات آخر الشهر مثلا ؟

— بالطبع ، اننى آخذ الأوراق الى المنزل .  
فابتسمت قائلة :

— هل تعرف ماسوف افعله؟ سوف اقرأ طالما هاتلا هذا الصباح،  
وسوف تكون شخصا عظيم الشأن ، وكل شيء تلمسه سوف  
يتحول الى ذهب — سوف تكون زعيما بين الرجال .  
وتحولت مسرعة الى الباب وأضافت باسمه :

— اننى أتحداك ان تكذب تنبؤاتى ... الى اللقاء يا بطل !  
ولكنه لم يفته أن يستشف فى رنين عقبي حذائها على الرصيف علائم  
الغضب .

وما أن حلت الساعة العاشرة حتى تغير كل شيء ، فقد فتحت  
ابواب البنك الزجاجية وتدفق الناس يفترقون النقود ويحيثون  
بها الى محل ماروللو لشراء مختلف الأطعمة ولوازم عيد الفصح .  
وظل ايثان غارقا فى العمل حتى دقت ساعة المطايق فى برج البلدية  
معلنة الظهر ، فاغلق ابواب المحل وانزل الستائر الخضراء حتى  
شمعت المكان عتمة لم يبدها سوى ضوء الثلاثجة الأزرق القاتم .

وما كذا يفرغ من اعداد الشطائر التى اوصى بها جومورفى صراف  
البنك حتى سمع صرير مفتاح فى قفل الباب الامامى ، ودخل  
ماروللو بهيكله الضخم كهيكل اللب وفى صدره المنتفخ حتى بدت  
ذراعاة قصيرتين بالنسبة الى جسده ، وكانت قبعته مائلة عن رأسه  
الى الخلف حتى بدا شعره المنتصب الأشيب مثل قطنسوة ، وكانت  
عيناه نديتين ناعستين تشفان عن المكر ، وبلدت أسنانه الامامية  
الكسوة بالذهب ذات بريق فى الضوء المحدود ، وقال وقد شبك  
ابهاميه السميتين فى طيات بنطلونه تحت بطنه ردا على تحية ايثان :

— حسنا يا فتى ، اراك اسرعت باغلاق المحل .  
— البلدة كلها اغلقت ، حسب انك ذهبت لحضور القداس .  
هل هناك ما يمكن أن اقوم به ؟

فرفع الرجل ذراعيه القصيرتين السميتين وحركهما قائلا :

— زاد الألم فى ذراعى يا فتى ، هو الروماتزم .

— الا يمكن عمل شيء ؟

— اننى أفعل كل شيء — « كمادات » ساخنة ، زيت القرش ،  
اقراص الدواء — لكن الألم لا يزال موجودا ، احسنت باغلاق المحل ،

- هذه فرصة للكلام بيني وبينك يا فتى .
- هل هناك أى تقصير ؟
  - تقصير ؟ واين يكون التقصير ؟
  - حسنا ، اذا انتظرت دقيقة فانتى سأذهب بهذه الشطائر الى البنك ، حيث طلبها مستر مورفي .
  - آنت فتى همام ، انك تقوم بالخدمة أيضا ، وهذا شيء جميل .
  - وعندما رجع ايثان بعد تسليم الشطائر وجد ماروللو يحلق في وعاء للقمامة ، وما لبث ان تناول بعض اوراق الخرشوف الملقاة في الوعاء قائلا :
  - انك تنزع قشورا كثيرة .
  - الغرض جعل الخرشوف يبدو جذابا .
  - الخرشوف يباع بالوزن ، وأنت بهذا ترمي النقود في القمامة .
  - اننى أعرف يونانيا حاذقا له عشرون مطعما يقول ان سر المهنة في مراقبة أوعية القمامة ، ان ما تلقيه كنفاية تخسره كمبيعات ، انه شخص حاذق فعلا .
  - فقال ايثان : مضبوط يا مستر ماروللو .
  - وهل ترش الخضر بالماء كما قلت لك ؟
  - بالتأكيد .
  - فرجع صاحب المحل خسة قائلا :
  - ههههه يبدو جافة .
  - يا مغيث يا ماروللو ! لايمكن ان تتشبع بالماء اكثر من هذا ، الماء يكاد يبلغ ثلث وزنها !
  - الماء يجعلها طرية ، طازجة ، هل تظن اننى اجهل اصول العملية ؟ اننى بدأت بعربة يد ، واكتسبت الخبرة ، لابد ان تتعلم اسرار المهنة يا فتى ، والا اقلست ، والآن ما حكاية اللحم ؟ اراك تشتري بأسعار عالية .
  - اتنا نعلم عن تقديم لحوم ممتازة .
  - وأرى أيضا « بواقى » لحوم مستغنى عنها في الثلاجة .
  - هى شحوم وزوائد .
  - لابس بهذا اذا تم الوزن للجمهور قبل قطع الشحوم والزوائد .
  - لابد ان تتعلم يا فتى .
  - شعر ايثان بالغضب يتملكه فجأة ، حتى قال :
  - انا لست نحانا يا ماروللو !

— المسألة مسألة عمل ، والعمل الناجح هو الذى يربح ، هل تظن ان مستر بيكر يوزع اموال البنك مجانا ؟  
وعندئذ غلت مراجل الغضب فى صدر ايثان حتى لم يتمالك ان راح يقول صائحا :

— اسمع ياسيدنا ، ان عائلة هاولى مقيمة هنا منذ اكثر من مائتى سنة ، وانت اجنبى ، ولا يمكن ان تفهم حياتنا ، وعلى مدار الستين كنا نتعايش مع مواطنينا ونخالقهم بالخلق الطيب ، والمعاملة الكريمة ، واذا كنت تظن ان قدومك من جزيرة صقلية يمكن ان يغير شيئا من هذا فانت واهم ، وان كنت تريد وظيفتى هنا فانا متنازل عنها منذ الآن ، ولا تقل لى «يافتى» ، والا لطمت انك !  
فقال ماروللو وقد عادت ثناياه المذهبية الى الابتسام :

— لاباس ، لاباس ، لا تفقد صوابك ، اننى احاول فقط ان افيدك بنصائحي ، انا لا اجد الانجليزية كما يجب ، ولكن يمكنى ان اقول ان هويتى يرجع تاريخها الى الفى او ثلاثة آلاف سنة .  
ان اسم ماروللو اسم عريق أصله من روما ، ما هى قيمة مائتى سنة بالنسبة لهذا ؟

— انت لست من اهل هذه البلاد .

— ومنذ مائتى سنة لم تكن انت من اهلها ايضا .

لم يلبث ايثان ان انحاز الى الهدوء وقد ذهب عنه الغضب ، فقال بلهجة اقل حدة :

— ما كان يصح ان تتكلم بلهجة الاسياد .

— المسألة مسألة عمل ، واننى اعلمك اسرار العمل ، ثم ان سنى لعانية وستون عاما ، وزوجتى توفيت ، وآلام الروماتزم تحاصرني ،  
واذا لم تفهم اسرار العمل تعرضت للافلاس .

— لا لزوم لتوبيخى لاننى افلست مرة .

— انت مخطيء ، اننى فقط احاول ان اعلمك اصول العمل الناجح

حتى لا تفلس مرة اخرى .

فقال ايثان وقد عاد الى الابتسام :

— حسنا ، وما الذى تريد ان تعلمنى من اصول العمل مما لا اعرفه ؟

— العمل يعنى المال ، والمال لا يعرف الجاملة ، المال لا يطلب

الصداقة ولكن يطلب المزيد .

— هذا كلام فارغ يا ماروللو ، اننى اعرف الكثيرين من الاصدقاء

الطيبين ، وهم رجال اعمال شرفاء .

— هذا فقط بعيدا عن الممارسة الفعلية للأعمال ، والأيام وحدها سوف تكشف لك عن ذلك ، وعندما تكشف لك عنه سيكون ذلك بعد فوات الأوان ، اننى أعلمك دروسا حقيقية كما لو كنت فى مدرسة . الى اللقاء يا فتى .

وننى ماروللو ذراعيه وأسرع خارجا من الباب الامامى وصفقه خلفه ، حتى شعر ايثان بوحده ووحشة .

ولم يكذب يفتق حتى سمع طرقا حادا على الباب الامامى ، فآزاح الستار جانبا وقال .

— المحل مغلق حتى الساعة الثالثة .

ولكن الغريب دخل ، كان شابا مليئا فارعا انيق الملابس مصقول الشعر زبقى النظرات بادی البشاشة ، وقال من فوره :

— آسف لازعاجك ، كان لا بد لى من مقابلتك على انفراد ، حسبت ان الرجل العجوز لن يخرج أبدا .

— ماروللو ؟

— نعم ، كنت واقفا عند الشارع انتظر ، اننى قابلت صديقا لك فى الليلة الفائتة ، مسز يونج هانت ، مارجى .

— آه !

— انت شاب لطيف ، انها امتدحتك كثيرا ، وهذا ماجعلنى أعتقد ... اسمى بيجارز ، وأنا المتدوب المتجول لشركة

« ب . ب . د . د » للمواد الغذائية .

— اننا نتعامل مع شركة « وايلاندز » .

— أعرف هذا ، وهو سبب حضورى الى هنا ، نحن فى هذه المنطقة منذ مدة قريبة ، ونريد توسيع معاملاتنا ، ولا بد أن تقدم

بعض التنازلات لكى نتمكن من تثبيت اقدامنا ، وسوف تستفيد اذا انتهزت هذه الفرصة .

— عليك أن تقابل ماروللو .

فقال الرجل بصوت ودى خفيض :

— انت الذى يباشر طلبات الشراء ؟

— نعم . ان ماروللو مريض بالروماتزم ، وفضلا عن ذلك فله مصالغ أخرى .

— المهم انك أنت الذى يباشر طلبات الشراء ، بإمكانى منحك خصم ه فى المائة .

— ماروللو قد يقبل هذا اذا كانت البضاعة من نفس الأصناف .



— أنت لم تفهمنى . لا أريد ماروللو . ان هذه الـ هـ فى المائة ستكون نقداً — لاشيكات ، ولا سجلات ، ولا متاعب مع رجال الضرائب ، مجرد بنكنوت جديد من يدى الى يدك ومن يدك الى جيبك .

— حسنا ، وماذا اذا اخذت الـ هـ فى المائة وحولتها الى ماروللو؟  
— اظنك لا تعرف هؤلاء الناس كما اعرفهم . اذا حولت اليه القيمة ، فسوف يتسائل فى نفسه عن البقية التى حجزتها لنفسك . هذا شعور طبيعى .

فقال ايثان بصوت خفيض :

— هل تريد منى ان افش الرجل الذى اعمل عنده ؟  
— واين الفش هنا ؟ انه لن يخسر شيئا ، وسوف تجنى أنت ربحا ، كل انسان له حق فى ان يجنى ربحا ، فكر جيدا يا بنى . فكر ان كان يمكنك تحويل طلبات الشراء الى جابتنا . سوف اعود لزيارتك بعد عودتى الى المنطقة . انى اقوم بهذه الدورة كل اسبوعين . هاك بطاقتى .

ظلت يد ايثان الى جانبه . فوضع بيجارز البطاقة فوق الثلجة قائلا :  
— واليك تذكارا صغيرا تقدمه لأصدقائنا الجدد .  
وأخرج من جيبه محفظة جلدية أنيقة ووضعها الى جانب البطاقة قائلا :

— هدية لطيفة تنفع لرخصة القيادة ، والبطاقات .  
لم يرد ايثان ، فمضى بيجارز يقول :  
— سوف اعود بعد اسبوعين . عندى موعد مع مارجى . فكر جيدا . أنت شاب ذكى . سأذهب الآن .  
وفجأة اقترب من ايثان وهمس فى أذنه :  
— لا تكن أبله . كل انسان يفعل هذا .  
وخرج مسرعا واغلق الباب خلفه بهدوء .  
وساد سكون لم يتخله سوى صوت محرك الثلجة . ولم يلبث ايثان ان تلفت الى « شهوده » المتراسة على الأرفف من مختلف الملبات قائلا :

— كنت احسبكم اصدقائى ! لم ترتفع يد بينكم للدفاع عنى !  
واستدار على صوت طرق متواصل على باب الحارة ، فتقدم اليه على عجل وهو يغمغم لنفسه :  
— « زياتن » أكثر مما لو كان المحل مقتسوحا .

دخل عليه جو موري ممسكا بطقه قائلا :  
- بالله عليك الا ماغثتني بزجاجة كوكا ، انتى اكاد اموت عطشا .  
لماذا هذا الاظلام ؟ ام ان نظري مسه الضعف ؟  
- انتى انزلت الستائر للتخلص من رجال البنوك العطشى !  
وقاده عائدا الى التلاجة حيث اخرج زجاجتين مثلجتين جيدا  
قائلا :

- اظن اننى سأخذ واحدة لنفسى .  
واستند جو موري الى التلاجة ولم يتكلم الا بعد ان افرغ نصف  
الزجاجة في جوفه ، وبعدها هتف قائلا :  
- ما هذا ؟ من اين لك هذه المحفظة الثمينة ؟  
- هي هدية من مندوب شركة « ب. ب. د. » للمواد الغذائية .  
انه يحاول ان يضمننا الى نطاق عملائه .  
- انها هدية ثمينة في الواقع يابنى ، وارى حرقى اسمك منقوشين  
عليها بالذهب ايضا !..

- صحيح ؟  
- تعنى انك لا تعرف ؟  
- انه تركها منذ دقيقة لا اكثر .  
فتح جو المحفظة ، واذا اصابعه تخرج منها ورقة بنكنوت جديدة  
فئة عشرين دولارا ، فقال :  
- كنت اعرف انهم سوف « يزحفون » الى هذه المنطقة ، لكن  
لم اعرف انهم سيصلون « بالدبابات » . هذا تذكاري يجعل الانسان  
يتذكر فعلا .

- هل كانت هذه الورقة في المحفظة ؟ ..  
- وهل تظن اننى زرعتها فيها ؟  
- جو . اريد ان اتكلم معك . ان ذلك الشخص عرض على  
ه في المائة عن كل طلب شراء يكون من نصيبهم .  
- مرحى ! اليسر والرخاء اخيرا ! يجب ان توزع الكوكا مجانا .  
هذا يومك !

- لملك لا تقصد ان على ان اخذها ...  
- ولم لا ، اذا كانوا لا يضيفونها الى السعر ؟ من الخاسر ؟  
- طلب منى الا اخبر ماروللو والاظن اننى احصل على اكثر  
من هذه القيمة .

— سيظن ، هنا فعلا . ماذا دهالك ياهاولي ؟ هل جنت ؟ هل  
تفكر في طرد هذه النعمة ؟  
— اننى قاومت نفسى لئلا اقدف به الى الشارع .  
— لاشك انك تهذى !  
— قال لى ان كل انسان يفعل هذا .  
— وليس كل انسان يمكنه الحصول على مثلها . انت من  
المحظوظين .

— ليس هذا من الأمانة .  
— وكيف لا ؟ من المضرور ؟ ليس هذا ضد القانون .  
— معنى انك كنت تأخذها ؟  
— أخذها ؟ ! لو كنت مكانك لركمت مستجديا . فى مهنتى ارى  
جميع المنافذ مسدودة . كل خطوة تخطوها فى البنك معدودة ضد  
القانون — اللهم الا اذا كنت رئيسا . ماذا اصابك يابنى ؟ لو  
كنت تأخذ الهدية من الفيو ماروللو لقلت لك ان هذا مخالف  
للاستقامة ، لكنك لا تفعل هذا . انك تؤدى لهم خدمة ، وهم  
يقدمون لك خدمة معاملة — فى شكل ورقة خضراء جميلة ! .. لاتكن  
أبله . لك زوجة واولاد تفكر فيهم . ان تربية الأولاد لن تكون  
عملية رخيصة .

— لبتك تذهب عنى الآن .  
فوضع جو مورق الزجاجاة على المنصة بعنف قائلا بيرود :  
— مستر هاولى — لا ، مستر ايثان ألين هاولى . لو كنت تظن  
اننى يمكن ان افعل شيئا مخالفا للأمانة او اقترح عليك شيئا كهذا  
فلتذهب الى الجحيم ! ..

وسار جو عائلا ادراجة . فقال ايثان :  
— لم اقصد هذا . اقسم لك ان هذا لم يكن قصدى يا جو .  
المسألة هى اننى تلقيت اليوم اكثر من صلعة . هذا عيد شنيع !  
ولكن جو مورق انسحب من الباب الخلفى وجذبه خلفه بهدوء .  
ولم يلبث ايثان ان رفع الستائر وفتح المحل من جديد ، لكن  
العاملات لم تكن كثيرة فى هذه الفترة ، وخلت الشوارع او كادت  
من الناس ، وقبيل موعد الاغلاق لم يتردد عليه احد . وبعد ان  
اغلق المحل وهم بالابتعاد تذكر قائمة الاصناف المطلوبة للمنزل ،  
فاضطروالى العودة وجمع المواد فى كيسين كبيرين واغلق المحل من جديد  
وقد خامرته رغبة لى ييمم شطرخليج الميناء ويراقب الامواج

الداكنة ويشم رائحة البحر ويتحدث الى طائر «نورس» يراه واقفا  
على عائمة ومنقاره في الهواء ، متأثرا في هذا بقصيدة كتبتها سيدة  
منذ عهد بعيد عن احساسها حيال هذا الطائر الفريد . بيد ان  
نقل اكياس لوازم العيد ثناه عن رغبته تلك ، وهكذا سار متناقلا  
في شارع « هاي » ومنه الى شارع « ايلم » متجها الى بيت هاولي  
العتيق .

مختار من الأريكة  
www.books4all.net

## الفصل الثانى

تركت ماري الموقد واخذت من زوجها احد الكيسين الكبيرين  
قائلة :

— عندى اخبار كثيرة لك . لا يمكننى الانتظار .

فقبلها ، ولما احسنت بتوتر شفتيه قالت له :

— ماذا هناك ؟

— اشعر بيمض التعب .

— لكنك اغلقت المحل ثلاث ساعات .

— كانت عندى اعمال كثيرة .

— ارجو الا تكون مكتئبا .

— كان يوما فيه كآبة .

— بل كان يوما رائعا . انتظر الى ان تسمع منى .

— اين الاولاد ؟

— فوق مع الراديو . عندهم ايضا اخبار لك .

— مشاكل ؟

— لماذا تقول ذلك ؟

— لا اعرف .

وفي هذه اللحظة هرع الان وايلين يهبطان السلام متواليين واسرعا

الى المطبخ يرحبان بعودته . وقال الصبي :

— بابا . عندك فى المحل علبة الحبوب التى لها غطاء على شكل

قناع فار . اريد واحدة .

وقالت ايلين :

— اذا ارسلت غطاء العلبة مع عشرة سنتات فانك تحصل على

جهاز التكم البطنى مع الارشادات الخاصة به . اتنا سمعنا هذا

الآن فى الراديو .

فقال ماري لابنها :

— قل لايك ما الذى استفعله ؟

— اتنا سنشارك فى مسابقة « احب امريكا » ، وجازتها السفر

الى واشنطن ومقابلة الرئيس - مع الوالدين - الى جانب جوائز اخرى .

فقال ايثان :

- بديع . ما هي المسابقة ؟ ماذا يجب ان تفعل ؟

فهمت ايلين قائلة :

- يجب كتابة موضوع عنوانه : « لماذا تحب أمريكا » . وجميع الفائزين سوف يظهرون في التليفزيون .

وقال الان :

- ثم رحلة واشنطن ، والفندق ، والملاهي ، ومقابلة الرئيس ، والألعاب النارية . ما رأيك في هذا كله ؟

- وما رأيك في أعمال المدرسة ؟

- سيكون هذا في الصيف . ستعلم أسماء الفائزين في عيد يوليو .

- في هذه الحالة لابأس، هل تحبان أمريكا فعلا، أم تحبان الجوائز؟

فقلت ماري :

- آه يا بابا ! .. لا تفسد عليهما هذه المتعة !

وقال الان : قل لي يا بابا. اين يمكن ان نبحث عن هذا الموضوع؟

- تبحثان عنه ؟ !

- نعم . هذا ما قاله لي بعض الأولاد ..

- ان جدكم الأكبر كانت عنده كتب عظيمة . وهي موجودة في

غرفة السطح .

- مثل ماذا ؟ ..

- مثل خطب لنكولن ، وكتب دانييل ويبستر وهنري كلاي .

ثم هناك مارك توين أيضا . كل هذه الكتب والمراجع موجودة في

غرفة السطح .

- ربما أمكنك مساعدتنا في كتابة الموضوع .

- في هذه الحالة لن يكون الموضوع من الشائك .

- على كل حال لا تنس احضار علبة الحبوب ذات القناع .

- سأحاول .

- هل يمكن ان تذهب الى السينما ؟

فقلت ماري :

- ظننت انكما ستقومان بتلوين البيض لميبد الفصح . اني

أغليه الان . بإمكانكم بعد الغداء أخذه الى الباب لتجفيفه في

الشمس يا ماما .

- هل يمكن يا ماما أن نصعد الى غرفة السطح ونرى الكتب؟  
- اذا أطفأتم النور فيما بعد . في المرة السابقة ظل النور مضاء  
لمدة أسبوع . انك أنت الذي تركت النور هكذا يا ايثان .  
وعندما ذهب الصبيان قالت ماري :

- الست مسرورا باشتراكهما في المسابقة ؟

- بالتأكيد ، اذا فعلا كما يجب .

- انني لا اطبق الانتظار لأبلاغك - فان مارجي قرأت طالعي  
اليوم ثلاث مرات ، لانها قالت انها لم تشهد من قبل شيئا كهذا  
ثلاث مرات !

- يا الهى ! اسمى يا ماري . أريد ان أحلرك .

- أسمعى أولا . انها قرأت الأوراق وكانت كلها حولك . سوف  
تكون واحدا من أهم الرجال في هذه البلدة . ولن يطول هذا  
ايضا . بل سيحدث عاجلا . كل ورقة قلبتها بينت تقودا وتقودا  
أكثر . سوف تكون رجلا غنيا .

- دعيني أحلرك يا حبيبتي .

- سوف تقوم بعملية استثمار .

- بماذا ؟

- حسنا . كنت افكر في المال الذي ورثته عن اخي .  
فهتف قائلا :

- لا . لا يمكن ان اسمه . هذا مالك . وسيظل مالك .

- ان مارجي لم تشر الى هذا . سوف تستثمر في شهر يوليو،  
وكل خطوة سوف تتلونها خطوة اخرى . ان مارجي قالت لي  
بالحرف الواحد : « ان حظك هو ايثان . سوف يصبح رجلا غنيا  
جدا ، بل ربما أهم رجل في هذه البلدة » ...

- لعنة الله عليها ! ليس لها حق في هذا .

- انها صديقة مخلصه . لا أريد ان نتخاصم على مسمع من  
الأولاد . ان مارجي هي افضل صديقة لي . أنا أعرف انك  
لاتحبها . وفي ظني انك غير من أصدقائي . اتنى عشت ساعات  
سعيدة بعد ظهر اليوم ، وأنت تريد ان تفسدها على . ليس هذا  
شيئا لطيفا .

فقال ايثان :

- قد يكون ما فعلته مجرد خبث . انها امرأة بلا رجل ولا عمل .  
فراحت ماري تقول بلزراء :

- تكلم عن الخبثا دون ان تعرف حقيقة مارجى ولا الظروف  
التي نمر بها . هناك رجال في هذه البلدة يطاردونها طول الوقت .  
رجال لهم شان ، رجال متزوجون ، يهيمسون ويفرون ! .. واحيانا  
لا تعرف مارجى الى اين توجه هربا منهم . وهذا هو سبب  
حاجتها الى ، كصديقة من بنات جنسها . آه ، كم حدثتني  
باشياء لا تخطر على البال ، عن رجال لا تصدق امرهم . بل ان  
بعضهم يتظاهر بانهم لا يحبونها علنبا ، ثم يتسللون الى بيتها او  
يتصلون بها تليفونيا للاقاتهم . رجال منافقون ، يدعون الى الفضيلة  
والاخلاق ثم يفعلون هذا . وبعد ذلك تكلمنى من الخبثا !  
- هل ذكرت لك من هم ؟

- لا . وهذا وحده دليل ضدهم . ان مارجى لا تريد ان تسمى  
الى احد حتى ولو اساءوا اليها . لكننا قالت ان بينهم واحدا  
لايمكن ان اعتقد فيه هذا . قالت ان شعر راسى قد يشيب اذا  
عرفت بأمره .

فتنفس ايثان من اعماق رثيته ، بينما قالت مارى :  
- ترى من يمكن ان يكون ؟ ان طريقة كلامها عنه جعلتني اعتقد  
كما لو كان شخصا نعرفه تماما ولا يمكن ان نصدق امره .  
فقال ايثان بصوت خافت :  
- اظن اننى اعرف .  
- انت تعرف ؟ من هو ؟  
- انا .

فقرت فاها ، وقالت :  
- آه ، بالك من مكرر ! لو لم اكن على حذر منك لاقعتنى  
كل مرة في الفخ ! على كل حال هذا الهزل خير من الكتابة .  
- يا للعجب ! رجل يعترف بالتورط في الاثم مع اصدق صديقة  
لزوجته ، ويقابل بالاستخفاف !  
- هذا كلام لا يصح ان يصدر منك .

- ربما كان يجدر بهذا الرجل ان يلجا الى الانتكار . وفي هذه  
الحالة كان يمكن ان تحترمه الزوجة وتكرمه ، مع الشك طبعا .  
ياحبيبتى - اقسم لك بكل ما هو مقدس اننى لم يصدر منى  
سواء بالقول او الفعل اى شيء خادش للشرف مع مارجى . فهل  
تصدقين بعد هذا اننى ارتكبت اى اثم ؟  
- اننى احب المزاح ، لكن هذا ليس شيئا يعزح الانسان فيه .



- سباحاول مرة اخرى يازوجتى الجميلة . هناك فعلا امرأة الحرف الاول من اسمها «م» قد طوقتني بالشباك ، لاسباب تعرفها وحدها . وانا في خطر داهم من الوقوع في احدي شباكها .  
- لماذا لا تفكر في حظك ؟ ان الأوراق قالت شهر يوليو ، وقالت هذا ثلاث مرات . اننى رأيت هذا بعينى رأسى . سوف تنال مالا ، ومالا كثيرا . فكن في هذا فقط .

- هل تحبين المال ، والمال الكثير يانور عينى ؟  
- أحب المال ؟ ما فصلك ؟

- هل تحبين المال الى الدرجة التى تبرر في نظرك كل انواع التنجيم والعرافة والسحر والخزيبات الخ ؟ ..  
- تسألنى ان كنت أحب المال ؟ وأقول لك اننى لا أحب المال ، ولكننى لا أحب ايضا انشغال البال والهموم ، اننى أحب ان اكون في وضع يسمح لى برفع رأسى في هذه البلدة . اننى لا أحب ان يشمر اولادى بالخجل والمذلة لانهم لا يستطيعون ان يلبسوا كما يلبس غيرهم من الأبناء .

- وهل المال هو الذى يرفع رأسك ؟

- انه يؤيل اثر السخرية عن وجوه جدودك القديسين !

- لا أحد يسخر من عائلة هاولى .

- هذا ما تظنه . ولكن فقط لا تراه .

- ربما لاننى لا اتسقط ولا افتش .

- هل مفاخرتك العائلية سلاح تشهره في وجهى ؟

- لا يا حبيبتي . انها لم تعد سلاحا نافعا .

- الحمد لله أنك اكتشفت هذا . في هذه البلدة او في اية بلدة

اخرى فان بائع محل البقالة سليل أسرة هاولى هو مجرد بائع محل بقالة .

- هل تلوميننى لفشلى ؟

- لا . بالطبع لا الوملك . انما الوملك فقط لجلوسك قائما تتمرغ

في المجد القديم . بإمكانك ان تخرج من هذه الوحدة اذا تخلصت

من افكارك العتيقة . كل انسان يسخر منك . ان سليل الحساب

والنسب المعلم انسان تافه .

لكن هذه الكلمة دوت في سمعها كالتقبلة ، حتى سكتت خجلة .

فقال اشان :

- انا آسف . لقد علمتنى شيئا ، بل ربما أشياء - الواقع ،

والممكن ، والمقول . لقد عرفت الآن أين أجد المال لكي أبدأ  
اليسر والفنى .

- أين ؟

- سوف أسرق بنكا .

وفى هذه اللحظة أنبعث رنين المنبه المتصل بالوقد ، فقالت ماري:

- اذهب وناد الأولاد . ان اتاء تلوين البيض جاهز . وقل لهم

ان يطلقوا النور .

ووقفت تنصت الى وقع خطواته وهو يتعمد .

## الفصل الثالث

شدد ما أحسد زوجتى ماري على سرعة استسلامها للنوم . فانها لا تكاد تستلقى في الفراش حتى تتكوم على نفسها وتتنهد مرة واحدة ثم تغمض عينيها وتفرج شفتاها عن ابتسامة هائلة ، وفي اللحظة التالية تسبح في عالم الأحلام .

ان ماري تمسق النوم ، والنوم يفتح أحضانه لها ترحيبا وحفاوة . اما انا فأننى أصارع النوم والنوم يصارعنى حتى أستحل الى معركة أبدية بينى وبينه . فاذا نمت كانت أحلامي هي متاعب النهار ومشاكله ، تتضخم وتتخذ أشكالا شتى أقرب الى اقترام تراقص ، مرتدية قرون واقنعة حيوانات .

ومن عجب ان عيد الفصح يقترن عندى بالأحزان ، ولكنه كان هذا العام أسوا . فاليوم حمل على ماروللو حملة شعواء بدعوى تلقيني طبيعة العمل وأسراره . وبعدها جاء من يقدم الى اول «رشوة» في حياتى . ثم هاندا امام مشكلة مارجى الملقبة «بالصيادة الشابة» . فهل هي مخلوق شرير ؟ وما غرضها منى ؟ وكم من ليلة أمضيتها مؤرقا ساهرا مسهدا وانا أسمع غطيط ماري الرقيق يملا سمى . انك اذا ذهبت تحديق في الظلام لا تلبث ان ترى بقعا حمراء تراقص امام عينيك . وفي هذه الليلة لم اتمالك عندما زادت البقع الحمراء امام عيني ان قررت ان أتهدض وأخرج .

اننى من الذين يؤمنون بان الانسان يستطيع ان يحسن التفكير في مكان خاص يتخذه خلوة . ولهذا كان لى هذا المختلى ، وان كان التفكير عندى يقترن بالأحاسيس والتجارب والذكريات .

هكذا تسالت من الفراش بهدوء وهبطت الى الدور الأرضى حاملا ملابسى التى ارتديتها في المطبخ . ولكى لا تقلق ماري لغيابى اذا استيقظت فقد سطرت لها كلمة قلت فيها : « حبيبتى - شعرت بقلق ، فخرجت للقيام بجولة ، وسأعود سريعا » . ولما فتحت الباب الخلفى شعرت بالهواء قارسا منلدرا بالصقيع ،

فاشتملت بمعطف ثقيل ووضعت فوق رأسي واذني قلنسوة بحار من الصوف . وفي هذه اللحظة دقت الساعة مؤذنة بالثالثة صباحا ، ومعنى هذا اننى لبثت اراقب البقع الحمراء في الظلام اربع ساعات منذ الحادية عشرة .

ان بلدتنا « نيو بايتاون » بلدة عريقة جميلة ، بل هي من أعرق واجمل البلدان في أمريكا كلها . كان مستوطنوها الأوائل وأجدادى من أرباب البحارالمغامرين الذين ضاقت بهم أوروبا ، فجاجوا الى ساحل أمريكا الشمالي واستقروا به ، ومزجوا في حياتهم ومعاشهم بين القرصنة والأنماط « البيوريتانية » . ولكن أبى الطيب القلب كان على تقيض هذه الخصائص ، وهكذا اضاع الأرض ، والمال ، والمنزلة ، والمستقبل ، والواقع انه ضيع كل موارمته أسرة هاولى خلال مئات السنين ، فيما عدا اسم الأسرة الذى كان وحده مناط اعتزازه . وكان أبى حريصا على تلقينى ماسماه « دروس الميراث العائلى » ، وهذا هو سبب معرفتى الوثيقة بتاريخ الأسرة وأمجادها . وربما كان أيضا سبب وجودى الآن كاتباً في محل بقالة رجل من صقلية ، في منطقة كانت كلها ملكا للأسرة هاولى .

تواردت في ذهنى هذه الخواطر لمجرد اننى قلت ان بلدتنا عريقة جميلة . لقد جمعت مبانها بين القديم والحديث ، خصوصا تلك المنازل المصرية التى اقامها أحفادصيادى الحيتان في شارع بولوكولونتي والتي احتلدوا انماطها متأثرين برحلاتهم البعيدة الى أقصى البحار والاقطار . ولكن بيت أسرة هاولى ظل في شارع « ايلم » محتفظا بطابعه التاريخى العتيق ، الى جانب بيوت أسر بيكر وفيليبس والجار - وان كانت مارى لم تلبث بعد وفاة أبى ان شيعت من سماع تاريخ الأسرة المكرر المعاد ، فاقترحت على نقل مخلفات الأسرة الى غرفة السطح ، ولم امانع في هذا وأنا اعرف انما لم تكن من أبناء بلدتنا ولم تتقلب في ذكرياتها ، اذ كانت من اصل ايرلندي ، وكان لقاتى بها في مدينة بوسطن وأنا ضابط برتبة الملازم اثناء الحرب العالمية الأخيرة ، وظلت وفية على عهدا معى طيلة الحرب ، وبعد زواجنا كانت مثال الاحتمال والصبر اثناء السنوات التى تعرضت فيها للانتكاس والافلاس ، ثم طوال وجودى باثما في محل بقالة . ان مارى تحتل وتصبر على الشدائد ، ولكننى أعتقد الآن انها تعبت من طول الاحتمال والمصابرة . ولهذا قد لا يكون من المستغرب ان يتهاوى احتمالها فجأة وينهار صبرها على تلك الصبورة التى

اسلفت .

ومهما يكن فإني تابعت سيرى فوق الأرض المكسوة بالصقيع المتلألئ كاللماس تحت انعكاس ضوء المصابيح متجها الى الميناء القديم . وفى الطريق بعد تقاطع شارع بورلوك وهيكس قرب مصنع الدراجات ، وقع نظرى على آثار واضحة لا تخطئها عينى المدربة فوق الصقيع المصقول المتجمد : بصمات خطا داني تيلور الواسعة المتشاقلة ، داني سكر البلدة ، سليل الأسرة الكريمة العريقة ، المتعلم الفاضل ، المطرود من الأكاديمية البحرية ، وصديق المعركة . لماذا لا يستقيم داني المنكود ؟ انه يقتل نفسه قتلا بادمانه الخمر . وباله من عار يلحق به وبأسرته اذ يستجدى ثمن الشراب استجداء . مما يعزى ان ابويه لم يبقيا على قيد الحياة لكى يقع نظرهما على بؤس حاله وسوء مآله .

ان داني يمثل عندى جرحا دائما متجددا وحزنا مقيما لا يفتر وطالما حاولت مساعدته والأخذ بيده ، لكنه كان ولا يزال يابى على هذا باصرار . ان داني بمثابة أخ لى ، فنحن متماثلان فى العمر والبنية . وأسرته عريقة مثل أسرة هاولى أو أسرة بيكر وغيرهما . وفى صبانا لم تكن نفترق لحظة فى مجال المرح واللعب ، وفى ظنى اتنا لو ذهبنا الى الكلية معا لما حدث هذا . فقد التحقت انا بجامعة هارفارد ، ونبغت فى اللغات ، والعلوم الانسانية ، واقترفت من مناهل معرفة لم تمد ذات جدوى لمن عمل باثما فى محل بقالة ، كما تطور اليه امرى ، لكننى طالما اشتجيت لو ان داني لازمنى فى هذه الرحلة الثقافية الباهرة الممتعة . ولكن داني كان يعيشق البحر بطبعه . وقد التحق بالاكاديمية البحرية معززا بنفوذ ابيه ، بيد انه لم تنقض ثلاث سنوات حتى طرد منها ، مما عجل بنهاية ابويه ، ولم يبق منه الاً سوى ذلك الشبح السكير الذى يهيم على وجهه فى الليالى ، وحيدا ، يجر قدميه جرا . وعندما يستجديك نصف دولار ثمننا للشراب تناديك عيناه بالصفع عنه ، لأنه لا يستطيع الصفع عن نفسه . وهو بنام فى كوخ حقير قرب مصنع السفن القديم الذى كان مملوكا لأجداده . وعندما تمعن الآن فى آثار الأقدام لأرى ان كان عائدا الى مثواه أو خارجا منه رأيت الآثار تشير الى خروجه ، وقد التقى به فى أى مكان . كانت وجهتى الميناء القديم كما قدمت . فيه كانت ترسو سفن سيد الحيتان منذ مئات السنين عائدة من رحلاتها السنوية عبر

البحار القطبية وبحار الصين محملة بأقوي زيوت حيتان العنبر وأنفس السلع . أما الآن فلم يبق من هذه المعالم القديمة سوى الأطلال والذكريات ، وأخصها تلك الصور الجميلة المشرقة التي طالما صورها لي جدي كاتبن هاولي وأنا بعد طفل صغير ، مستعينا بمصاه المشكلة من قرن ، حوت العنبر . ومن تلك الأطلال ذلك الكهف الصخري الصغير التابع على مسافة عشرة أقدام من مياه الشاطئ . وهو ملاذ الذي جعلته مختلي ، إلوذ به بعيدا عن الأماكن المطروقة كلما حزبي أمر من الأمور . وفيه كنت أمضي ساعات من ليلي قبل انخراطي في الخيمة العسكرية ، ومثلها قبل اقتراني بماري ، ومثلها ليلية أن ولدت ايلين ولادة متمصرة . فيه كنت أجلس الساعات المتعاقبة أصيخ السمع الى الأمواج الصغيرة تلعق جدرانها الصخرية وأستشرف البحر الطليق من خلال مدخله .

كانت التغييرات الكبرى التي تطرأ على حياتي هي التي تأخذني الى هذا المختلي .

هكذا هبطت الآن الى هذا الكهف الصغير وجلست القرفصاء على أرضه وكأنتي تمثال لبوذا .

ورب قائل يقول ان في هذا بلاهة ، لكنني لا أبالي . فأحيانا يكون من المتع الكبيرة في حياة الإنسان أن يتعلق بالبلاهة أو السذاجة أو سمها ماشئت ، كالأطفال يلعبون التماثيل ويموتون من الضحك . بل ان التعلق بهذا الذي يعد من البلاهة والسذاجة يقتل الرتبة ويجلو صدا النفس ويعين على شحذ الهمة من جديد . وكذلك كنت كلما مسني الضيق وكربني أمر من الأمور لعبت لعبة البلاهة والسذاجة هذه ، دفعا لعذوي الكرب ان تتسلل الي عزيمتي . وما لكثير هذه الكرب التي الفيتها الآن تجابهني . فان زوجتي ماري مثلا لاتزال سرا أمامي لم أنفذ بعد الي مغالته . ولا اظن انها تعرف هذا المختلي لآنتي لم أخبر أحدا بأمره . فهو مكان أتدبر فيه الأمور وأدير فيه الفكر . فما من إنسان يعرف غيره من بنى البشر حق المعرفة ، وقصارى ما ييلفه هو أن يفترض انهم بشر مثله ..

وفي خلوتي الآن في هذا الملاذ بمنأى من غائلة الرياح والمد يتسلل الي الكهف قاتما تحت سماء مظلمة ، لم أتمالك أن رحت أتساءل : ترى هل لكل الرجال مختلي كهذا ؟ أو هم بحاجة الي مختلي ،

او يريدونه ولكن لا يطيدونه ؟ احيانا كنت لرى نظرة في الاعين ،  
 نظرة حيوان ملهوف ، كمن يحتاج الى مكان سرى هادىء تجد فيه  
 النفوس المضطربة سكنا لها ، حيث يلم الانسان بذاته وبقيم حياته .  
 والواقع اننى اسمى كل ما يعرض في الختلى « عملية تقييم » .  
 ومن الناس من يسمونها « صلاة » ، ولعل الاثنين ان يكونا شيئا  
 واحدا . ومهما يكن من خلاف في الراى فانها عملية اجد فيها كل  
 الجدوى ، بصرف النظر عن وجه الخطأ او الصواب .  
 كانت املى امور كثيرة تقتضى التدبير وامعان الفكر ، وكانت  
 توثاب في خاطرى ملححة يابديها تسترعى الاهتمام كاطفال في مدرسة .  
 منها موضوع ماري ، التى تركتها هائثة في نومها وعلى شفتيها  
 تلك الابتسامة الغامضة . كنت ارجو الا تستيقظ وتفتش عنى .  
 لكن اذا فعلت ، فهل تراها تسر الى بهذا ؟ ذلك ما اشك فيه .  
 في ظنى ان ماري ، على الرغم مما يبدو من انها تقول كل شيء ،  
 لا تقول الا القليل . فهناك موضوع الثروة الذى لا بد من تدبير  
 امره . فهل تريد ماري الثروة لنفسها او تريد لها ؟ وكونها  
 ثروة موهومة من بنات افكار ماجى « الصيادة الشابة » لاسباب  
 لا اعلمها لا يغير من الامر شيئا . فكثير من الثروات لا تعدو ان  
 تكون وهما وسرابا . واى رجل متوسط الذكاء يمكنه اقتناء المال  
 ان كان هذا ما يريد . واكثر ما يبتغى المال من اجله هو النساء  
 او اللبس او الاعجاب ، وهى في النهاية تنحرف به عن الجادة .  
 واقطب المال من امثال مورجان وروكفلر لم تفرغ عقولهم ، فما  
 يفتهم في ايسر وجوهها سوى تحصيل المال ، وقد حصلوه . اما  
 ماذا يفعلون به بعد تحصيله فهذا شيء آخر . واغلب ظنى انهم  
 قد لابسهم الردع من هذا القول الذى اطلقوه ، ولو استطاعوا  
 التخلص منه لما ترددوا .

اما في عرف ماري فالمال معناه ستائر جديدة وتعليم مكفول  
 لاطفالها ورفع الرأس عاليا والافتخار بى بدلا من الخجل منى .  
 لقد قالت هذا في غضبتها املى ، وهذا حق لا مرأى فيه .  
 وفيما يتعلق بى ، هل ارانى اريد المال ؟ الحق لا . ان شيئا  
 في داخلى كان يكره كونى باثما في محل بقالة . في الجيش ارتقيت  
 الى رتبة ملازم ، وان كنت اعرف ان الذى سما بى الى هذا من  
 بين الصغوف هو الاسرة وما لها من روابط ، بيد اننى كنت مع  
 ذلك مثال الضابط الصالح . لكن لو اننى كنت حقا اريد التسلط

وفرض اودتي على الآخرين والتلذذ بامثالهم لأوامري ونواهي ،  
لبقيت في الجيش ، وبلغت الآن مرتبة الكولونيل . لكنني لم أجد  
شيئا من هذا ، واستمجت نقض يدي منه .

ثم هناك موضوع ماروللو . لقد أصاب ماروللو فيما قاله من  
العمل ، وكونه الوسيلة لاقتناء المال . وقالها جو مورفي كلمة  
صريحة لا عوج فيها ولا ابهام ، وقالها أيضا مستر بيكر ، ومندوب  
المبيعات . كلهم قالوها صريحة ساخرة مباشرة . فلماذا تفرزت  
نفسى وكان الأثر الذي تركه كلامهم كأثر البيض الفاسد في المذاق؟  
هل أنا شديد الصلاح ، أو شديد الطيبة ، أو شديد الاستمساك  
بالحق ؟ لا أظن هذا . هل أراى شديد الاعتداد بنفسى ؟ لأبأس  
هناك بعض هذا . هل أنا فائر الهمة خامد العزم ، ينكل من  
الإقدام ويتعد عن التورط ؟ في الحق هناك قدر كبير من الطيبة  
السلبية التي ليست شيئا سوى الخمول وإيثار البعد عن المتاعب  
أو الارتباك أو الجهود المبذولة .

وعندما بلغت هذا القدر من خواطري لاحت لى طوالع الفجراتى  
تسبق انبلاج الضياء . كانت لدى القدرة على شمها ولمسها . واذن  
فلا مناص لى من أن أعود أدراجى سريعا . وهكذا غادرت المختلى  
دون طقوس ولا مراسم كما دخلته ، وسلكت طريقي الى شارع  
« هاى » وأنا أكاد أجري . ومررت بالنصب التذكارى للجندى  
المجهول ثم بعبنى البريد قبلما صادفت داني تايلور واقفا في مدخل  
أحد البيوت وقد دس يديه في جيوبه ورفع ياقة معطفه ، وكان  
وجهه في الضوء البازغ مرعبا مزرقا من تأثير البرد والاعتلال .  
قال لى :

— ايثان . أنا آسف لأزعاجك . لا بد لى من بعض الشراب  
أنت تعرف اننى ما كنت أفعل هذا لولا اضطرارى .

— أعرف . اتنى أصدقك .  
واعطيتنه دولارا وأنا أقول :  
— أهذا يكفى ؟

كانت شفتاه ترتعشان كشفتى طفل يوشك على البكاء ، وقال :  
— اشكرك يا ايثان . نعم . هذا يكفينى طول النهار، وربما طول

الليل .

وبنا أحسن حالا عندما فكر في هذا . . . قفقت له :  
— داني . لا بد أن تكف عن هذا . هل تظن اننى نسيت ؟ لقد



كنت أحي ياداني . وملازت أحي . اننى على استعداد لكى اعمل  
اى شىء فى الدنيا لمساعدتك .

سرى شىء من القلق فى خديه الناعلين . ونظر الى ورقة  
البنكوت فى يده وكأنها احتسى أول جرعة من الشراب ، ثم ما لبث  
ان رماني بنظرة باردة قاسية قائلا :

- ليس لأحد دخل فى شئونى .

- اصغ الى يادانى .

- ولاى فرض ؟ اننى أغنى منك واحسن حالا . هل تتذكر

بيتنا الريفى ؟

- الذى احترق ؟ حيث كنا نلعب فى البدروم ؟

- اراك تتذكره جيدا . انه ملك لى .

- دانى . بإمكانك ان تبيعه وبدا بدياة جديدة .

- لن ابيعه . ان الحكومة تقطع جزءا من الأرض كل سنة

استيلاء للضرائب . لكن المراضى الكبيرة حوله لاتزال ملكى .

- لماذا لا تبيعها ؟

- لاتها انا . هذه الأرض هى دانى تيلور . طالما عشت فلن

يجبئنى شخص رقيق يملى على ما أفصل ويتسلط على بلعوى

مصلحتى . هل فهمت ؟

- اصغ يادانى ...

- لن أصغى . ان كنت تظن هذا الدولار يعطيك الحق فى ان

تعطنى فخذ .

- احتفظ به .

- سأفعل . انت لا تعرف ما تتكلم عنه . انك لم تكن ابدا

سكيرا . اننى لم اقل لك مرة كيف تلف اللحم المقدد . والآن اذا

ذهبت فى طريقك فاننى سأطرق نافذة واطلب بعض «مطير العقول» .

ثم لا تنس اننى احسن منك حالا . انا لست بانما .

وتحول عنى ودرس رأسه فى زاوية المدخل المعلق مثل طفل يلغى

الدنيا كلها من وجوده بمجرد تحويل نظره عنها . وقد ظل كذلك

الى ان يئست وواصلت سبرى .

ولما وصلت الى بيتى صعدت السلالم الخلفية بهدوء واضات نور

الطبخ . فوجدت الكلمة التى تركتها لزوجتى بعيدة قليلا من وسط

المنضدة ، وان كنت اكاد أقسم اننى تركتها فى الوسط تماما .

وضعت اناه القهوة على النار وجلست أنتظر نضجها ، فلم تكدا

حتى جاءت ماري . ان حبيبتي تبدو كفتاة غضة عندما تستيقظ ،  
حتى لتستبعد ان تكون اما لصبيين ناميين . وان بشرتها لتفوح  
منهرايحة زكية ، كرائحة عشب قطعته وشيكا ، وهي ازكي رائحة  
عرفتها .

قالت لي : ماذا تفعل في مثل هذا الوقت المبكر ؟  
- لك حق في سؤالك . اننى كنت مستيقظا معظم الليل . انظرى  
الى حدائى المبتل قرب الباب .  
- واين كنت ؟

- هناك قرب البحر كهف صيفر زحفت اليه يابطتى ورحت  
اراقب الليل والنجوم . فرايت نجما يخرج من البحر ، ولما لم  
يكن صاحب فقد اعتبرته نجما . اننى روضته ثم أعدته الى مكانه  
لكى يسمن .

- ها قد عدت الى الهزل والبلاهة . اظن انك استيقظت فقط  
وهذا ما أيقظنى من نومى .

- ان لم تصدقينى فاسالى داتى تبلور . اننى اعطيته دولارا .

- ما كان يجب ان تفعل . سوف يسكر به .

- اعرف هذا . كانت هذة رغبة . اين ينام نجما يزهرتى

المنطرة ؟

- يسرنى انك عدت الى الهزل والبلاهة من جديد . فانت بشع  
عندما تكتئب . انا آسف لما قلت لك امس عن الحظ والمال . لا اريد  
ان تظن اننى غير سعيدة .

- لا تشغلى بالك . هذا مكتوب لنا فى الطالع .

- ماذا ؟

- لست امرح . سوف احقق الطالع واجمع الثروة .

- اننى اتعب فى متابعة تفكيرك .

- هذه هى مشكلة قول الصدق . هل يمكن ان اضرب الاولاد

« علقة » صغيرة للاحتفال بالميد ؟ اعدك اننى لن اكسر عظامهم .

- انا لم اغسل وجهى . جئت مسرعة لائنى لم اتصور من كان

يخبئ فى المطبخ !

وعندما ذهبت الى الحمام وضعت الورقة فى جيبى وانا مازلت

لا اعرف هل راتها ام لا . وهل يستطيع انسان ان يعرف دخيلة

المرأة ؟ ما هى دخيلتك يا ماري ؟ هل تسمعين بالله ؟

## الفصل الرابع

جاء يوم السبت هذا مختلفا عندي عن غيره من الأيام . كنت كل يوم أكره أن أذهب لفتح محل البقالة . ولكنني اليوم شعرت بميل واقبال على هذه العملية .  
وقد قالت لي ماري معقبة :

— هل تخرج هكذا مبكراً ؟ أمامك نصف ساعة قبل الموعد .  
هذا نتيجة تفكيرك اليوم .

قلقت لها : هناك صناديق كثيرة لابد من فتحها ، وأشياء أكثر لوضعها على الرفوف قبل موعد الفتح . وأمامي قرارات خطيرة . هل أضع علب المخللات والطماطم على نفس الرف ؟ وهل لو وضعت معلبات المشمش والخوخ على رف واحد تتشاجر ؟ .. أنت تعرفين أهمية التنسيق بين الألوان المطبوعة على الفساتين ... فقالت ماري : أنت تمزح في كل شيء . لكنني مسرورة فهذا أفضل من التذمر . أكثر الرجال يتذمرون .

كانت البلدة هادئة اليوم ، ولكن الكثيرين غادروها بالطبع في عطلة عيد الفصح .

وصادفت في طريقى ستوني سميت شرطى النهار خارجا من مطعم فورماستر بعد شرب القهوة . كان ستوني هو الذى يباشر أعمال الشرطة في البلدة ، وكان رجلا ذكيا تمرس على أحدث الأساليب البوليسية وتلقى دراسة خاصة في الباحث الفيدرالية بواشنطن ، ومن ثم كان مرهوب الجانب ، بعكس زميله وى ويلي الذى كان يتولى الحراسة الليلية في سيارة الشرطة ، فيمضى أغلب الليل نائما . قلت له وأنا أتطلع الى مسدسه وقيده الحديدى التى برزت حول جانيه :

— عندنا عمل كثير اليوم يا ستوني .

فرد قائلا : هيه ؟ لكن البلدة هجرها اليوم أهلها .

— هل من جرائم قتل يا ستوني ، أم مجرد حوادث شغب ؟

— الهدوء مستتب هنا . هل سمعت عن عملية السطو على

البنك في فلورهامبتون ؟

- لا . هل اخذوا كثيرا ؟  
 — ١٣ الف دولار كما قيل . اننى كنت خارج البلدة طول الليل ،  
 وقد خرج وبقى للمساعدة .  
 — هل تظن انهم سوف يقبضون عليهم ؟  
 — اعتقد . فان شركات التأمين لا تكف عن الصراخ والمتابعة .  
 — صحيح . اسمع باستونى . بودى ان تتابع موضوع دانى  
 تيلور . انه يبدو فى حالة سيئة جدا .  
 فقال ستونى : المسألة مسألة وقت فقط . سوف افصل  
 بالتأكيد . حكايته مفرقة فعلا . فهو شاب طيب ، ومن أسرة كريمة .  
 — ان حاله يقتلنى . فاننى احبه .  
 — وما الحيلة معه؟ ارى مطرا قريبا يا ايشان ، وانا اكره البلال .  
 ولأول مرة فيما اذكر دخلت الحارة منتعشا وفتحت الباب  
 الخلفى بانفعال . وبعد برهة رايت جو مورفى يقترب من باب البنك  
 الخلفى ويده مفتاح الباب ، وكان يادى الاستياء ، ولما قلت له  
 اننى كنت اظن البنك مغلقا هذا اليوم قال لى :  
 — مكتوب على الا اغلق انا شخصيا . هناك خطأ فى الحسابات  
 قدره ستة وثلاثون دولارا — بالزيادة .  
 — هذا افضل بالطبع .  
 — لا . ولا بد لى من معرفة مصدره .  
 — هل البنوك امانة الى هذا الحد ؟  
 — البنوك نعم . لكن الرجال هم الذين ليسوا كذلك . واذا كان  
 لى ان احصل على العطلة فلا بد لى من معرفة مصدر الخطأ . هل  
 سمعت عن حادث السطو على بنك « فلود هامبتون » ؟  
 — اخبرنى ستونى . غريب اننا كنا نتحدث امس فقط عن  
 حوادث السطو على البنوك . هل تتذكر ؟  
 — اعتقد انهم سيقبضون على اللصوص فى خلال اسبوع او  
 اسبوعين .  
 ولما تركنى كنت المحل ورفعت الستائر وانا فى دوامة من  
 المشاعر . وعلى مالوف عادتى كلما اهمنى شيء ، رحت اتحدث  
 الى اصدقائى المتراصين فوق الارفف :  
 — رفاقى الاعزاء . اذا كانت الحوادث بهذه البساطة فلماذا  
 لا يكررها اكثر الناس ؟ لماذا يرتكب معظم الناس نفس الأخطاء  
 مرارا وتكرارا ؟ هل لابد من شيء ينسونه دائما ؟ ربما تكون قطعة

الضعف الأساسية نوع من الطيبة . ان ماروللو قال ان المال لا قلب له . الا يكون صحيحا اذن ان اية طيبة في رجل المال هي نوع من الضعف ؟ كيف يسوقون الافراد الطيبين العاديين الى ذبح الناس في الحروب ؟ قد يفهم هذا اذا كان العدو يبدو مختلفا او يتكلم لغة مختلفة . لكن ما الراى في الحرب الاهلية الأمريكية ؟ ان « اليانكى » ابناء الولايات الشمالية اكلوا الاطفال ، و « النافرين » اماتوا الاسرى جوعا . اذا كانت قوانين التفكير هي قوانين الاشياء ، فان الاخلاق هي مسألة نسبية ايضا - وكذلك الفضائل والردائل . كلها نسبية في كون نسبي .

« ان ما قلته للمرى العزيرة كمزاج هو الحق . ان اجدادى الاجلاء ملاك السفن وربانيتها كانوا مفوضين فعلا بالاغارة على السفن التجارية اثناء الثورة الأمريكية وكذلك عام ١٨١٢ . عمل وطنى صميم ، ومطابق لنواميس الاخلاق . لكنهم في نظر البريطانيين كانوا قراصنة ، وما أخذوه احتفظوا به . على هذه الصورة بدأت ثروة الأسرة ، تلك الثروة التى ضيعها أبى . ومن هنا جاء المال الذى يجلب الغنى ويضعف الثراء . وكان لنا أن نفاخر به ونتباهى . « المال ليس فقط لا قلب له ، وايضا لا شرف ولا ذاكرة . المال محترم آليا اذا احتفظت به الى حين . لا تظنوا اننى ادين المال وأندد به ، فالتنى معجب به الى حد بعيد . ان بعض الأسماء العريقة بدأوا ثراءهم ببيع اللحم البقرى للبريطانيين عندما كانت بلادنا تحارب البريطانيين ، وأموالهم محل الإعجاب والتقدير مثل أى اموال أخرى ، وكذلك الأسرة العريقة . وأسرة أخرى لعلها اعظم أرباب البنوك جميعا . ان مؤسس الأسرة اشترى ثلثمائة بندقية من الجيش . وكان الجيش قد رفضها لأنها اسلحة فاسدة وهكذا اشتراها بثمن بخس ، ربما بخمسين سنتا للبندقية الواحدة . ولم يمض الا قليل حتى بنا الجنرال فريبنوت حملته البطولية في اتجاه الغرب ، فاشترى البنادق بعشرين دولارا للواحدة . ولم يسمع أحد قط ان كانت البنادق قد انفجرت في أيدي الجنود حاملها . وهذا نوع من المال الذى يولد المال . ولا يهم كيف تحصل على هذا المال طالما أنك تحصل عليه وتستخدمه لتحصل منه على المزيد . ان سيدى وسيدكم ماروللو الذى ينتهى نسبه الى روما العريقة على حق كل الحق . حيثما يتعلق الأمر بالمال ، فان قواعد الاخلاق المرعية تأخذ اجازة .

« تسالوننى لماذا اكلكم وانتم معلبات ويقول ؟ ربما لانكم اهل  
حكمة وتكم . انتم لاترددون ما تسمعون ولا تثرثرون . المال  
لايكون موضوعا شائكا الا عندما يقتنيه صاحبه . ولكنه محيب  
للفقر يهفو اليه ويتوق . لكن الا توافقوننى على انه اذا اصبح  
الانسان مهتما اهتماما فعلا بالمال ، فلايد له ان يعرف شيئا عن  
طبيعته وخصائصه ونزعاته ؟ ان قلة قليلة من الناس ، ومنهم كبار  
الفناتين ، يهتمون بالمال لذاته . »

وبينما كنت منهمكا في تفريغ صناديق المعلبات اذ سمعت طرقا  
عاليا على الباب الامامى . ولما نظرت الى ساعتى الفضية العتيقة  
الفيتنى لأول مرة في حياتى لم افتح المحل في الموعد المحدد وهو  
تمام التاسعة . كانت الساعة التاسعة والربع . وكان انهماكى في  
التحدث الى المعلبات قد انسانى كل شيء . فاسرعت بفتح الباب ،  
واذا القادم مارجى « الصيادة الشابة » . ولم اكن في الحقيقة قد  
نظرت اليها من قبل بامعان ولا تفحصتها . ولعل هذا هو سبب  
قراءتها للطالع - لكى تتأكد اتنى اشعر بوجودها .

فتحت الباب . فدخلت بقوامها الرجراج المهتر . ومارجى مخلوقة  
لو وصفها جو مورقى لقال انها « طبق شهى » . كانت منتظمة  
التقاطيع ، طويلة الاتف قليلا ، مليئة الشفتين ، مصبوغة الشعر  
بلون كستنائى يجاوز اللون الطبيعى ولكنه جذاب ، تتلون عيناها  
الزرقاوان تبعا لحالة الضوء فيخالطهما اللون البندقى او الفولاذى  
الثاقب .

وقفت برهة تقلب نظرها بينى وبين المعلبات ، وما لبثت ان قالت  
ضاحكة :

- انا محتاجة الى البن هذه المرة .
- هذا حال أكثر الناس .
- ما قصدك ؟
- ان اول عشرة « زبائن » كل يوم يطلبون البن - بالناسبة ،  
أريد ان اشكرك لارسال مندوب المبيعات .
- كانت هذه فكرته ، فلا محل للشكر .
- وقدمت اليها علبه البن . وعندما مدت يدها لكى فأخذها منى  
تحرك كل عضو في جسدها وترجرج كأنما يعلن عن وجوده .  
كان كل شيء فيها جديدا ، أراه لأول مرة ، حتى لم أتمالك ان  
كتمت أنفاسى . ان مارى تقول ان المرأة يمكنها ارسال اشارات .

إذا هي أرادت . وإذا صح هذا فإن مارجي كان لديها « شبكة اتصالات » تبدأ من اخصص قدميها الى قمة شعرها ! قلت لها :

- ان قراءة الطالع كانت عملية مدهشة .  
- هل تضايقت ؟  
- لا . ولكنني أود فقط أن أعرف كيف أمكنك هذا .  
- أنت لا تؤمن بهذا العمل .  
- ليست مسألة إيمان . فانك حدثت أشياء كنت افكر فيها وكنت أتوى عملها .

- مثل ماذا ؟  
- مثل نيتي للتغيير .  
- هل تظن انني رمت أوراق الطالع ؟  
- ليس هذا هو المهم . ولو فعلت كذلك ، فما الذي جعلك تفعلين ؟ هل فكرت في هذا ؟  
واحت تنفوس في عيني مسترربة ، مستخبرة ، متسائلة ، ثم قالت بصوت خافت :

- نعم . أعني لا . انني لم افكر في هذا .  
وفي هذه اللحظة اطل مستر بيكر برأسه من الباب ، قائلاً :  
- صباح الخير يامارجي . هل فكرت يا ايثان في اقتراحي ؟ ..  
- فكرت فعلاً . وبودي أن اتكلم معك .  
- في أي وقت تحب يا ايثان .  
- الحقيقة انني مشغول طول الأسبوع . فان ماروللو لا يحضر الى هنا الا نادراً . هل ستكون في البيت غدا ؟  
- مؤكداً ، بعد موعد الكنيسة . هذه فكرة . احضر معك مارى حوالى الساعة الرابعة . وبينما تثرثر السيدات من قبعات عيد الفصح ، نتسلل نحن و ...  
- عندي مائة مسألة أريد أن اسالك عنها . الأفضل أن اكتبها في ورقة .  
- أي شيء أعرفه سيكون تحت طلبك . سأنتظرك اذن .  
تهلوك سعيد يا مارجي .

وعلى اثر انصرافه قالت مارجي :  
- أراك بدأت التغيير بسرعة .  
- ربما كانت محاولة فقط قولي لى . ما رأيك اذا قمنا مرة

أخرى باستكشاف أوراق الطالع عشوائيا ، لمعرفة درجة قربها من  
نتيجة أمسي .  
فقلت :

- لا ! هذا لا ينفع . أم أنت تسخر مني ؟ اتنى أراك اليوم  
شخصا مختلفا . ما الذى سبب هذا يا إيثان ؟  
- لا أعرف . ربما لأننى سئمت وجودى باثما فى محل بقالة .  
- لك حق ، وهذا هو الوقت المناسب . على كل حال سأفكر  
فى اقتراحك عن استكشاف الطالع مرة ثانية .  
- كلما أسرعت كان أفضل ، قبل أن تفتقر الطوالع .  
وخرجت وهى تهتمز مترججة ، ورحت أنظر فى أثرها طويلا  
وكانها شخص غريب أراه لأول مرة ، أو شخص معروف أراه بعين  
جديدة .

وقد حدثت مناسبتان هذا اليوم برهنتا لى ان هناك تغييرا عميقا  
وبطينا بدا بتشكلى فى نفسى .

كانت أولاهما قدوم ماروللو الذى اشتدت عليه وطأة الرومانحرم  
حتى ذهب يشنى وييسط ذرايمه مثل رافع ائقال . وقد بادرنى قائلا:  
- كيف حال العمل ؟

- قليل .  
- البلدة شبه مهجورة فى عطلة العيد .  
- قل لى يا الفيو . منذ متى جئت من جزيرة صقلية ؟  
- منذ ٧ سنة . مدة طويلة .  
- ألم تعد الى هناك مرة ؟  
- لا .

- لماذا لا تذهب للزيارة ؟  
- لاي سبب ؟ كل شوء تغير .  
- ليس لك أقارب أحياء ؟  
- بالتأكيد . هناك أخى وأولاده . وهؤلاء أصبح لهم أولاد .  
- ربما يحلو لك أن تراهم .  
فنظر الى كما نظرت الى مارجى قبله ، اذ عدتنى شخصيا  
مختلفا ، وقال بارتياى :

- ما الذى يدور فى عقلك يافتى ؟ أراك اليوم شخصا مختلفا .  
- الحقيقة عندى بعض الأخبار السارة .  
- لعلك لا تنوى ترك العمل هنا ؟



- ليس حالا . ان اردت القيام برحلة الى ايطاليا فاعدك ان ابقى هنا .
- ما هي اخبصارك السيارة ؟ ..
- لايمكننى ان اقولها الان .
- مال في الطريق ؟
- ممكن . اسمع انت غنى بما فيه الكفاية . لماذا لا تعود الى صقلية وتريهم كيف يكون الأمريكى الفنى ؟ أستحم هناك بالشمس ، بإمكانى رعاية المحل . انت تعرف هذا .
- أراك تغيرت يا فتى . ما السبب ؟
- قلت لك . اذهب ولاعب الأولاد .
- اننى لم اعد أتمنى الى هناك .
- لكننى ايقنت اننى زرعت شيئا فى نفسه فعلا . وعرفت انه سيعود فى وقت متأخر هذه الليلة لجرد حسابات المحل . فهو مخلوق متشكك بطبعه .
- ولم يكذب ينصرف حتى جاء مندوب المبيعات بمحلات «ب.ب.د» كما فعل بالأمس . وقال لى :
- ليست هذه زيارة عمل . اننى سأذهب فى عطلة نهاية الاسبوع الى « مونتوك » . وخطر لى ان أمر من هنا .
- يسرنى حضورك . أريد ان أعطيك هذا .
- وأبرزت له المحفظة الجلدية الثمينة تطل منها ورقة العشرين دولارا ، قائلا :
- خذها .
- ما قصدك ؟ هل أنت غاضب ؟
- لا بالتأكيد .
- اذن لماذا ؟
- خذها !
- يا الهى ! هل قدمت محلات « وايلاندرز » عرضا افضل ؟
- لا .
- ودفعت بورقة البنكوت الى جيب صدره تحت المنديل المنمق ، وقلت له :
- سأحفظ بالمحفظة . انها جميلة .
- اسمع . لايمكننى تقديم اى عرض قبل الرجوع الى الادارة .
- سأتصل بك تليفونيا يوم الثلاثاء .

- المكالمة وردها على حسابك .
- المهم ابقاء الخط مفتوحا .
- هل تنوى صيد الأسماك ؟
- لو كان معى سيدات . حاولت أخذ مارجى المغرية الى هناك،
- لكنها كادت تحطم رأسى . اننى لا أفهم النساء .
- انهن أغرب من الغرابة .
- على كل حال لا تفعل شيئا قبل ان اتصل بك . يا الهى !
- كنت اظن اننى اتمامل مع شخص ريفى ! ..
- اننى لن أبيع رب عملى بثمن زهيد .
- كلام فارغ . انك فقط رفعت الثمن .
- اننى فقط رفضت رشوة اذا اردت الصراحة .
- وهذا برهان على اننى أصبحت شخصا مختلفا . فان صاحبنا
- بدأ ينظر الى باحترام ، حتى أحببت هذه النظرة . ان المغفل
- حسب اننى مثله ، بل أبرع منه فى المساومة !
- وقبيل اغلاق المحل اتصلت بى ماري تليفونيا وقالت لى :
- ايشان ... لا تفضب ولا تفقد اعصابك .
- من أى شىء يا زهرتى المطرة ؟
- اننى دعوت مارجى للعشاء عندنا ، فالسكينة وحيدة و ...
- وما المانع ؟
- الست غاضبا ؟
- ابدأ . وبالناسبة ، اكوى أجمل فساتينك . سنذهب الى
- بيكر فى الرابعة .
- فى بيتهم ؟
- نعم . لتتناول الشاى .
- لا بد ان ارتدى ملابس العيد لحفلة الكنيسة .
- أجمل وأجمل يا بنفسجتى .
- أنت غير غاضب بخصوص مارجى ؟
- اننى أحبك وأعشقك !
- وما كنت بهذا الا معبرا عن شعورى الصادق حيال ماري .

## الفصل الخامس

اتهمت ماري في اعداد وليمة العشاء لمناسبة زيارة مارجي « الصيادة الشبابة » . وبينما كنت ارتدى ملابس استعدادا للوليمة جاءني الان في غرفة النوم سائلا عن علية الحبوب التي يعلوها قناع الفار . فقلت له :

- الحقيقة انني نسيت . لماذا لا تمر في المحل وتأخذها ؟
- سأفعل .
- وأين ابلين ؟
- انها تكتب موضوعها للمسابقة : احب أمريكا .
- وموضوعك انت ؟
- انتي أفكر فيه . هل تمنع اذا سألتك سؤالا يا ابي ؟
- لي الشرف .
- هل صحيح ان جانبيا كبيرا من شارع «هاي» كان مملوكا لكم ؟
- صحيح .
- وهل كانت لنا سفن لصيد الحيتان ؟
- نعم .
- ولماذا ليست لنا الان ؟
- فقدناها .
- وكيف ؟
- هذا ما حدث .
- هل عندك وقت لتصعد الى غرفة السطح معي ؟
- سأجد الوقت اذا كان الموضوع هاما .
- قلت لي انه توجد كتب ومراجع بها موضوعات مختلفة .
- أية موضوعات مثلا ؟
- موضوعات وطنية ، لأجل المسابقة .
- فهمت . ما رأيك في هذا كنموذج : « هل الحياة غالية الى هذا الحد والسلام حلو بهذا القدر حتى يوجد من يشتريهما بشمن القيود والعبودية ؟ حاشا لله ! لست اعرف أى طريق يسلكه

- غري ، إما انا فأقول : اعطني الحرية ، او اعطني الموت ! » .
- رائع يا بابا !
  - بالتأكيد . كانوا جيابرة في تلك الأيام .
  - ليتنى عشت فيها . سفن قرصنة ! يوم يوم ! ارفعوا الرايات ! سبائك الذهب وسيدات يلبسن الحرير والمجوهرات ! ليتنى عشت تلك الأيام . ان اهلنا عاشوها ، كما قلت أنت .
  - كانت نوعا من القرصنة المشروعة . واظن انها لم تكن حياة جميلة كما تبدو من بعيد .
  - لا تهمنى المتاعب . كنت آخذ الذهب وأعود به الى البيت . اظنهم لا يسمحون بهذا الآن .
  - لا . العالم الآن أكبر وأكثر نظاما . والعلاقات بين الأمم يسمونها الآن الدبلوماسية .
  - هناك ولد في مدرستنا كسب جوائزين في التلفزيون - مائتان وخمسون دولارا . ما رايك يا بابا ؟
  - لا بد انه ذكي .
  - هو ؟ لا طبعاً . هو يقول انها حيلة يقوم بها . اذا عرفت وسيلة الحيلة أمكنك أن تنجح . وعنده مجلة بها جميع المسابقات في البلاد كلها . هل يمكن أن أحصل على إحدى هذه المجلات يا بابا ؟
  - حسناً . اذا كانت القرصنة قد انتهت ، فإن الحافز مازال باقياً .
  - ما فصدك ؟
  - مال بلا مجهود .
  - هل يمكن أن أحصل على تلك المجلة ؟
  - كنت اظن ان تلك الالاميب قد أنتهت بعد الفضائح التي نشرت عنها .
  - واين الفضائح ؟ كل ما هناك انهم يحتالون لاجراء تغييرات في النصوص . بودى ان انال نصيبي من تلك الفئائم .
  - هي فئائم اذن ؟
  - هي نقود ، بصرف النظر عن كيفية الحصول عليها ؟
  - لا أوافق على هذا . ان الضرر لا يقع على النقود بقدر ما يقع الشخص المتحايل .
  - لا ادرى كيف . ليس هذا ضد القانون . الغريب ان بعض الشخصيات الكبيرة في بلادنا .
  - ولدى ! .. ولدى ! ..

- ماذا تقصد يا ابي ؟ ..
- هل لابد ان تكون غنيا يا الان ؟ ..
- وهل تظن اننى احب ان اعيش دون ان تكون لى دواجة بخارية ؟ وكيف الحال اذا كانت عائلتك ليست لها سيارة ، بصرف النظر عن التليفزيون ؟
- كلامك صلحة كبيرة لى .
- انت لا تعرف الحقيقة يا ابي . مرة كتبت فى الفصل موضوعا عن كيف كان جدى الأكبر ربانا لسفينة صيد الحيتان .
- انه كان كذلك .
- الفصل كله انفجر بالضحك . وقد سمونى « الحيتانى » !
- ما رايك فى هذا ؟ ..
- شوء مؤلم .
- لن يكون مؤلما لو كنت محاميا او صرافا فى البنك او شيئا مثل هذا . هل تعرف ما الذى سافعله باول « غنيمة » افوز بها فى مسابقة من هذا النوع ؟ ..
- ماذا ؟
- سوف اشترى سيارة حتى لا تشمر بالاحراج وانت ترى معظم الناس عندهم سيارات .
- شكرا لك يا الان .
- قلت هذا وقد شمرت بجفاف فى حلقى . ثم اضفت :
- عندما نصلد الى غرفة السطح بعد قليل سأبحث لك عن مجلد ضخم به جميع الخطب العظيمة التى ألقاها زعماء امتنا . وأرجو ان تقرأها يا الان .
- سافعل . انا محتاج اليها .
- وتركته وأنا ابلاشفتى . كان الان على حق . كان حرجى شديدا . وبعد ان جلست فى مقعدى الكبير تحت مصباح القراءة جاءتنى مارى بالجريدة . فقلت لها :
- كم أنت سبابة الى كل ما هو مريح . عندى سر اقدمه لك هدية . ان مارجى زارتنى اليوم بدعوى حاجتها الى البن . وعندما تكلمنا عن قراءة الطالع اقترحت عليها ان تكرر المحاولة وتنظر ان كانت النتيجة واحدة .
- لاشك انك لم تفعل هذا ! ..
- بل فعلت . وقالت ان هذا يكون شيئا طريفا .

- وهل تظن انها ستفعل ذلك هذه الليلة ؟
- اظن ان هذا هو سبب حضورها .
- آه . لها . اننى دعوتها للعشاء .
- بعد ان مهدت لذلك من جانبها .
- الحقيقة انت لا تحبها .
- بالعكس . اتنى بدأت احبها واحترمها .
- ليتنى اعرف متى تهزل ومتى تجد ! ..
- وفي هذه اللحظة جاءت ايلين بهدوء حتى لا تستطيع ان تعرف ان كانت تسترق السمع ام لا ، ولكننى اشك انها كانت . ان ايلين فى عامها الثالث عشر حلوة مرحة رقيقة مع ميل الى الكتابة ، وطبع شكس اذا لزم الامر .
- قلت لها وقد جلست على مسند المقعد ملاصقة لى :
- سمعت انك مشغولة بموضوعك .
- الواشى اخبرك بهذا .
- هل هو جميل ؟
- جدا . وساعدك تقراه بعد ان اتمه .
- لى الشرف . اراك لبست استعمادا لوليمة الليلة .
- هذا القستان القديم ؟ اننى ادخر فستانى الجديد لحفلة الكنيسة غدا .
- فكرة جميلة . سوف يكون هناك فتيان .
- اتنى اكره الفتيان .
- اعرف هذا . العداوة هى شعورك . انا شخصيا لا احبهم كثيرا . الان اريد ان اقرأ الجريدة .
- فمالت عنى ، ولكنها قالت تنتقم منى فى الحال :
- متى سوف تصبح غنيا ؟ ..
- نعم . انها سوف تنقص يوما على رجل المستقبل حياته يمثل هذا الأسلوب ، وقد هممت ان اضربها « العلقبة » التى كنت اهدد بها ، خصوصا بعد ان رايت نظرة التشفى فى عينيها ، لكننى امسكت وقلت :
- فى الأسبوع القادم .
- حسنا . الأفضل ان تسرع . اتنى سئمت الفقر .
- واسرعت بالابتعاد . اتنى اهمم بها رغم كل عيوبها .
- كان مكتوبا على الا اقرأ الجريدة . فقد وصلت مارجى .

في الصباح كانت مارجي « الصيادة » التي جاءتني وفي نيتها وملاحها وزينتها الصيد والقنص. أما الآن فكانت الضيفة المحتشمة، الرقيقة ، التواضعة ، الرزينة . وكان مسلكها نحوي كأنني زدت أربعين سنة منذ الصباح . يا للمرأة من مخلوق غريب . اتنى معجب بما تفعله المرأة ، وان كنت لا أفهم له سرا .

وكانت وليمة العشاء سلسلة من عبارات الإعجاب بجودة الطعام ومذاقه . وبعد شرب القهوة أرادت ماري أن تتخلص من وجود « الأولاد » ، فقالت انهما سيتكفلان بفصل الأطباق ، ولكنني انقلت الموقف قائلا :

— لكننا نعطلها عن موعد السينما اذا لم نتمكنها من الخروج الآن لم تكن هناك نية للهابهما الى السينما ، ولكن ماري فهمت ، وتطلعت الى بنظرة اعجاب لم تخل من انزعاج خفي .

وبدا ثلاثتنا يحومون بحذر حول الموضوع الذي كنا نعلم انه آت لا ريب فيه . فقالت ماري مستهلة :

— اننى لا اكاد أفهم ايشان . كان طول عمره يكره قراءة الطالع، ويتندر عنه . فما الذى غير احواله ؟  
فقلت وانا مسترخ في مقعدى الوثير :

— المسألة هي ان ملايين الناس يسعون الى معرفة الطوالع ويدفعون من جيوبهم . وهذا ما يجعل مثلى يهتم بالموضوع كغيره من عباد الله . ثم اننى اود ان اعرف شيئا عن أوراق اللعب التي تكشف الطالع . اننى جاهل ، وكثيرا ما سمعت ان « الفجر » يمارسون هذه العملية . هل انت « عجيبة » ؟

فقلت لمرى عنها :

— ان اسمها الأول كان روسيا ، ولكنها جاءت من الاسكا .

فقلت مارجي موضحة :

— عندي سر مؤتم لم أخبرك به يا ماري، وهو كيف كنا في الاسكا .

فقلت :

— ان الروس كانوا يملكون على الاسكا . وقد اشتريناها منهم .

— نعم . لكن هل عرفتم انها كانت سجنا ، مثل سيبيريا ، ولكن

الاسوا أنواع الجرائم ؟

— اية جرائم ؟

— ان جدنى الكبرى حكم عليها بالنفى والسجن في الاسكا بتهمة

السحر .

- وماذا كانت تفعل ؟  
 - كانت تشر العواصف .  
 فقلت ضاحكا :  
 - فهمت الآن كيف ينطبق عليك هذا الوصف .  
 - تشر العواصف ؟  
 - يعنى تقرا الطوالع . ربما كان نفس الشيء .  
 فقالت ماري : أنت تمزحين .  
 - ربما . لكن هذا حقيقى . كانت هذه جريمة أسوأ من القتل  
 ان أوراقها لا تزال عندى ، وان كانت باللغة الروسية .  
 - أيمكنك ان تقرأى الروسية ؟  
 - قليلا الآن .  
 فقلت : ربما كان السحر هو اسوأ جريمة .  
 فقالت ماري : هل سمعت . انه يقفّر هنا وهناك ، ولا يعرف  
 احد اتجاه تفكيره ! على كل حال أود أن تقرا مارجى الطالع ،  
 ولكن بطريقة الخاصة دون أن تتدخل أنت يا ايثان . اذا جعلنا  
 نتكلم فسوف يعود « الأولاد » ولا تتمكن من شيء .  
 وجئت بمنضدة تنبسط وتنطوى كطلب ماري ، وجلست مارجى  
 فى مقعد مستقيم الظهر كطلبها هي ، وقالت :  
 - ركزوا .  
 - على أى شيء ؟  
 - على لاشيء بقدر ما يمكن .  
 وأخرجت من كيسها مجموعة نظيفة مصقولة من أوراق اللعب ،  
 وان كانت أطول وأضيق من الأوراق المعتادة ، ويزيد عددها عن ٥٢ ورقة .  
 وبدأت مارجى تقلب الأوراق . وكانت أسمائها مكتوبة بالفرنسية :  
 الأمبراطور - الناسك - المركبة - العدالة - الشيطان - الأرض -  
 الشمس - القمر - النجوم ، الى جانب مجموعات من السيوف ،  
 والكؤوس ، والصولجانات ، والنقود . وكانت كل مجموعة مع  
 « ملكها » ، و « ملكتها » ، و « فارسها » . ثم رأيت أوراقا  
 غريبة - مغلقة - برج يشقه برق ، وعجلة للحظ ، ورجل معلق  
 من رجليه فى مشنقة سُمى باسم « الهالك » ، والموت - مرموزا اليه  
 بهيكل عظيم ومنجل .  
 لم أتمالك أن قلت :  
 - مناظر كئيبة . هل تعنى الصور ومدلولاتها ؟



- المسألة متعلقة بحركتها بالنسبة لبعضها البعض . اذا سقطت مقلوبة فانها تعكس المعنى .
- وهل هناك اختلاف في المعنى ؟
- نعم . وهو الاستخلاص والتفسير .
- أين تعلمت هذا ؟
- اعتدت أن أراقب جدتي . وفيما بعد اعتسدت ان امارس العملية كنوع من « الحيل » في الحفلات - لجذب الانتظار فيما اظن .
- وهل تؤمنين بهذا العمل ؟
- لا أعرف . أحيانا تظهر نتائج عجيبة .
- ويدت يداها كشيء حي وهي تخلط الورق وتقسمه ثم تخلطه وتقسمه ثم تقدمه الى لكى أسحب . فقلت لها :
- وماذا أفعل ؟
- فهمت ماري :
- اقرأ يا ايثان ! انظر ان كان يطابق ما ظهر امس !
- فنظرت الى مارجي قائلة :
- أشقر الشعر . أزرق العينين . هل انت تحت الأريمين ؟ ..
- يكاد .
- ملك الصولجان . هذا انت .
- وأخرجت من مجموعة الورق ملكا متوجا وموشحا ممسكا بيده صولجانا كبيرا أحمر وأزرق ، فوضعتهم مكشوفًا واعادت خلط الورق . ثم أخذت قلب الأوراق بسرعة وهي تتكلم بصوت غنائي . ووضعت ورقة فوق ورقتي قائلة : « هذه تقطيك » . ووضعت ورقة أخرى بالعرض قائلة : « وهذه تفسد اعماديك » . ثم نالت فوقها : « وهذه تتوجك » . ثم رابعة تحتها : « وهذه تسندك وتقويك » . بهذا شكلت صليبًا من الورق فوق المنضدة . وبسرعة سحبت أربع ورقات صفتها الى يسار الصليب قائلة : « انت بذاتك ، وبيتك ، وآمالك ، ومستقبلك » . وكانت الورقة الأخيرة هي الرجل المشنوق المسمى بالهالك ، ولكنه بدا من مجلسي حول المنضدة معتدل الوضع . فقلت :
- كل هذا مستقبلي ؟
- فقالت وهي ترسم خطا تحت شفتها السفلى :
- قد يكون المعنى الخلاص والنجاة .
- وقالت ماري :

- هل المال موجود في الطالع ؟  
فأجابت مارجى شاردة الفكر :

- نعم . موجود .  
وفجأة جمعت الأوراق وخلطتها مرارا ثم كسفتها وهي تغمغم  
كلماتها الطقوسية بصوت خافت . وبدأ انها لا تتفحص ورقة بعينها  
ولكن المجموعة كلها في آن واحد ، وكانت نظراتها بعيدة غائمة .  
ياله من تحايل بارع ! فارسة في مجتمعات النساء ! إذا استطعت  
أن تسيطر على الحاضرين وتشد أعصابهم بحيث يكتمون أنفاسهم  
ويرتقبون متشوقين أمدا طويلا ، فسوف يصدقون أى شيء .  
ليست المسألة تصنعا ، بقدر ما هي فن وتوقيت . لاشك ان هذه  
المرأة تضيع موهبتها مع من تصطادهم من مندوبى البيعات . لكن  
ما الذى تريده منا أو منى ؟

فجأة جمعت أوراقها وأعادتها الى علبتها الحمراء قائلة :  
- لا يمكننى اتمام القراءة . هذا يحدث أحيانا .  
فقالّت ماري لاهثة :

- هل رأيت شيئا لا تريدان أن تقوليه ؟  
- آه . أننى أقول كل شيء بصراحة . مرة عندما كنت فتاة  
صغيرة رأيت حية تغير جلدها ، الحية ذات الحرس التى توجد في  
جبل روكى . لقد راقبت العملية كلها . وحدث الآن وأنا انظر الى  
الأوراق انها اختفت من أمام نظرى ، ورأيت تلك الحية تغير جلدها ،  
فكان جزء منه ترايبا مسننا وجزء جديدا غضا . لكم أن تطولوا المعنى .

فقالّت ماري بحماس :  
- ربما كان هذا رمزا لتغير في حظ ايثان سيحدث قريبا .  
- أهو حية ذات جرس ؟  
- آه . فهمت قصدك  
فقالّت مارجى :

- اكاد اشعر بقشعريرة . حدث اننى مرة شعرت ببيل الى  
الحيات ، ثم لما كبرت أصبحت أكرهها . يحسن ان أذهب الآن .  
- يمكن أن يصحبك ايثان الى البيت .  
- هذا بعيد عن تفكيرى .  
- شيء كهذا يسرنى  
فنظرت مارجى الى ماري وقالت باسمّة :  
- احرصى على وجوده دائما بقربك . لايمكنك أن تتصورى ماهو

شعور المرءة بغير وجل .

قالت ماري :

- كلام فارغ . بإمكانك أن تنال زوجا باشارة من اصيبتك .
- هذا ما فعلته من قبل . لكن بلا فائدة . ان من ياتون
- بمثل هذه السهولة لا يستأهلون الاستحواذ عليهم . حاقظي عليه .
- فقد تخطفه منك احداهن . وليمة جميلة . ارجو ان تتكرر .
- أسفة يا ايثان بخصوص الطالع .

- هل ستراك في الكنيسة غدا ؟

- لا . سوف اسافر الى ضاحية مونتوك الليلة .

- لكن الطقس هناك بارد رطب .

- اتنى أحب الصباح على شاطئ البحر هناك .

وخرجت حتى قبل أن اقتح لها الباب - خرجت وكان شيئا  
يطلدها .

وقالت ماري على الأثر :

- ايثان . ماذا تستخلص من قراءة الطالع الليلة ؟

- انها لم تقرأ شيئا .

- انت تنسى . قالت انه قد يكون فيه مال . لكن ما رأيك ؟

اظن انها رأت شيئا لا تريد أن تخبرنا به - شيئا اثار خوفها .

- ربما رأت الحية مرة فبقيت في عقلها .

- لملك لا تظن ان لهذا - معنى ؟

- انت يا حبيبتى خبيرة بالطوالع . كيف لي ان اعرف ؟

- لا بأس . يسرنى على أى حال انك لا تكرهها . كنت اظن

ان هذا هو شعورك .

- انا مخادع . اتنى اخفى افكارى .

- ليس عنى . انها تتكشف في الوقت المناسب . آه . نسينا

« الأولاد » . لنستعد الآن لعودتهم .

## الفصل السادس

كان من عادتي أن أرجيء اتخاذ قرار في موضوع ما إلى حين تدبره وأقلبه على مختلف وجوهه . فإذا انبريت له بعد ذلك أراه وقد اضحى حله واضحا والرأي فيه محمدا . ولا بد أن هذا هو ما يحدث لكل إنسان ، وأن لم يكن لي من سبيل للقطع بهذا . والتعليل يبدو وكأننا قد انعمدت في شعاب العقل ودروبه المظلمة محكمة خاصة وأصدرت في المشكلة قرارها بعد مداوات خفية . وما من شك في أن هذه المداوات الخفية في شعاب العقل ودروبه المظلمة تتجلى آثارها المحتومة فيما يعتبر الإنسان من تغيير مستمر يعمل في الأعماق ولا يطفو إلى السطح إلا بعد حين . والواقع أنني كنت أشعر في العهد الأخير بكثير من الأشياء الصغيرة . وقد بدأت تتخذ أشكالا أكبر ، وكان الأحداث والتجارب في حياتي كانت تتصارع لكي تدفعني في اتجاه مضاد لوجهتي الطبيعية أو التي كنت أظنها طبيعية - وجهة بائع محل البقالة ، الخائب ، الإنسان الذي لا أمل أمامه ولا هدف ، الذي شدت أمامه المسالك بما يحمل من أعباء أطعام بطون وكسوة أجساد أسرته ، المقيد بأنماط وعادات ومذاهب كنت أعدها فاضلة قديمة . بل يسوغ لي أن أقول أنني كنت مطمئنا إلى اندراجي تحت وصف ما يسمونه « الرجل الصالح » .

ومن المؤكد أنني لم أكن غافلا عما يدور من حولي في أرجاء بيئتي المحدودة . كان القاضي دوركاس يتصرف في بعض القضايا الصغيرة مثل قضايا مخالفات المرور تصرفات فيها مجال لتبادل الخدمات والمنافع . وكان العمدة ، الذي هو أيضا صاحب مؤسسة بود لمواد البناء ، يبيع المواد للبلدية بأثمان مرتفعة ، وبعضها مما لا يحتاجون إليه . وعندما كان يتقرر شق شارع جديد ووصفه ، كان يحدث دائما أن يكون مستر بيكر وماروللو وزمرة أخرى من كبار رجال الأعمال سباقين إلى شراء قطع الأراضي على جوانب الشارع حتى قبل إعلان المشروع . كانت هذه الأشياء هي الظواهر الطبيعية المألوفة ،

ولكننى كنت اعتقد دائما انها ليست موائمة لطبيعتى . وقد رأيت ماروللو ويكر ومندوب البيعات ومارجى وجو مورفى يكرونى برفق بل يكادون يستحثونى ، الى حد ان ابعائهم وتلميحاتهم بدأ يكون لها مكان من تفكيرى وعنائى .

وقد كان يجب ان اتام هذه الليلة نوما عميقا بعد بقظة الليلة الفائتة أسوة بحبيبتي ماري التى استغرقت فى اهنأ نوم ، لكن هذا لم يحدث . فان « النقط الحمراء » ظلت تسبح أمام عينى بلا انقطاع . وصحيح اننى رحبت بها لكى افكر فى موضوعات شتى مثل موضوع « مسابقة أحب أمريكا » التى سيشارك فيها ولداى ، ولكن الجانب الأوفر من تفكيرى كان ينصب على التأمل فيما هو حادث لى من هذا التغيير وفيما ينبغى أن أفعل حياله ، ثم الفيت فجأة ان مؤتمر المداولات الخفية فى شعاب العقل ودروبه المظلمة قد فصل فى الأمر بقراره وأوضح الطريق أمامى بما لا يس فيه ولا غموض . والظاهر اننى كنت آخر من يعلم . فطوال اليوم كان الناس يلاحظون اننى أبدو أحسن حالا ، وكان قصدهم اننى أبدو مختلفا ، متغيرا عن سابق حالى ، وأكثر ثقة بنفسى . ودليل ذلك ان مندوب البيعات قد فوجيء بما لمسه من تغيير فى مسلكى . وماروللو ذهب يتفحصنى مستربيا متشككا . وجو مورفى كان يبدى تعليقات عميقة المضمون . ثم جاءت مارجى « الصيادة الشابة » التى لعلها كانت أنفذهم ذكاء بقصتها عن الحية . لاشك انها استطاعت بطريقة ما ان تكشف حقيقة واقعة عنى قبلما تهبأ لى اكتشافها . وكان الرمز هو قصة الحية ذات الجرس .

ثم ان هيكل التغيير الجادة فى نفسى كان يستهدف لضغوط من خارجى : تمثلت فى رغبات آلان ومشتهياله ، وغمـزات ايلين وتلميحاتها ، وما وعد به مستر بيكر من مساعدات .

وحين كنت أمارى فى هذا التغيير كان يعرض لى أحيانا هذا السؤال : افرض ان كونك بائعا متواضعا على الدوام وبلا أمل فى التغيير لم يكن فضيلة ولا استقامة ولكن لونا من الخمول والتراخى وفقر الهمة ! ان النجاح فى أى شئ يتطلب جرأة واقداما . وربما كنت مترددا هيابا ، خائفا من النتائج . ان الأعمال الناجحة فى بلدتنا ليست معقدة ولا مبهمة ، ولو جرى استقصاء وتحقيق الجرائم المتعلقة بالأعمال الحكومية والنشاطات الفردية فى البلدة لوجد ان مئات القوانين والقواعد الأخلاقية قد انتهكت ، وأن عدت

من قبيل الانتهاكات اليسيرة والمخالفات الهينة. واعرف رجل الأعمال الناجح عندنا اذا نال ما يريد ، عمد الى تطيب نوازع الفضيلة عنده بأسهل مما يضر قميصه . وكأني بهم يقولون : اذا كانت الجرائم الصغيرة تفتقر وتتجاوز عنها ، فلم لا يكون المثل مع كبرياتها ؟ ان مستر بيكر مثلا لم يقتل ابي ، لكنه عمل من طرف خفى على احراق السفينة « بيل آدير » وغرقها للفوز بالتأمين . اليس هذا من كبريات الجرائم؟ وهل تجد بين الثروات الكبرى التي نعتب بها ثروة لم تحقق بالفتك والتجرد من نوازع الخلق ؟ لا اجد بينها ما لا ينطبق عليه هذا الوصف .

ولو اتنى وضعت قواعد الاخلاق جانبا الى حين ، فمما لاشك فيه اننى ساكون عرضة لجراح كثيرة . لكن هل ستكون جراحا اسوأ واتكى من جراحى الحالية - جراح الفشل والاحباط ؟ اذا كان للانسان ان يبقى على قيد الحياة ، فلا مفر من هذه الجراح . لكن اذا انا فتحت على نفسى هذا الباب ، فهل تكون لى القدرة على اغلاقه مرة اخرى ؟ لا ادرى . ما يكون لى ان اعرف حتى أفتحه ... وهل كان مستر بيكر يعرف ؟ وهل فكر مستر بيكر فى شىء من هذا ؟ كان ابي يعلم ان أسرة بيكر احرقت سفينة « بيل آدير » للحصول على التأمين . فهل كان هذا هو السبب الذى من اجله يسعى مستر بيكر لمساعدتى ؟ هل كانت هذه هى « الجراح » التي عقلت به فى المعترك المتصارع ؟

كان من عادتى اذا ابهمت على المسالك ان الجأ الى جدى الاكبر استشيريه فى خيالى وأستمد منه الحكمة وفصل الخطاب . وفى هذا الموقف رايتنى أسأله فى خيالى :

- هل أمضى بسفينتى فى هذا الطريق ؟ هو طريق آمن ؟ وهل يوصلنى الى بر السلامة ابها الربان المجرب ؟

ولكن لأول مرة الفيته يرض على بالرأى الهادى ، اذ قال :  
- لا بد لك ان تختار الطريق بنفسك . ان ما ينفع انسانا قد يضر غيره ، ولن تعرف النافع من الضار الا فيما بعد .

هكذا ضمن على العجوز الداهية بنصحه . لكن ربما لم يكن هذا ليفير من الأمر شيئا . فلا أحد يريد النصح واتما يريد التأييد والتأكيد .

## الفصل السابع

كان افطار احد الفصح رائعا بما اشتمل عليه من البيض الملون والفطائر واللحم المقدد . ولم يكد النهار يتقدم حتى فوجئنا بزيارة ماروللو لنا في البيت لأول مرة ، ولما دعوته الى الجلوس قال لي :  
- لا . عندي لك كلمة واحدة . لقد سمعت عن تلك الهدية التي قدمها لك ذلك المندوب المتجول ، وسمعت كيف طردته .

- من اخبرك ؟

فاجاب باسمنا : لا يمكن ان اقول .

- لابس . وماذا عنها ؟ هل تريد ان تقول انه كان يجب ان اقبلها ؟

فتقدم مني وصادفني بقوة قائلا :

- انت شخص امين .

- ربما لم يقدم لي ما فيه الكفاية ؟

- هل تمزح ؟ انت شخص امين .

ومد يده الى جيبه المنتفخ واخرج منه كيسا قائلا وهو يرتعلي  
كفي :

- خذ هذا .

واتابه الارتباك والحرج ، فاستدار وولى هاربا .

نظرت الى الكيس ، فكان به بيض الفصح الملحي الملون ، وهو متوافر عندنا في محل البقالة . ولما قلت لماري ان ماروللو جاء بهدية  
للأولاد قالت بدهشة :

- ماروللو ؟ يقدم هدية ؟ لا يمكن ان اصدق !

- هذا ما حدث .

- لماذا ؟ انه لم يفعل ابدا شيئا كهذا !

- اظن انه يجبنى .

- هل هناك شيء لا أعرفه ؟

- بلزهرتي الجميلة . ان الحياة فيها مئات ملايين الأشياء التي

لا نعرفها .

كان موعدنا اليوم لزيارة أسرة بيكر .  
 ولا يمكن ان يعرف الانسان اناسا مثل أسرة بيكر ما لم يكن يعرفهم منذ نشأته . ان التعارف السطحي ، بل الصداقة ، كلاهما شيء مختلف عن هذا . وكنت أعرفهم لأن أسرة هاولي وأسرة بيكر كانتا متماثلتين في الحسب والنسب ، والنشأ ، وتجارب الحياة ، والثروة . ومن شأن هذا ان يحصل الأمرين في شبه نطاق خاص بهما بعيدا عن الدخلاء . وبعد أن فقد أبى ثروته ، لم تقفل أسرة بيكر الباب في وجهي ، وبقيت مقبولا لديهم بحكم الصلات الوثيقة التي جمعت في الماضي بين الأمرين . ولكنني معدود من الفقراء . والأعيان بلا مال لا يبقون معدودين من الأعيان . ان ابني الآن ، بلا مال ، ان يعرف آل بيكر ، وابنه سوف يكون دخيلا عليهم ، مهما يكن من اسمه وحسب أسرته . لقد أصبحنا مزارعين بلا أرض ، قادة بلا جنود ، فرسانا على الأقدام . ومن غير الممكن ان نبقى محتفظين بوجودنا . وربما كان هذا هو احد أسباب «التغيير» الذي كان حادثا لي في هذه الآونة . انني لا أريد المال ، ولم أرده في أي وقت سابق ، من أجل المال . لكن المال ضروري للحفاظ على وضعي في النطاق الذي اعتدته والذي يكفل لي الأمن والاستقرار . ولا بد ان كل هذا قد تفاعل في الشباب والدروب المظلمة من عقلي ، ثم طفا على السطح لا كتفكير ، بل اقتناع .  
 لقد استقبلتنا مسز بيكر بحفاوة قائلة :

— مساء الخير . أننا سعداء برؤياكم . الحقيقة انك أهملتنا مدة يا ماري . ألم يكن هذا اليوم رائعا ، خصوصا حفلة القديس ؟  
 وقال مستر بيكر :

— أننا لانراكم كثيرا . انني أتذكر جدك الكابتن هاولي عندما جلس في نفس هذا القعد وراح يتحدث عن الأسيان القلبيين الذين أغرقوا الأسطول الرئيسي . لقد بلغ من شدة انفعاله انه أراق الشاي الذي كان يشربه ، وان لم يكن شايا صرفا ، اذ كان جدك معتادا ان يشرب « اللوم » تحت طبقة من الشاي ! انه كان رجلا قوي الشكيمة ، وان عنده بعض الناس شديد الخصومة .

هكذا سنحت لي الفرصة للتحدث عن أسرنا ، فقلت ونحن جلوس حول مائدة الشاي :

— مستر بيكر . لسنا في حاجة الى استعراض الماضي كله وأنت خير من يعرفه . أنت تعرف الظروف التي جعلت والذي يفقد ثروة



- الأسرة . كنت انا وقتهم بها احارب مع الجيش في الخارج .  
فكيف حدث هذا ؟ ..
- لم يكن يقصد الى ما حدث ، ولكن تقديراته ...
  - انا أعرف انه لم يكن موفور الخبرة بأحوال الدنيا . لكن كيف حدث ما حدث ؟
  - الحقيقة ان ذلك كان في فترة استثمارات اتسمت بالمجازفة . وقد جازف في استثماراته .
  - ألم يجد من يقدم له النصح ؟
  - انه وضع أمواله في العتاد الحربي الذي كان وقتها قد وصل الى درجة التشيع . وعندما الغيت الارتباطات المبرمة ، فقد أمواله .
  - انك وقتها كنت في واشنطن . فهل كنت تعلم بأمر الارتباطات التي تقرر الفلأوها ؟
  - بطريقة عامة فقط .
  - ولكن بالدرجة الكافية التي جعلتك انت لا تستثمر .
  - لا . لم يحدث هذا .
  - هل قدمت النصح لأبي بصدد الاستثمارات ؟
  - كنت في واشنطن .
  - لكنك كنت تعرف انه اقترض الأموال التي استثمرها ، برهن ممتلكات أسرة هاولي ؟
  - نعم ، عرفت هذا .
  - وهل نصحته بعدم المجازفة ؟
  - كنت في واشنطن .
  - ولكن بنكك حبس الرهينة .
  - أنت تعرف يا ايثان ان البنك غير مخير .
  - نعم أعرف . ومع ذلك فقد كان من المخجل انك لم تستطع تقديم النصح اليه .
  - لا يجب ان تلومه يا ايثان .
  - انا لا ألوم بعد ان فهمت الموقف الآن . لكنني لم اكن أعرف حقيقة ما حدث على وجه التحديد .
  - اعتقد ان هذا « الهجوم » المفاجيء من ناحيتي قد أفقد مستر بيكر عنصر المبالاة . وراح يفكر في مبادأة جديدة يفتتح بها الحديث ، فسئل . وتمخط ، ومسح عينيه ، وصقل نظارته .
  - وعندما استعد للحديث قلت له :

- أنا اعرف انه لا حق لى فى ان اطلب منك المساعدة . ولكنك انت نفسك اثرت اكثر من مرة الى موضوع الاتصال الطويل بين العائلتين . واقول بصراحة بامستر بيكر انه لم يكن فى نيته ان انبش الجروح القديمة . اتنى اريد فقط ان اعيد تأهيل نفسى للمستقبل .  
- هذه هى الروح الطلوبة يا ايثان . جاء وقت حسبت فيه انك فقدت الروح الاصيلة لأسرة هاولى .

- كان ذلك فعلا . او ربما لم اعمل على تنمية هذه الروح .  
والآن وقد عرضت ان تمد يد المساعدة ، فمن اين يمكن ان ابدأ ؟  
- المشكلة هى انك فى حاجة الى رأس مال ، لكى تبدأ ..  
- اعرف هذا . لكن توفر رأس المال ، فمن اين ابدأ ؟  
فقال بيكر :

- لا بد ان هذا الكلام سيبدو مملا للسيدات . وربما كان الأفضل ان تنتقل الى حجرة المكتبة .  
فنهضت مسز بيكر قائلة :

- كنت على وشك ان اسأل ماري ان تساعدنى فى اختيار ورق للحائط فى غرفة النوم الكبيرة . « العينات » موجودة فوق يا ماري .

ويعد انسحاب السيدتين قال مستر بيكر :  
- قلت ان مشكلتك هى رأس المال يا ايثان . ان بيتك خلو من الرهون . بإمكانك ان ترهنه بقرض .  
- لا يمكن ان افعل هذا .

- بإمكانى ان احترم رأيك . لكن هذا هو المورد الوحيد المتاح .  
ثم هناك مال ماري الذى حدثتنى عنه ، هو ليس بالكثير ، لكن ببعض المال يمكنك ان تستزيد من المال .

- لا اريد ان أمس مالها . انه ضمانها للمستقبل .  
- انه حساب مشترك فى البنك ، ولا يربح شيئاً .  
- لنقل اتنى تغلبت على معارضتى . فما الذى عندك من مصادر الاستثمار ؟

فمسح زجاج نظارته بعناية بالغة ، وقال :  
- ان ما سأقوله لا بد ان يبقى محل الحكمان .  
- بالطبع .

- من حسن الحظ أنا اعرف انك لا تكثر من الكلام . لم يكن فى أسرة هاولى من هو كذلك ، باستثناء والدك . والآن ، اتنى

أعرف كرجل أعمال أن بلدة « نيو بايتاون » سوف تنمو ، وكل شيء يساعد على نموها . وازدهارها : من ميناء ، وشواطئ ، ومسالك مائية داخلية . وما هو الا أن تبدأ في النمو ، فلن يعوقها شيء . ويتمين على رجل الأعمال أن يساعدها في عملية التنمية .  
- ويجنى نصيبا من الأرباح .  
- طبيعي .

- ولماذا لم تحدث هذه التنمية في الماضي ؟  
- أظن أنك تعرف السبب : وهم رجال مجلس البلدة المتخلفون .  
انهم يعوقون كل تقدم .

كان يستهويني دائما أن أرى كيف أن حوافز الريح تلبس مسوح الغيرة على الصالح العام . وبتجريد مستر بيكر من ظواهر الغيرة على الصالح العام هذه ، يبدو كما هو في حقيقته ، فهو وقلة مختارة معه ، يظنون يساندون الإدارة المالية للبلدة الى أن يتمكنوا من شراء أو السيطرة على كافة المرافق المقبلة ، وعندئذ لا يلبثون أن يطيحوا بالمجلس القائم والعمدة التحالي لأفراح المجال للتنمية والتقدم ، ثم يتكشف بعد ذلك أنهم يستحوذون على كل مصدر يمكن أن تتحقق التنمية عن طريقه . ومن الناحية العاطفية البحتة كان راقبا في أشرأكي للإسهام بنصيب يسير ، وأن لم يبين لي طبيعة الأعمال واقتصر كلامه على حدود العموميات . ثم أن انتخابات البلدة سوف تجرى في السابع من يوليو ، وعندما يحل هذا الموعد يكون الجماعة التي ترفع شعار التقدم قد سيطرت على كافة مجالات التنمية والتقدم .

قلت له مع ذلك :

- لا بد أن أفكر في هذا ياسيدي ، وما هو سهل لك اعتبره لغزا بالنسبة لي . ثم انه لا بد لي من مناقشة المسألة مع ماري .  
فقال : في هذه النقطة أراك على خطأ . فالعصر النسائي لا مجال له في مسائل الأعمال ، فيما أظن .

- لكن المال مالها الموروث .  
- المهم أن تنمي لها المال وتقدمه هدية لها . انهن يفضلن هذه المفاجأة .

- أرجو الا أبذو في نظرك يامستر بيكر شخصا جاحدا لفضلك .  
لا بد لي من التفكير . هل سمعت أن ماروللو سوف يذهب الى إيطاليا ؟

- فبدت في عينيه نظرة حادة وهو يقول :
- نهائيا ؟
- لا مجرد زيارة .
- حسنا . أرجو أن يتخذ خطوة لتأمينك في حالة حدوث شيء له . انه ليس بالصغير السن ، هل حرر وصيته ؟
- لا اعرف .
- لو ان بعض اقاربه تدخلوا ، فقد تجد نفسك بلا عمل .
- فلجات الى أسلوب الغموض قائلا :
- انك اعطيتني مادة للتفكير . لكنني اتساءل ان كان يمكنك ان تعطيني فكرة صغيرة عن متى تبدأ .
- بإمكانى ان أقول لك هذا . ان التنمية تتوقف الى حد كبير على المواصلات .
- ان الطرق الكبرى آخذة في الزيادة .
- ومع ذلك فالوقت طويل أمامها . ان نوعية الرجال ونوعية الأموال التي نزيد اجتدابهم واجتدابها لن يصلوا الا عن طريق الجو .
- وليس عندنا مطار ؟
- هذا صحيح .
- وفضلا عن ذلك فليس عندنا مكان لانشاء مطار دون هدم التلال المحيطة بالبلدة .
- وهي عملية باهظة التكاليف .
- اذن فما هي خطتك ؟
- ايثان . لا بد ان تثق بي وتسامحني . لايمكننى ان أقول لك هذا في الوقت الحالي . لكننى أعدك اذا أمكنك تدبير رأس مال ، فإننى سأعمل على وجودك في طليعة المستفيدين . ان العائلات القديمة لا بد ان تتساند وتتكاثر .
- هل ماروللو في المجموعة ؟
- لا بالتأكيد . انه يمضي في طريقه الخاص مع أبناء جلدته .
- انهم يشرون هنا ، اليس كذلك ؟
- أكثر من اللازم . اننى لا احب ان ارى هؤلاء الاجانب يزاحمون ويتسللون .
- والسابع من يوليو هو الاختبار الحاسم ؟
- هل انا قلت هذا ؟
- لا . مجرد تخمين من جانبى .

- لا بد انه كذلك .
- وعند هذا الحد عادت مارى بعد انتهاء مشاورات ورق الحائط .
- وعلى الأثر قمنا بواجب الاستئذان وسرنا الهويينا عائدين الى البيت .
- ولما سألتنى عن نتيجة اللقاء قلت لها :
- يريد ان أستخدم مالك كبداية اقوم بها . اما انا فلا اريدهذا .
- انا اعرف انك تفكر فى امرى يا عزيزى . لكننى اقول لك انك اذا لم تعمل بنصيحته فانك احمق .
- ولما حاولت قالت بعزم :
- خذ كلامى هذا يا ايشان : اذا لم تفعل ما يشير به عليك ، فسوف آخذ المال وأسلمه له ييدى .
- ثم اضافت فجأة :
- هل نسيت ما قاله الطالع ؟
- يا الهى ! الطالع مرة اخرى !
- ان اعتقادى فيه راسخ .
- لو اننى ضيعت مالك لكرهتنى .
- لن اكرهك . انت طالعى ومالى . هذا ما قالت لى مارجى .
- وعندما رأتنى اعارضها قالت فجأة بلهجة التهكم :
- امن اجل الحرص على المال تستكثر علينا المزيد ؟ اليس من حقى ان تكون لنا ستائر جديدة وماء ساخن يكفى لحمام أربعة اشخاص فى نفس اليوم وغسل الأطباق به ايضا ؟
- ليست المسألة هى هذا يا محبوتى . اننى اخشى العواقب التى تجلبها كثرة المال .
- واذا هى تقول بشراسة :
- اسمعوا وعوا ! ها هو ذال بائع فى محل بقالة لا يملك شيئاً ويشغل باله بما سيكون عليه الحال بمسد الفنى ! انك تتصرف وكأنك تستطيع تحقيق الثراء فى أى وقت تريده ؟
- اظن ان هذا بإمكانى .
- كيف ؟
- هذه هى المشكلة .
- انت لا تعرف ، والا لفلت هذا قبل الآن .
- هذا مجرد « تهويش » منك . دائماً « تهويش » .
- وسرنا فى ظلام الليل الى البيت دون ان نتبادل كلاماً آخر .

## الفصل الثامن

بدأ لي ذات مساء أن أزهق ذاتي تيلور في الجبر العفن الذي يعيش فيه ، فرايت شحة مخلبة في طبق قرب سريره النقالى ، وكان في شر حال من الهزال والمرض ، وكان يصعب إلا يشعر الإنسان بالفثيان لرائحة المكان القدر والرجل القدر. وكان مفتوح المينين جامدهما ، وقد توقفت أن أراه يهلى بالحمى . فكانت صدمة لي أن سمعته يتكلم بوضوح وبالنبيرات والأسلوب التي عهدتها في ذاتي تيلور .

قال لي : ما الذي عريده يا ابنت ؟

- أريد مساعدتك . أنت مريض .

- هل تظن أنني لا أعرف هذا ؟ أنني أعرف أكثر من أي إنسان .

وتحسس تحلف الفراش وجهه برجاجة ويسكى مليئة إلى ثلثها ،

وقال : أناخذ جرعة ؟

- لا ياداني . هذا ويسكى فال .

- عندي أصحاب .

- من أعطاك الزجاجة ؟

- ليس هذا من شأنك يا ابنت .

وتناول جرعة ، فصعد التلون إلى وجهي ، وأردف قائلا :

- أن صاحبي أريد أن يتكلم في الأعمال ، لمكني استغفله .

أنني تظاهرت بالإغماء قبل أن يستمر في الكلام . هل تريد أن

تتكلم في الأعمال يا ابنت ؟ لأنه يمكن أن أشعر بالإغماء مرة ثانية!

- هل تشعر بأي إحساس من ناحيتي ياداني؟ أي ثقة... أي شعور؟

- بالتأكيد . لكن إذا نظرنا في الأمر فأنني سكير ، ومشاعر

السكير كلها في الخمر .

- لو أمكنني أن أدير المال اللازم ، فهل تقبل أن تتقدم للعلاج؟

والرزع في الموضوع أنه استحال بسرعة إلى طبعه الأصلي، وقال :

- يمكن أن أقول أنني أقبل يا ابنت . لكنك لا تعرف طبيعة

- السكر . اتنى قد آخذ المال وأسكر به عن آخره .
- لنفرض اننى دفعتك مباشرة الى المستشفى او دار العلاج ؟
- من السهل ان اذهب مشعبا بكافة النوايا الطيبة ، ثم اخرج بعد ايام قليلة . لايمكنك ان تاتمن سكرى يا ايت .
- ألا تريد ان تنقذ نفسك من هذه الحالة يادانى ؟
- اظن اننى لا اريد .
- ثم تناول جرعة اخرى من الزجاجة وقال على اثرها بصفاة غريب:
- لقد عرضت ان تقدم اجر علاجى يا ايت . لكنك لا تملك المال اللازم .
- بامكانى تدبيره . ان مارى ورثت بعض المال من اخيها .
- وتريد ان تعطينى هذا المال ؟
- نعم .
- حتى برغم قولى لك ؟ لا تثق بسكرى . حتى برغم تاكيدى لك
- ايتى قد آخذ مالك واحطم قلبك ؟
- انك تحطم قلبى الان يادانى .
- وخطرت لى فكرة فاضفت قائلا :
- هل كان بيكر هو الذى اعطاك زجاجة الويسكى ؟
- نعم .
- هل اراد ان توقع له على شىء ؟
- نعم . لكننى تملصت بالإغماء .
- قال هذا ضاحكا ثم رفع الزجاجة الى شفتيه ، فقلت له :
- هذا ما اردت ان اقول لك يادانى . هل كان يريد منك ان تبيع له ارض قصر العائلة المهدم فى الريف ؟
- نعم .
- كيف حدث انك لم تبعها حتى الان ؟
- لآتنى اظن من الاشراف ، ولا ينقصنى الا اخلاقهم .
- لا تبع الأرض يادانى . تمسك بها .
- وماذا يهتك منها . ولم لا ؟
- من اجل كرامتك .
- لم تبقى لى كرامة . حسب قديم فقط .
- على كل حال لا تبع الأرض يادانى . انها ذات قيمة كبيرة .
- وبيكر يعلم هذا . فهو لا يشتري شيئا لا تكون له قيمة .
- وما قيمتها المحتملة ؟

- انها المكان الوحيد الذى يصلح لاقامة مطار .
- فهمت .
- اذا تمسكت ، فيمكن ان تكون هذه بداية جديدة لك يادانى .
- بإمكانك ان تباشر العلاج ، وبعد شفائك سوف تجد عشاً مليئاً بالبيض .
- ربما . لكن الأفضل ان ابيعها وأشرب بشئها .
- ثم اردف بضحكة غريبة :
- هل تريد الأرض يا ايثان ؟ هل لهذا سبب جئت الى هنا ؟
- اريدك ان تكون بخير .
- انا بخير .
- اسمع يادانى . انت تملك شيئاً يريدُه جماعة من المواطنين بعيدو النظر ويحتاجونه . وقد سمعت انهم يفكرون فى وضعك فى احدى المصحات لكى تنال ما تحتاج اليه من علاج .
- انهم لا يجسرون على هذا .
- بل يستطيعون . ان القاضى يمكنه الحكم بعدم اهليتك لادارة العقار ، وتعيين حارس عليها ، وأستطيع ان اضمن من سيكون .
- وسوف يكون لكل هذا تكاليف كثيرة ، وهكذا تباع ارضك لتغطية التكاليف ، ولك ان تخمن من سيكون المشتري .
- لمعت عيناه وراح يصغى منفرج الشفتين ، وما لبث ان قال :
- انت تحاول تخويفى يا ايث .
- لكننى قلت لك ما سوف يحدث .
- اننى اوافقك . لكن السكر له أيضا قدراته الخاصة .
- بإمكانى ان اقاومهم ، وانا على استعداد لهذا منذ هذه اللحظة .
- يا لك من شجاع ! هذا ما اردت ان اسمعه منك .
- فنظر الى من فوق عنق زجاجة الويسكى كما ينظر من فوق بندقية ، وقال :
- هل تقرضنى نقود مارى ؟
- نعم .
- بغير ضمان ؟
- نعم .
- مع علمك بان فرصة استردادها هى بنسبة واحد الى الف ؟
- نعم .
- هناك شئ قبيح فى السكر يا ايثان . اننى لا اصدقك . هل تضع النقود بين يدى ؟



- في أى وقت تشاء .
- رفع الزجاجة الى شفتيه وشرب منها طويلا . ثم قال وقد زادت عيناه لمعانا وان بدتا باردتين كعيني أفعى :
- هل يمكنك احضار النقود هذا الأسبوع يا ايت ؟
- نعم .
- يوم الأربعاء ؟
- نعم .
- هل معك الآن دولاران ؟
- لم يكن معى مصادفة أكثر من هذا القدر ، وكانت نقودا ثرية فاحتواها في راحة يده الممدودة . وقد عمد الى الزجاجة فأفرغ باقيا ثم ألقاها على الأرض قائلا :
- هل تعرف يا ايت ان العلاج يكلف حوالى ألف دولار ؟
- ليكن .
- هذا مضحك يا ايت . انت تتصور اننى سأقدم ارضى كضمان ، وتراهن في نفسك على ان شرايا بقيمة ألف دولار سوف يقتلنى ، وهكذا يسقط مطار في خجرك كما تسقط الثمرة .. !
- هذا كلام سخيف يادانى . الا يمكنك ان تتصور ان قصدى هو خيرك ؟
- لا . ومع ذلك فاننى سأصرف بطريقتى الخاصة . اننى أشعر بجفاف ، والزجاجة قد فرغت . سأخرج الآن . والتمن هو ألف دولار .
- كما تشاء .
- والمبلغ بالنقد يوم الأربعاء .
- سوف أحضره .
- لامكاتبات ، ولا امضاءات ، ولا أى شيء . لا تعتمد يا ايت على الصداقة التى جمعتنا في الماضى . انا غير مدين لك بأى ولاء ولا ارتباط . وما سوف تناله لن يكون أكثر من ضحكة من الأعماق .
- كل ما اطلبه منك هو ان تحاول .
- أعبك بهذا يا ايت . لكن آمل ان اكون اقنعتك ما هو وعد السكر . ما عليك الا احضار النقود . ولك ان تبقى الآن ماشئت ، فان بيتى هو بيتك . انا خارج الآن . أراك يوم الأربعاء يا ايت . وانحدر من الفرائش وسار الى الخارج مترنحا متطاوحا .
- لبثت مكانى برهة أراقب ذوب الشمعة وهو يتساقط في الطبق .

كنت واثقا ان في ذلك « الحطام » شيئا يبور الآمال التي تعلقت  
لانتشال داني تيلور من هدمته . وبعد فترة موحشة اطفأت  
الشمعة وعدت الى بيتي .  
كانت ماري نائمة وقد افتر فرها عن ابتسامة هائلة . وعندما  
تسللت الى جانبها في القرائى افاقت وقالت :

- اظن انك جوعان .  
- نعم يا نور عيني .  
- وماذا تريد ؟  
- شطائر بها بصل .  
- ساعد لك ولي شطيرتين .  
وهبطت الى المطبخ ثم عادت بعد قليل ومعها الشطيرتان وكوبا  
لبن . فقلت بين المضح والمضغ والشرب :

- اريد الف دولار .  
- هل المسألة تتعلق بشيء قاله لك مستر بيكر ؟  
- الى حد ما . ولكنها مسألة ستبقى سرية .  
- لا بأس . اكتب الشيك .  
- لا يا حبيبتي . اريد منك المبلغ نقدا . ولك ان تدعى في  
البنك انك سوف تشتريين اثانا او سجادا جديدا او أى شيء .  
- ومتى تريد المبلغ ؟  
- غدا .

- ان هذه البصلة حامية . ان رائحتى ستفوح كريهة .  
- أنت محبوبتى دائما .  
- لا يمكنى أن انسى حكاية ماروللو وحضوره الينا بكيس الحلوى .  
- لله في خلقه شئون .. !  
- هل ستعود الى الهنر ؟ هيا بنا ننام .

لكن النوم كان مستعصبا . وظلت البقع الحمراء تسبح امام عيني .  
رحت اسائل نفسى : الآن وقد وطنت النفس على تفير طريقي ،  
فهل أستطيع وقف العجلة عن البهوان الى الغاية المنشودة؟ شعرت  
ان هذا ممكن ، لكننى قدرت اننى لا اريد .

وفي استعراضى للأحداث كانت تتكشف لى تفصيلات لم افطن  
اليها وقتها . ان ماري على حق في استغرابها لزيارة ماروللو . اننى  
رايت في هذا بادرة للشكر على اننى لم اخن عهد الأمانة والصدق .  
لكن تساؤل ماري جعلنى اعيد التفكير حتى بدت لى زاوية فاتتنى

في حينها . إن ماروللو لم يكافئني من شيء مضي ، ولكنه جاء « يرشوني » عن أشياء قادمة . أنه لا يهتم بي إلا من حيث أن أكون نافعا له . ولا بد أنه يريد شيئا مني أو يحتاج إلى شيء . ويوسى أن اكتشف هذا . فلو اتنى سألته شيئا كان يرفضه عادة ثم أجابني إليه ، إذن لتهيا لي أن أعرف أنه واقع في ورطة شديدة .

وفي إبان هذه الخواطر سمعت فجأة صرير درجات السلم الخشبية الصيقة ، وبدأ لي أن أيلين لأبد أن تكون عادت إلى عاداتها السابقة من السر أثناء نومها .

اتنى أحب إيلين بالطبع ، لكنها تخيفني أحيانا . انها تغار من أخيها ، ويخيل إلى أحيانا انها تغار مني .

كانت تمر في هذه الفترة العسيرة من حياة المراهقات التي يكتنفها الغموض والتي تلوذ فيها البنات بالتكتم والسرية . وهذا مادقنني إلى مراقبة حركاتها عن كثب وملاحظة دوراتها الخفية في البيت . جيئة وذهابا . كانت مثل قطة ليلية . وقامت عندها عادة المشي أثناء النوم . وعندما سمعت الآن وقع خطواتها وهي تهبط السلم هطلت بهدوء من جانب مارى المستغرقة في النوم ولبست رداء الحمام وانجحت إلى السلم خفيف الوطء ، إيماننا مني بأن السائر في غومه ينبغي ألا يعوقض بصنف .

كنت أعرف بخبرني أن الهبوط في سلم بيتنا من ناحية الحائط لا يحدث صريرا . وهكذا هبطت دون أن يسمع لوقع قدمي صرير . وكان الظلام سائدا إلا من انعكاس ضوء مصباح الشارع ، وذلك التوهج النوراني الذي بدأ لي أنه ينبعث من رداء إيلين الأبيض حتى بدأ في الظلام كهالة تحف بها .

لقد وقع نظري عليها واقفة أمام الدولاب الزجاجي الواجهة الذي نحفظ فيه بمخلفات قلوبخ للأسرة التي كلسها أجملدي من رحلاتهم الطويلة في سفن صيد الحيتان عبر بحار العالم .

كنت أعد هذا الدولاب مكانا مقدسا أمتز بدخائره ، وعلى الأخص ذلك الحجر المكور نصف الشفاف الذي يبلغ محيطه أربع بوصات وبوصة ونصفا عند قمته المستديرة . وكان لهذا الحجر خاصية غريبة : فهو يبدو وكأنه كائن حي ، وملمسه به طراوة بسيرة كاللحم ، حتى كالتنبت منه دائما حرارة عقب اللامسة .

كان هذا الحجر السحري العجيب الذي جاء به أجدادي من

الصين معدودا لدى الأسرة « تعويذة الحظ » التي يتفاعل بها كل إنسان . وكان للدولاب قفل نحاسى عتيق به مفتاح نحاسى مربع يترك دائما في القفل .

والآن قد وقع نظرى على ابنتى النائمة ممسكة بالحجر بين يديها تداعبه بأصابعها وتدله كأنما هو كائن حى وتضمه الى صدرها الصغير وتضعه على خدها وتهدهده كجرو وتشدو بأغنية خافتة تشف عن الحنين والبهجة . وكانت فى ابنتى أحيانا نزعة مدمرة حتى خشيت أول الأمر أن تتجه الى تحطيم الحجر السحرى أو تعمل على اخفائه فى مكان بعيد ، بيد اننى رأيتها الآن كام ، وعاشقة ، وطفلة ، اجتمعن بين جوانحها .

لقد خفت أن افزعها اذا ايقظتها . لكنى مالى ادخل ؟ لم يكن هذا كابوسا مليئا بالآلم أو الخوف ، بل كان شيئا أقرب الى المسرة والاندماج فيما لا يدركه العقل الواعى ، فلماذا أفسد عليها هذه المشاعر هكذا ابتعدت بهدوء وجلست فى مقعدى الكبير انتظر . وبعد فترة أعادت ايلين التعويذة الى مكانها وأغلقت الباب الزجاجى وأدارت المفتاح فى القفل . ثم استدارت ومرت بمقعدى وأنشأت تصعد الدرج .

وانتظرت برهة ثم تبعتها ، فوجدتها فى فراشها نائمة والغطاء فوقها محكما ، وكانت تنفس بهدوء من خلال فمها وبدا محياها كمحيا طفل نائم .

تمسكتنى وقتئذ رغبة جامحة ، فهبطت السلالم مرة أخرى وفتحت الدولاب الزجاجى وأخذت الحجر السحرى بين يدي . وجدته دافئا من أثر امسك ايلين به . وعندما أجريت أصابعى نحوه شعرت براحة . وأيقنت أن هذا الاحساس جعلنى قريبا من ايلين .

ترى هل كان ذلك أيضا احساس ايلين ، ابنتى ، سليلة أسرة هاوى ؟

## الفصل التاسع

- جاء الربيع يوم الاثنين غادرا ، فقد أمطرت السماء فجأة ، وهبت الريح متقطعة لافحة .
- وعندما ذهب لفتح محل البقالة وجدت جو مورفي صراف البنك دقيقا في مواعده ، وقد ابتدرني قائلا :
- سمعت أنك كنت في بيت رئيسي .
  - انني كنت في حاجة الى مشورته . وقد دعاني الى فنجان شاي .
  - الظاهر انها مسألة استثمارات .
  - ان ماري تريد بعض الأثاث الجديد . وعندما تريد المرأة شيئا فانها تصوره أول الأمر في صورة الاستثمار المفيد .
  - قل لي . سمعت ان رئيسك سوف يقوم برحلة الى بلاده في إيطاليا .
  - لا أعرف . من الغريب انه لم يتم بمثل هذه الرحلة قبلا .
- الآن .
- ما رأيك في فنجان قهوة عند « فورماستر » ؟
  - يجب ان أقوم بالكفس . سوف يكون العمل كثيرا بعد عطلة الفصح .
  - آه ، هيا بنا ، الدنيا بخير . ان الصديق الشخصي لمستر بيكر لا بد ان يتسع له الوقت لشرب فنجان قهوة .
  - لم يبد كلامه غمزا ولا تعريضا . اذ كانت لديه القدرة على ارجاء الكلام بلهجة البراءة وحسن القصد .
- وعندما استقرت بنا الجلوس في مطعم ونقهي فورماستر قال جو مورفي بين رشقات القهوة مستأنفا كلامه عن ماروللو .
- لا أعرف كيف خطرت لي هذه الفكرة التي جعلتني اتساءل عن سر رحلة رئيسك المزمعة . ربما كان السبب هو قوله انه جاء الى هذه البلاد منذ أربعين سنة . في ظني انه جاء منذ ٣٥ أو ٣٧ سنة . لكن ليس منذ ٤٠ سنة .
  - اعتقد انه من الصعب ان أجاريك في افكارك .

- يعنى ان ذلك كان سنة ١٩٢٠ . وفي سنة ١٩٢١ صدر اول قانون للهجرة .
- وماذا ؟
- فى سنة ١٩٢٠ ممكن وصوله . فى سنة ١٩٢١ غير ممكن .
- وماذا ؟
- عفى يقول لى انه دخل البلاد بعد سنة ١٩٢١ من الباب الخلفى . وعلى هذا لايمكن ان يعود الى ايطاليا لانه ليس لديه جواز سفر يمكنه من العودة الى هنا .
- رياه ! الحمد لله انه ليس لى تفكير اهل البنوك !..
- لو كنت منهم لكنت احسن منى . فانا كثير الكلام ! لوماد صاحبنا ماروللو الى هذه البلاد لكنت ساذجا يشار اليه بالبنان .
- انتظر . ساقوم معك . القهوة على حسابى .
- وعاد مورفى يقول لى ونحن نصبر الشارع :
- لا تقل لرئيسك الافخم اننى المحت لك انه سوف يكون «طعما» مضريا لادارة الجوازات والهجرة .
- ولم افعل هذا ؟
- ولما وصلنا الى الحارة اخرج مفتاح الباب الخلفى للبنك قائلا :
- لنستعد الآن لفتح المعبد المقدس .
- فقلت له :
- اراك اليوم يا جو مليئا بالفرائب . ان عيد الفصح لم يؤثر فى طباعك .
- اننى اعنى ما اقول . فى تمام التاسعة بالدقيقة نقف عاربي الرعوس امام باب المعبد المقدس . وعندئذ يدار القفل السرى ويركع الكاهن بيكر امام الخزانة ويفتحها ، ثم ننحنى جميعا فى خشوع امام المعبود العظيم : البنكنوت .
- انت مخبول يا جو .
- ربما . لعنة الله على هذا القفل . اسهل للانسان ان يفتحه بمفك لا بمفتاحه هذا .
- وعالج ادارة المفتاح فى القفل مرات ثم نفسه مرات حتى اتفتح اخيرا بمفك . واخرج من جيبه قطعة من الورق المقوى وحشرها فى ثقب القفل . فكنت ان اقول له اليس فى هذا خطورة ، لكنه استبقنى الى الرد قائلا :
- ان هذا القفل الملعون لا يطق بسهولة . وبالطبع فان بيكر

يتأكد بنفسه بعد فتح الخزانة . لا تذكر شكوكي لماروللو ، فهو إنسان حقود .

— حسنا يا جو . سأفعل كما قلت .

وتحولت الى باب محل البقالة الخلفي في الجانب الآخر للحارة . وفي الداخل بدأ المحل متغيراً وجديداً في نظري . ولم لا ، اذا تغيرت النظرة الى شيء بدأ جديداً فعلاً .

كان صمام « السيفون » في « التواليت » الصغير مختلاً ، ولهذا كان ينبعث منه صوت هسيس خفيف مستمر ، ولم يتم ماروللو بتغيير الصمام لأن استهلاك المياه لم يكن مقنناً . وعندئذ ذهبت الى الميزان العتيق وجئت منه بصنجة مثقوبة زنة رطلين وعلقتها في سلسلة « أسيفون » ، فتدفق الماء في « التواليت » بقوة واستمر يتدفق . ولما ييمت شطر الباب الأمامي لكي أتصت سمعت الصوت واضحاً لاشك فيه . كان صوتاً لا تخطئه الأذن . وبمسد أعدت الصنجة الى مكانها من الميزان وجلست الى مكاني خلف المنصة . واسترعى نظري بين الملبات قناع الفار ميكى ماوس يتسم من فوق علية الجوب ، فتذكرت وعدى لابنى الآن ، ومددت الحامل الى الرف وأنزلت علية الجوب ووضعتها تحت سترتي في المخزن . ولما أعدت اني مكاني خلف المنصة كان الفار التالي يتسم لي من فوق علبته . ومدت يدي خلف الملبات وأخرجت كيس « الفكة » الصغيرة ووزعتها في ادراجها الصغيرة في مسجلة النقد . وعندئذ تذكرت شيئاً آخر ، فمددت يدي الى مسافة أقصى حتى عثرت على المسدس العتيق عيار ٣٨ الذي ظل في موضعه هذا منذ عهد طويل . ولما فتحته وجدت الرصاص مخضراً من الصدا . وكانت خزائنه بطيئة تتحرك بصعوبة . فوضعت السلاح الكريه وربما الخطر في الدرج أسفل مسجلة النقد ، ثم جذبت « مريلة » نظيفة ولففتها حول وسطي وربطت اطرافها .

الا ما أعجب تصاريف الأيام . من منا لم يفكر فيها ويتساءل ان كانت الاحداث التي تعرض لنا وليدة مخطط مرسوم أم هي من ثمار تصوراتنا واحلام اليقظة التي تعرض لنا ؟ لكنني أعلم اليقين منذ متى بدأت لعب لعبة التصورات لاني أعرف كيف بدأت بما سمعته من جو مورفي عن الشروط التي يراها لنجاح عملية سرقة بنك . منذ تلك اللحظة لم انقطع عن استعادة هذه الكلمات بما هو اقرب الى السرور الصياني . وكانت اللعبة تفيض متوازية مع مجرى

العمل في المحل ، وكل ما كان يحدث بدا وكأنه تأكيد لواقعهما : « التواليت » الذي يتسرب منه الماء ، وقناع الفأر ميكى ماوس الذي طلبه الآن ، وكيفية فتح خزانة البنك ، وقطعة الورق المحشورة في قفل باب البنك الخلفى في الحارة ... كانت اللعبة تنمو وتتضخم بمضى الوقت ، ولكنها ظلت مع ذلك في نطاق التخيل حتى صباح اليوم . فكان وضع الصنجة في سلسلة « السيفون » هو أول اسهام مبادى في اللعبة ، وكان اخراج المسدس القديم هو الاسهام الثاني . وبدأت الآن أفكر في توقيت العملية . وهكذا اكتسبت اللعبة الطابع الدقيق المحدد .

اننى مازلت احمل ساعة ابي الاثرية ذات العقارب الغليظة والأرقام الكبيرة السوداء ، وهى ساعة عجيبة تبين الوقت بدقة . وفي صباح اليوم وضعتها في جيب قميصى قبل أن ابدا كنس المحل . وقد رأجت الوقت بدقة ، فما كادت الساعة تؤذن بالتاسعة الا خمس دقائق حتى فتحت أبواب المحل الامامية وأخذت اضرب بالمكنسة اولى الضربات على الرصيف لازالة ماتراكم من قاذورات خلال عطلة العيد .

ان بنكنا مؤسسة عجيبة حقا ، مثل ساعة ابي! ففي تمام التاسعة الا خمس دقائق ظهر مستر بيكر قادما من شارع ايلم . ولا بد ان موظفى البنك هارى رويين واديث آلدن كانا يراقبان حضوره . فقد أسرعا بالخروج من مطعم ومقهى فورماستر وانضما اليه في منتصف الطريق .

قلت : صباح الخير يامستر بيكر . صباح الخير يا اديث . صباح الخير يا هارى .

فرد على قائلا :

— صباح الخير يا ايثان . انت محتاج الى خرطوم لتنظيف هذا المحصول ؟

ودخل ثلاثتهم الى البنك .

أسندت المكنسة في مدخل المحل ، وأخذت الصنجة من الميزان ، وذهبت الى ما خلف مسجلة النقد وفتحت الدرج وبدأت سلسلة سريعة من الحركات التمثيلية الصامتة . فسرت الى المخزن ، وعلقت الصنجة في سلسلة « التواليت » ، ورفعت طرف « الريلة » وعلقتها في حزام الوسط ، ولبست معطفى الواقى من المطر ، ثم سرت الى الباب الخلفى وولرته . وما إن انطبق عقرب ساعتى الأسود على



رقم ١٢ حتى بدأ جرس مبنى الطاقء یرن مدویا مؤذنا بتمام الساعة التاسعة . فجعلت أحصى فی ذهنی ثمانی خطوات عبسز الحارة ثم عشرين خطوة . وحركت یدی ولكن لم احرك شفتی ، وسمحت بمرور عشر نوان ثم حركت یدی مرة أخرى . كل هذا كنت اتمثله فی ذهنی : عشرون خطوة ، ثم ثمانی خطوات ، كلها سريعة قاصدة ، وبعد ذلك اغلقت باب الحارة ، وخلصت معطفی ، وعدلت «الریلة» ، ودخلت « التوالیت » ، ورفعت الصنجة من السلسلة وأوقفت تدفق الماء ، ثم عدت الى خلف مسجلة النقد ، وفتحت الدرج ، وفتحت العلبه التي اضع فيها قبعتی ثم اغلقتها وحزمتها بالرباط ، ثم عدت الى المدخل ، واخذت المكتسة ، ونظرت الى الساعة : رأيتها جاوزت التاسعة بدقیقتین ومهمشرين ثانية ... نتیجة طيبة... لكن مع تكرار العملية والتحرین يمكن اختصار الفترة الى أقل من دقیقتین .

وما كنت أفرغ من كنس نصف الرصیف حتى جاء ستونوی رئیس نقطة البولیس خارجا من مطعم ومقهی فورماستر . وقد قال لی :  
 - صباح الخير یا ایشان . أريد نصف رطل زبدة ، ورطل لحم مقدد ، وزجاجة لبن ، وعشر بیضات . ان زوجتی خلت من كل شيء .  
 - حاضر . كيف حال الدنيا ؟  
 فأجاب وأنا أعد له المطلوب :

- بخیر . جئت منذ دقیقة ولكن سمعتك فی « التوالیت » .  
 - سيمضي أسبوع قبل ان اتخلص من كل ذلك البيض المسلوق الذي اكلناه فی العيد .  
 - هذه هي الحقيقة . ومع ذلك لابد للانسان ان یاكل ليعیش .  
 كانت هذه نتیجة طيبة .  
 وقبل ان ینصرف قال لی :  
 - ما اخبار صاحبك دائی تیلور ؟  
 - لا اعرف . هل ارتكب مخالفة ؟  
 - لا . انه بدأ فی حالة طيبة ، وكان نظیفا بصورة معقولة . كنت جالسا فی سيارة « الدورية » ، فطلب منی ان أشهد علی توقيعه .  
 - عن ای شيء ؟  
 - لا اعرف . كانت معه ورقتان ، ولكنه قلبهما لكيلا أرى ما هما .  
 - ورفقتان ؟

- نعم . وقد أمضى مرتين ، وشهدت على أمضائه مرتين .  
 - هل كان صاحباً ؟  
 - بدا كذلك . وكان محلوقة الشعر وعليه ربطة عنق .  
 - ليتنى كنت أستطيع أن أصدق هذا !  
 - وأنا مثلك . مسكين . ربما كانت هذه محاولة للانصلاح . لا بد  
 أن أعود الآن الى البيت .  
 وبعد انصرافه أتممت الجزء الأكبر من عملية الكنس وأنا اشعر  
 بالضيق .

ربما كانت المحاولة الأولى هي الأصعب .  
 لم ينقطع « الزبائن » عن الحضور أفراداً وجماعات .  
 وحوالى الساعة العاشرة جاء ماروللو ، ومن عجب أنه مد يد  
 المساعدة وأخذ يرن ويغلف ويدق مسجلة النقد . أنه لم يفصل هذا  
 منذ فترة طويلة . وخيل الى انه كان نهبا للقلق وأخذ يتأملنى  
 خلسة كلما أدت نظرى عنه . وحسبت ان هذا ربما كان من تأثير  
 رفضى لعملية الرشوة . هكذا بعض الناس . اذا أريتهم أمانتك  
 ذهبوا يستقصون فيك خوافى الخيانة التى حدثت بك الى سلوك  
 مسلك الأمانة ! ان هذه الفكرة أضحكتنى فى نفسى ، لكننى لم أبد  
 ادنى بادرة ظاهرة .

وحوالى الساعة الحادية عشرة جاءت زوجتى ماري وهى تتلالا  
 فى فستان قطنى جديد ملون . وقد بدت جميلة سعيدة ولكنها  
 كانت تلهت كما لو كانت قد فعلت شيئا سارا ولكن خطرا .  
 وهى قد فعلت هذا حقا . فانها أعطتنى مقروفا بنيا من ورق  
 مائلا السميك . وقالت لى :

- اظن أنك ستحتاج الى هذا .

ورمت ماروللو بابتسامة عابرة . انها لم تكن تحبه أو تثق فيه  
 وربما كان هذا لأن الزوجة لا تحب رئيس زوجها أو سكرتيرته  
 الخاصة !

قلت لها :

- أشكرك . أنت بعيدة النظر . آسف اذ لا يمكننى ان أذهب معك  
 فى نزهة فى الليل !

- أنت مشغول فعلا .

- حسنا . ألم يدخل البيت من كل شيء ؟

- صدقت . متى كشف بالواترم . هلا أحضرتها معك فى المساء ؟

- اعرف انك مشغول جدا ولا يمكنك تجهيزها الآن .
- لكن لا تطلبى شيئا من البيض المسلوق .
- ابدأ باصبري . لسنة كاملة . بالمناسبة . مارجرى تريد اخذنا  
للغشاء في مطعم فورماستر الليلة . قالت انها لم تدعنا قبل ذلك .
- جميل .
- قالت ان شقتها ضيقة جدا .
- صحيح ؟
- اننى أعطلك من العمل .
- كانت نظرات ماروللو مسلطة على المظروف البنى في يدي لم  
تفارق لحظة ، فوضعت خلف « المريلة » ودسسته في جيبي . كان  
يعلم انه مظروف بنوك ، وكان يوسعى ان اشعر ان عقبله ذهب  
يستقيم وينبش مثل كلب يتصيد الفئران في مستودع قمامة .
- وبعد انصراف مارى تزايدت حركة البيع . واطل مستر بيكر  
براسه ولما رأى الصف الطويل المنتظر للدور خرج قائلا :
- سامر فيما بعد .
- ولم تتوقف حركة العمل الا في فترة الظهر ، عندما اتصرف الناس  
كلهم الى تناول وجبة الغداء الخفيفة ، وتوقفت حركة المرور .  
يعتقد اخذت مشرب جعية خجاجة مظلن لى كمت تحتها . لن  
كل شيء كنت آخذه من المحل لى او للبيت كنت ادونه في الحساب  
ثم اخضمه من أجرى . وكان ماروللو يسمح لى بان احصل على  
لوازمى بسعر الجملة . وهذا فارق كبير . واطن اننى ما كنت  
أستطيع العيش بأجرى لو لم يفعل ذلك .
- قلت له وقد جلست متكئا على المنصة :
- اشكرك للمساعدة . اننى لم ار ابدأ مثل هذه الحركة .
- انت فتى طيب . وهم يحبونك .
- ثم بدأ لى ان أقوم بحبس النيفس ، فقلت :
- ارأهن انك تتطلع الى شمس جزيرة صقلية . اننى كنت هناك  
في زمن الحرب .
- فأشاح عنى قائلا :
- اننى لم أقرر بعد . فقد تفويت طويلا أربعين سنة . ولا  
اعرف احدا هناك .
- لينتى كنت أستطيع ان انازل اجازة في ايطاليا - بغير بندقية

ولا ملابس ميدان . ان اربعين سنة مدة طويلة فصلا . في اي سنة جئت ؟

— ١٩٢٠ . . . مدة طويلة .

بدا ان جو مورقي اصاب كبد الحقيقة ، وربما كان رجال البنوك والشرطة والجمارك هم اصدق الناس غريزة .  
ثم خطر لي ان اقوم بعملية جس نبض اخرى اعماق . ففتحت الدرج واخرجت المسدس والقيته على المنصة . فوضع ماروللو يديه خلف ظهره قائلا :

— ما هذا يا فتى ؟

— خطر لي انك ربما تريد استخراج ترخيص بهذا ان لم يكن له ترخيص . ان قانون احراز الاسلحة صارم .

— من اين لك به ؟

— انه كان هنا طول الوقت .

— اننى لم اره ابدا . انه لا يخصنى . انه يخصك .

— لا يخصنى . وانا ايضا لم اره من قبل . ونظرا لوجوده هنا ، الا ترى ان الافضل هو الحصول على ترخيص ؟

— قلت لك اننى لم اره ابدا . اننى لا احب الاسلحة .

— هذا مضحك . كنت اظن ان رجال المافيا الكبار يحبون الاسلحة .

— ما قصدك ؟

فتظاهرت بضحكة ونانة بريئة قائلا :

— كنت اسمع ان جميع ابناء صقلية هم من المافيا .

— كلام مجانين . اننا لا نعرف حتى ما هي المافيا ؟

فاعدت المسدس الى الدرج وقلت :

— من يعشى يرى . على كل حال ربما اقدمه الى ستونرى واقول

له اننى وجدته متروكا خلف اى شيء ، وهذا ما حدث فعلا .

— افعل هذا . اننى لم اره في حياتى . ولا اريد . وهو

لا يخصنى .

— حسنا . ليكن ما تقول .

هكذا زرعت الخوف في نفس رئيسى . فان استخراج ترخيص

باحراز سلاح يتطلب اجراءات مطولة — تماما مثل اجراءات استخراج

جواز سفر .

مهما يكن فقد تمالك ماروللو . وعاد يقول :

— انت فتى طيب . وصديق مخلص ايضا .

- هذا ما كان يقوله جدى الأكبر ، الكاتبن هاولى .
- اننى امضيت طول يوم الأحد أفكر .
- كنت أعلم انه قلق بصدد مسألة « الخمسة فى المائة » ، فواجهته بها فوراً اختصاراً للوقت .
- تقصد حكاية الخمسة فى المائة ؟
- فنظر الى باعجاب قائلاً :
- نعم . أنت ذكى ايضاً .
- لست من الذكاء مع ذلك بحيث اشتغل لحسابى .
- انك عملت هنا مدة طويلة - ١٢ سنة .
- صحيح . مدة طويلة . وهى كافية لحدوث تغيير ، الا ترى هذا ؟
- وانت لم تختلس شيئاً من « الفكة » ، ولم تأخذ معك لوازم انييت دون تقييدها فى الحساب .
- ان الامانة فى طبيعى .
- لا تمزح . اننى أقوم بالمراجعة ، واعرف .
- يمكنك ان تعلق « ميدالية » على صدرى .
- كل الناس تسرق - بعضهم اكثر وبعضهم اقل . لكن انت لا .
- ربما كنت انتظر لكى اسرق « البضاعة » كلها !
- لا تمزح . ان ما اقوله هو الحقيقة .
- الفيو . عندك جوهرة . فلا تدعها كثيراً ، والا انكشف زينها .
- لماذا لا تشاركنى فى المحل ؟
- باى شىء ؟ بماهيتى ؟
- سندير . هنا بطريقة ما .
- وعندئذ لايمكننى ان اسرق منك دون ان اسرق تقضى !
- فضحك تقديراً ، وقال :
- انت غلبة فى الذكاء يا فتى . لكنك مع ذلك لا تسرق .
- ان كنت تقضى ما تقول ، فعليك ان تفكر فى طريقة اتمكن بها من المشاركة ، وسأبحث المسألة . لكننى احذرك - فاننى لا املك مالا .
- سندير هذه المسألة .
- لكن سوف يكون لى مالٌ فيها بعد .
- سلط نظراته على طويلاً ، وقال بصوت خافت :
- كذا ! كذا ! على كل حال أنت ولد طيب .
- وهز يدي مصافحاً ثم خرج على الأثر .

- على انه عاد ثانية وقال بانفعال :
- لك ان تأخذ ذلك المبلغ .
  - اى مبلغ ؟
  - الخمسة في المائة .
  - لماذا ؟
  - لك ان تأخذه . يمكنك ان تشاركنى في المحل بمبالغ صغيرة ، فقط عليك ان تطالب بستة في المائة .
  - لا .
  - ماذا تقصد بقول لا ، اذا كنت انا اقول نعم ؟
  - لست في حاجة اليه يا الفيو . لو كنت في حاجة اليه لآخذته ، لكننى في غير حاجة .
  - فزفر من أعماقه .
  - لم يكن العمل متواصلًا في فترة المساء كما كان في الصباح . وفي فترة الركود فيما بين الثالثة والرابعة جاء مستر بيكر . وقد انتظر برهة حتى انصرف آخر « زيون » ، وقال لى :
  - هل عرفت يا ايثان ان مارى سحبت ألف دولار ؟
  - نعم ياسيدى . قالت لى انها ستفعل ذلك .
  - هل تعرف لماذا تريد المبلغ ؟
  - بالتأكيد ياسيدى . انها كانت تتكلم عن هذا منذ شهر .
  - انت تعرف النساء . تجديد الأثاث دائما .
  - الا تظن ان من البلاهة صرف المبلغ في هذا ؟ قلت لك امس انه سيفتح الباب لشيء .
  - هذا مالها ياسيدى .
  - لم اكن اكلّمك عن بعثرة المال يا ايثان . كنت اكلّمك عن استثمار مضمون . في رأى انه بالألف دولار هذه يمكنها تجديد الأثاث في خلال سنة مع بقاء الألف دولار كما هي .
  - لا يمكننى باستر بيكر عنها من اتفاق عائلتها الخاص .
  - الا يمكنك اقتناعها يا ايثان ؟
  - لم يخطر هذا ببالي .
  - حاول يا ايثان ان تجعلها تعيد ابداع المبلغ في البنك . او قل لها ان تضع المبلغ في يدى . انها لن تندم على هذا أبدا .
  - انه مثل آل اليها عن أخيها ياسيدى .
  - أعرف هذا ، أنك تخيب ظنى فيك يا ايثان . اذا كنت تريد

ان تكون لك قيمة فلا بد ان تكون صاحب الكلمة في بيتك . وفي  
الامكان تأجيل شراء الاثاث الجديد فترة اخرى .

— بإمكانى هذا . لكن ليس بإمكانها .

وخطر لى في هذه اللحظة ان رجال البنوك لهم اعين بها اشعة  
اكس تكتشف النقود ، وانه ربما كان يرى في هذه اللحظة الظروف  
البنى من خلال ملابسى . فاضفت قاتلا :

— سوف احاول اقتناعها بامستر بيكر .

— هذا اذا لم تكن انققت الالف دولار فعلا . هل هي الان في

البيت ؟ ..

— قالت انها ستركب الايوبيس الى بلدة « ريدجهايتون » .

— ياله السموات! اذن فقد ضاع الالف دولار في صالات المزادات!

— حسنا . لا يزال عندها بعض مال آخر .

— ليس هذا بيت التصيد . ان املك الوحيد هو المال .

— المال يجلب المال ، كما قلت .

— بالضبط . ضع هذا نصب عينيك ، والا بقيت باثما في

محل بقالة طول عمرك !

— انا آسف لهذا ياسيدى . هل تحب زجاجة « كوكا كولا » ؟

— نعم . على بها .

ولم يكن بإمكانه ان يشرب من الزجاجة ، فجئت بكوب واقزعتها

له ، فشربها كارها وشرب معها غضبته . وقال في النهاية وهو

ينصرف متجها الى بيته :

— كلمها واقنعها !

عجبت لمسلكه . ترى هل احتاج لارتياحه في الامر ؟ لم ارجح

هذا . اغلب الظن ان احتياجه كان بسبب بخصيان امره وهو الذى

اعتاد ان يأمر فيطاع ، ويبدل النصح للانسان فينصاع !

وقبيل موعد اغلاق المحل اتصلت تليفونيا بمارى وقلت لها :

— يانزهة النفوس ! سوف اناخر قليلا .

— لاتنس انا سنتناول العشاء مع مارجى في مطعم فورماستر .

— انا متذكر .

— الى متى تتاخر ؟

— من عشر دقائق الى ربع ساعة . ساتمشى الى الميناء للفرجة

على مركب تطهير القاع .

— لايجب سبب ؟

- اننى افكر فى شرائها .  
 - لك أن تهزل . لكن لا تتأخر . فلا بد أن تفتسل وتضير  
 ملابسك . مطعم فورماستر كما قلت لك .  
 - لن أتأخر يا حبة قلبى ومهجتى ! ان مستر بيكر حمل على  
 حملة شعواء لائننى تركتك تنفقين ألف دولار .  
 - وما دخل هذا التيس العجوز ؟  
 - مارى ! .. مارى ! .. الجدران لها آذان !  
 - قل له ان يذهب الى حيث !  
 - لن يذهب . فضلا عن هذا فهو يعتقد انك مغفلة .  
 - ماذا ؟

- ... واننى زوج هزيل - وأنت تعرفين من انا !  
 فاطلقت ضحكها العذبة التى طالما أسكرتنى ، وقالت قبل ان  
 تضع السماعة :

- اسرع الى البيت يا حبيبي . اسرع !  
 لم تكن وجهتى الميناء ذاته ، ولكن كشك دانى تيلور المجاور  
 للميناء ... ولما اقتربت منه أخذت أصفر لحنا قديما يعرفه .  
 كان الكوخ خاويا ، لكننى كنت واقفا انه كان مختبئا بين  
 الحشائش الطويلة او بين كتل الأخشاب الضخمة التى كانت ملقاة  
 فيما حول المكان . ولما كنت أعرف انه سوف يعود الى الكوخ  
 حالما انصرف ، فقد أخرجت المظروف البنى من جيبى ووضعته  
 فوق فراشه القدر ، ثم ابتعدت ومازلت أصفر ، فيما عدا لحظة  
 ناديت فيها بصوت خافت : « الى اللقاء يادانى . حظا سعيدا » .  
 وتابعت طريقى وأنا أصفر الى الشوارع المطروقة حتى وصلت الى  
 بيتى وبيت آل هاولى .

وجدت مارى بادية الانفعال وهى تستعد لوليمة العشاء فى مطعم  
 فورماستر . ولا أذكر اننا خرجنا يوما للعشاء فى مطعم ، فان  
 هذا ليس فى طاقتنا ، وقد نسينا هذه العادة .  
 كانت مارى منهمكة فى كى الملابس وفى اصدار مختلف الأوامر  
 والنواهي للأولاد للتصرف فى نطاقها فى فترة غيابنا عن المنزل ، حتى  
 ان الأولاد انقسمهم كانوا يراقبون ما يجرى مبهورين .  
 كنت أمك اربع بدلات - وهى عدد كاف لبائع فى محل بقالة ،  
 وكانت جميعا مصفوفة على الكراسى بعد كيبها . ولما سألت مارى  
 ايها البس اجابت :



- اظن ان الأفضل ان تلبس البذلة « دوريان جرای » ،  
فالمناسبة رسمية وغير رسمية .  
- مع ربطة العنق المنقطة ؟  
- طبعاً .  
ولكن ايلين تدخلت قائلة :  
- بابا ! لا تلبس ربطة عنق منقطة ! فانت عجوز .  
- لست عجوزاً . أنا شاب ، ومرح ، وطائش !  
- سوف تكون مثل اللقلق الضاحك ! الحمد لله اننى لن اشترك  
في الوليمة !  
- وأنا احمده أيضاً . من اين جئت بفكرة اننى لقلق عجوز ؟  
- لا بأس . أنت لست عجوزاً ، لكنك عجوز بالنسبة لربطة  
عنق منقطة .  
- انت بنت متزمتة ! مارى . هل ترين اننى ساشميه اللقلق  
الضاحك ؟  
- دى اباك وشانه ، فلا بد له ان يفتسل . اننى وضعت قميصك  
على السرير .  
وقال الآن :  
- اننى اتجزت نصف موضوع مسابقة « احب أمريكا » .  
- هذا بدىع . لاننى اتوى عند دخول الصيف ان اجملك تشتغل .  
- اشتغل ؟  
- فى المحل .  
- آه !  
قالها الآن دون حماس كبير .  
وفى نفس الوقت شهقت ايلين نصف شهقة ، لكنها لم تقل  
شيئاً . فان مارى راحت تكرر للمرة الثمانين الاوامر والنواهي  
التي يتمين على الاثنين اتباعها فى فترة غيابنا عن البيت .  
وبينما كنت منهمكاً فى عقد ربطة عنقى دخلت ايلين ووقفت  
مستندة الى الباب قائلة :  
- بابا . هل من الغش ان ينقل الانسان شيئاً من كتاب ؟  
- فسرى كلامك .  
- لو كنت اكتب موضوعاً وتقلت من كتاب بعض ما فيه - فما  
رايك فى هذا ؟  
- لو وضعت افواصاً حول المادة المنقولة وملاحظة فى ذيل

الصفحة تبين من هو المؤلف ، لكان في هذا ارتقاء بما تكتبين  
وسندا له . وفي ظني ان نصف ما يكتب في أمريكا هو مقتبسات  
إذا لم يكن مختارات أدبية . والآن هل أعجبتك ربطة عنقي ؟  
- لنفرض أنك لم تضع هذه الأقواس ...  
- اذن تكون المسألة سرقة مثل أى نوع آخر من السرقات .  
لا اظن أنك فعلت هذا ؟

- لا .  
- اذن فما هي مشكلتك ؟  
- هل يمكن أن يزجوا بك في السجن ؟  
- ربما ، إذا أخذت تقودا عن الكتابة . لا تفعلى هذا يا بنتى .  
والآن مارايك في الربطة ؟  
- اظن ان مظهرك لا يطاق !  
- قولى لاخيك اننى جئت له بقناع الفارميكى ماوس ، قبحه الله!  
كانت مارى بعد انتهائها جميلة ورائعة . وقد تأبطت ذراعى  
مزهوة ونحن نسير في الشارع تحت الأضواء بخطا ثابتة حتى كنا  
كفرسى سباق يتقدمان الى الحاجز استعدادا للشوط الكبير .  
قلت لمارى :

- سوف نخرج كثيرا يا حبيبتى .  
- متى ؟  
- عندما نصبح من الأغنياء .  
- ومتى يكون هذا ؟  
- قريبا . وساعلمك كيف تلبسين الأحذية .  
- وهل تشعل سيجارك بأوراق بنكنوت فئة ١٠ دولارات ؟ ..  
- فئة عشرين .  
- كم أحبك .  
- عيب ياسيدتى . لا يصح أن تقولى هذا . أنك تخجليننى .!  
وكانت مارجى في انتظارنا في المطعم ، وقد بدت مضيفة حتى  
أطراف بنائها . وقدمت الينا صديقا لها من نيويورك يدعى مستر  
هارتونج ، وكان صورة لأبناء المدن والمواصم بأناقته المفرطة ،  
وزاد عليها تعقيبه على كل شيء بضحكة يعرب بها عن تقديره لما  
يسمع ، حتى أننى لما قلت له : « أرجو أن تعرف ان صديقتك  
ساحرة » - أطلق أولى ضحكاته .  
وقالت مارجى :

- انى طلبت تخصيص مائدة لكم بجوار النافذة ، هي التي هناك .
- كما انك طلبت وضع زهور خاصة يا مارجى .
- مارى . لايد لى ان افعل اى شيء ردا لطيبتك ومعروفك .
- وكانت المائدة جميلة حقا ، وادواتها بيضاء كالفضة وان لم تكن فضة . وقالت مارجى :
- انا المضيغة ، ومعنى هذا انى الرئيسة . وقد امرت بتقديم
- كئوس « المارتينى » اردتم ام لا .
- فضحك مستر هارتوج .
- ويعد ان شربنا الكأس الاولى قالت مارجى :
- سيشرّب كل منا كأسين . ان الطعام هنا ممتاز .
- ولما قلت لهم انى فكرت مرة فى فتح « بار » حيث يستطيع
- الانسان ان يشرب الكأس الثانية دون حرج وحيث أستطيع تكوين
- ثروة - ضحك مستر هارتوج ايضا .
- وبتقديم الكأس الثانية بدأ مستر هارتوج يتكلم ، وكان صوته
- خافتا رخيما متموجا كصوت مغن أو ممثل أو مندوب مبيعات
- لصنف لا يريده الناس ، فقال :
- اخبرتنى مسز يونج هانت انك تعمل هنا . هذه فى الحقيقة
- بلدة جميلة بخيرها .
- وكنت على وشك ان احدد له نوع عملى بالضبط عندما تلقفت
- مارجى الكرة قائلة :
- ان مستر هاولى هو القوة القادمة فى هذه الولاية .
- كذا ؟ ماهو تخصصك بامستر هاولى ؟
- فتولت مارجى البيان قائلة :
- كل شيء . كل شيء تماما ، لكن ليس بصورة معروفة للجميع .
- رايت فى عينها بريق الشراب ، ولما نظرت الى عينى مارى رأيتهما
- مسطحتين ، فادركت انهما تناولتا كاسا قبل حضورى ، أو هى
- منرجى على الأقل .
- قلت ردا على كلمات مارجى :
- ان هذا يوفر على انكار ما قالت .
- فعاد مستر هارتوج الى ضحكته ، قائلا :
- ان لك زوجة رائعة . وهذا نصف المعركة .
- بل هو المعركة كلها .
- ايثان ! استجعله يظن اننا نتقاتل !

- آه . هذه هي الحقيقة .  
وتجرت نصف الكأس . فشعرت بالحرارة تتصاعد حتى أذني .  
وسمعت صوتي يواصل الكلام ، وجعلت أنصت الى نفسي من  
خارج نفسي وأنا أقول :

- ان مسز مارجي هي ساحرة الشرق .  
- آه يا ميري . انها كانت شريرة . وأنا لا احب ان اكون شريرة .  
وبدا لي انني ارى من خلال زجاج النافذة الملون الذي يعكس  
الصور متطاولة داني تيلور يسير على الرصيف . فرأيتني ائب  
وأجري خلفه ، ولكنه اختفى من نظري في حديقة مجاورة ، وسمعتني  
أنادي في اثره : داني ! داني ! رد الى المبلغ ! لا تأخذه ياداني !  
انه مسم ! انني سمعته ! ...

وسمعت ضحكة . وكان الضاحك مستر هارتوج . فمسحت  
الدموع من عيني بغوطتي وقلت أفسر لهم :  
- كان يجب أن أشرب الكاسي ، لا أفضل عيني بها . انها تحرقني .  
فقال ماري :

- ان عينك حمراوان تماما .  
ولم أستطع ان اعود الى رفاق الوليمة ، ولكنني سمعت  
نفسى اتكلم وأحكي قصصا ، وسمعت ماري تضحك ، واذن فلا بد  
انني كنت ظريفا فكما مثيرا للضحك والطرب ، ولكنني لم أستطع  
قط ان اعود الى رفاق الوليمة . وأظن ان مارجي عرفت هذا ،  
فقد ظلت تنظر الى وفي عينيها سؤال خفي ، لعنها الله . انها  
ساحرة فعلا .

ولا أعرف ما الذي اكلناه . والتذكر انه قدم الينا نبيذ أبيض ،  
واذن فلا بد انه سمك . وحيء لنا بالبراندي . واذن فلا بد انني  
شربت قهوة ... ثم انتهت الوليمة .

وفي خروجنا سبقتنا ماري ومستر هارتوج ، فقالت لي مارجي :  
- الى أين ذهبت عنا ؟  
- لا أعرف قصدك .  
- أنك ذهبت بعيدا . كنت معنا بجزء فقط منك .  
- أغربني عنى يا ساحرة !  
- كما تشاء يا غر .

وفي طريقنا الى البيت رحلت افتش ظلال الحدائق . وتعلقت ماري  
بلرأى وكانت خطواتها مترنحة ، وقالت :

- بالها من مناقبة لطيفة ! اننى لم اعرف اللف منها .
- كانت لطيفة فعلا .
- ان مارجى مضيئة كاملة .
- هذا شيء مؤكد .
- واث يا ايشان . كنت اعرف انك ظريف احبسانا ، لكنك جعلتنا نضحك طول الوقت . وقال مستر هارتوج انه ضعف من كثرة الضحك .
- وفي مدخل بيتنا احتضنت مارى بقوة حتى تاوهت وقالت :
- تماسك ! سوف توظف الأولاد !
- كان في نيتي ان انتظر حتى تنام مارى ثم اتسلل خارجا لكي اذهب الى كوخ دانى وابحث عنه ، حتى ولو ارسلت البوليس في اثره . لكننى راجعت نفسى . لقد ذهب دانى . وتمددت في الظلام وجعلت اراقب البقع الحمراء وهى تسبح امام عيني الى غير ما نهاية .

## الفصل العاشر

ان قاعدة تمبلتون الجوية لا تبعد اكثر من حوالي اربعين ميلا من بلدتنا نيويبايتون ، وهو ما يوازي طيران نحو خمس دقائق بالطائرات النفاثة . ان اسراب هذه البومضات الفتاكة تسمعنا هديرها بانتظام . ولينه كان يوسى ان أعجب بها بل احبها على طريقة ابني الان . ولو كان لها اكثر من غرض واحد فربما منحتها اعجابي وحيي ، ولكن فرضها الاوحد هو القتل والتدمير ، وهذا ما شبعت منه الى حد التخمة . انها تخرق حاجز الصوت بهدير قاصف يخيل الى معه كان الجحيم تفجرت . وعندما تمر بنا ليلا فانها تتخلل احلامي فاستيقظ محزونا مضموما كان وروحي ذاتها قد تقدمت وتصلمت .

وفي بكرة هذا الصباح اتطلق سرب منها هادرا مجتجلا حتى استيقظت من نومي منتفضا واعشبا . ولشت ممددا في الفراش وعرق الخوف ييلتي وأنا انصت الى نذر الشر والهلاك هذه وهي تعول متباعدة في القضاء . ولم اتمالك ان تصورت كيف ان هذه الرجة التي عرتني انما تسري في اعماق كل انسان في هذه الدنيا . وليست هي نفائات الهلاك في ذاتها ، بل هو فرضها التدميري للربيع . ان مشكلة ما اذا تفاقمت واستفحلت ، فان أبناء البشر يحتمون منها بعدم التفكير فيها . لكنها نفوس في الاعماق وتمترج بكثير من غيرها من المشاكل والمسائل القائمة فعلا ، وما يخرج من هذا ويبرز الى السطح هو القلق ، والسخط ، والتام ، والانبعث الى عمل شيء - اى شيء - قبل فوات الاوان . ويخيل الى ان كل انسان تقريبا اراه مضطرب الاعصاب متوتر بالقلق مصطنع للمرح والصخب كأولئك الذين يلتمسون السكر عشية راض السنة . وما اخرى علماء التحليل النفسى الذين يتصدون بالتحليل الى العقدة النفسية الفردية ان يتصببوا بالتحليل والتامى الملاج لمشكلات العصر التي تنذر ضرورها النووية بالقضاء على البشرية كلها . وما لبث سرب آخر من النفائات ان تفجر خلال حاجز الصوت .

لقد مضى علينا ما يقرب من نصف مليون عام حتى أصبحت النار مبهودة لدينا ، ثم أقل من خمسة عشر عاماً للتفكير في هذه القوة الثفائلة التي هي أشد من النار ضراوة وعضفوانا . فهل تنهيا لنا الفرصة لاختضاع هذه القوة والافادة منها . واذا كانت قواين التفكير والمنطق هي قواين الأشياء ، فهل يمكن أن يحدث الانشطار النووي في النفس البشرية ؟ وهل هذا ما يعرض لى الآن ، ولنا جميعا ؟ ..

اننى اذكر قصة حكمتها لى عنتى ديورا منذ زمن طويل ، مؤداها انه حدث في القرن الماضى وهى طفلة صغيرة اشيع ان نهاية العالم سوف تكون في موعد معين . فقام ابواها بتوزيع كل مايمتلكون فيما عدا ملايات السرير التي التفتوا بها ، وفي الموعد المتنبأ به انطلقوا الى التلال لمواجهة نهاية العالم . ووقف مئات الناس وهم ملتفون بهذه الأفطية يصلون ويرتلون الأناشيد . وعندما حل الليل بهم زادوا صلاة وترتيلا ، فلما اقترب الموعد مرق نجم في الفضاء فرجع كل انسان عقيرته بالصراخ هلعا . ثم حلت اللحظة المنتظرة ، فاحتبست الأنفاس في صدور الرجال والنساء والأطفال وهم مدثرون بأفطيتهم البيضاء . لقد جاءت اللحظة ثم انقضت ، واذا هم قد خلعوا في الفناء المزعوم . وما أن برغ الفجر حتى غسلوا يبطون التلال وما منهم الا من ذهب يحاول استرداد ما ورزوه من ملابس ومقتنيات شملت كل ما كان لهم من حطام الدنيا في ظنى اننى لم استرجع هذه القصة الا بسبب النفائات - تلك التي هي وليدة جهود هائلة وأرصدة جبارة من الوقت والمال لتكليس مخزون احتياطي من اسلحة الموت والدمار . فهل تراتنا نشعر باننا قد خلعنا في الموت لو اتنا نبيلنا اسلحة الهلاك ولم نستخدمها قط ؟ ان لدينا القدرة على اطلاق الصواريخ في الفضاء ، ولكننا بغير قدرة على شفاء نوازع الغضب والحقد وبواعث المفسخط والتلحر والأحزبن .

سمعت مارى تستيقظ قائلة :

- ايشان . انك تكلم نفسك . ولست أعرف ما يدور في رأسك ولكنك يكاد يسمع . كف عن التفكير يا ايشان . هكذا نهضت وحلقت وتزلت للانفطار .  
ومرلما ذهبت لفتح باب المحل للمخفى رأيت حطروف البنك

البنى مدفوعا تحت الباب . وكان مغلقا . فأخرجت مطوالتى وشققتنه نظرا لسمكه .

وجدت فيه ثلاث ورقات من كراسة مدرسية رخيصة مكتوبة بقلم رصاص . كانت وصية . « لما كنت بكامل قواى العقلية... » - « فانتى أقرر ... » - « واننى أقبل أن أسدد الدين برهن » وكانت الورقتان موقعتين بامضاء داني تيلور . أما الورقة الثالثة فقد تضمنت هذه الكلمات : « عزيزى ايشان - هذا هو ماتريده » . شعرت بتصلب فى بشرة وجهى . ولم البث أن اغلقت باب المحل الخلفى ببطة كما يلقى الانسيان باب مدفن تحت الأرض . ان الورقتين طويتهما بعناية ووضعتهما فى محفظتى . أما الورقة الثالثة فقد فركتها واقريت بها فى «التواليته» وجلبت سلسلة «السيفون» حتى فابت .

لم ألق هذا الصباح خطبتى المعتادة للمعلبات . وانما أخرجت خرطومما وفسلت الرصيف تماما . وبعد هذا نظفت المحل كله ، حتى زواياه التى لم أمسها منذ مدة . والفيتنى اتفنى مرددا :

وبعد شبتك احزانتنا الذى اكفهر واستطال  
جاء الآن صببنا المشرق بعراض الامال



الفصل الحادي عشر

نامت بلدة « بايتاون » طويلاً حتى تخلقت من غيرها من البلدان والمواطن . لقد ازدهرت قديماً بصيد الحيتان وتزويد « العالم الغربي » بزيت الحيتان للاضاءة . حتى معاهد أكسفورد وكمبريدج كانت تستمد ضوء مصابيحها من زيت هذه البلدة المتقدمة على الشاطئ الأمريكى . ولكن تفجر البترول في بنسلفانيا وغيرها من المناطق أدى الى الاستفاضة بالكبروسين عن زيت الحيتان ، وهكذا انكمش هذا المورد الذى قلنت عليه حياة « بايتاون » حينئذ من الزمن ، وزحف العمران على المناطق الجديدة منبثقا من نيويورك الى ما بعدها ، وبقيت البلدة قائمة في اغلال التخلف والجمود . حتى الرجال والقادة الذين تولوا مقاليد امورها سياسياً واقتصادياً وأدينا تاموا على هذه الحقيقة وأغمضوا عيونهم عن التغيير اطمئنانا الى توطد مراكزهم وكفالة شئونهم . ظنوا جميعاً - العبداء ، والمطس ، والقضاء ، والشرطة - أنهم في مناصبهم مخلصون . كان العمدة يبيع للادارة حاجتها من أدوات الانشاء والتعمير ، والقضاة يتلاعبون في المخالفات تحيزاً لبعض الناس وهم يظنون لطول مارسوا عملياتهم انها غير مجافية للقانون . ثم جاء الصيف ليوقظ الجميع من سباتهم ويفتح عيونهم فجأة على التغييرات الجديدة التى توشك ان تقض المضاجع وتقوض القديم من اساسه .

وفي اصل هذا اليوم من ايام شهر يونيو الحارة وقف ايثان في محل البقالة يمارس عمله المعتاد حينما دخل عليه جو مورتى صراف البنك وطلب زجاجة شراب مرطب كما هى عادته ، وأضاف قائلاً :  
- الواجب ان تضع في المحل جهاز تقديم المياه الغازية .

فرد ايثان قائلاً :  
- ويكون لي ثلثان اضافيان ، لو اتقسم الى باعنين . هل

- نسيت يا جاري العزيز اننى لا املك هذا المحل ؟ ..
- يجب ان يكون لك محل . فالناس هنا يعرفونك ، ويحبونك ..
  - ومع هذا فقد كان لى هذا ، ثم اقلست .
  - كان ذلك لاسباب فنية . وقتها لم تتدرب على شراء سلع طبقا للاصول التجارية .
  - ربما كنت لم ازل كذلك .
  - هل تعرف يا ايثان عيبك ؟ انك مازلت فى حالة « افلاس عقلى » ... تخلص من هذه الحالة يا ايثان . تخلص منها ياسليل اسرة هاولى .
  - اشكرك .
  - انت تعرف محبتى لك . متى سيذهب ماروللو الى ايطاليا ؟
  - لم يخبرنى . قل لى يا جو : الى اى درجة يعتبر ماروللو من الاقنياء ؟ لكن لا . لا تقل . انا اعرف انه مفروض فيسك عدم افشاء اسرار العملاء .
  - بإمكانى مخالفة بعض اللوائح من اجل صديق يا ايثان .
  - يمكننى ان اقول عموما انه يضع اصابعه فى اشيء كثيرة : عقار وارض فضضاء هناك ، واكشاك مبنية على الشاطيء ، وروهون عقارية مختلفة .
  - وكيف عرفت هذا ؟
  - من خزانة الودائع . انه استاجر عندنا واحدة منها كبيرة . عنده مفتاح لها وعندى الثانى . ولا بأس ان اقول اننى تحسنت بين الحين والحين . ولكنك تلاحظ اننى لم اذكر رصيده المالى .
  - وانا لم اطلب منك هذا .
  - الحقيقة يا ايثان اننى فكرت كثيرا فى امرك . ان ما ينقصك هو التصميم والجرأة . ان الفشل هو حالة عقلية . ومتى صممت وقفزت من حفرة التردد والياس ، فسوف تجد ان النجاح هو حالة عقلية ايضا .
  - ليتنى اعرف ما الذى تريد منى ان احاول فعله .
  - ليتنى اعرف مثلك ، اذن فعلت هذا لنفسى . ان عرفك البنك لا يتناول الى مركز رئيس بنك . اما من يمتلك حفنة من السندات فهذا فى مقدوره . اظن اننى احاول ان اقول لك : اخطف اى شيء يمر قريك . فقد لا يمر بعد ذلك .
  - انت فيلسوف يا جو . فيلسوف مالى ؟

- عيب الناس انهم يعيشون اغلب حياتهم بين الماضي والحاضر ولا يكرسون مثل ذلك للتفكير في المستقبل . تحضرني دائما عبارة قالها كاتبنا القديم ساتشل بيچ : « لا تنظر الى الوراء . فربما كان هناك شيء يلاحقك حتى يسبقك » . لا بد لي الآن من العودة الى البنك . ان مستر بيكر ينوي السفر الى نيويورك غدا لبضعة ايام . انه مشغول جدا هذه الايام .

- باى شيء ؟  
- وكيف عرف ؟ اتنى اتلقى البريد الوارد واسلمه . انه تلقى في الفترة الاخيرة مراسلات كثيرة من « البانى » .  
- فى السياسة ؟ ..

- انا اوزع البريد الداخلى للبنك فقط ، ولا اقراه . هل العمل عنلك قليل هكذا دائما ؟  
- حوالى الساعة الرابعة فقط . وسوف تشتد الحركة بعد ربع ساعة .  
- سارك فيما بعد . لا تنس نصائحي .

وعادت حركة الشراء والبيع الى نشاطها على الاثر . وبعد انتهاء فترة العمل المسائية جمع فى كيس كبير لوازم البيت ثم خلع مريلته وليس مترته وقبعته ، وطس برهة على النصبة وسرح بصره فى المطبات المتراسة فوق الأرفف قائلا : لا خطب اليوم . سأتذكر فقط كلمات ساتشيل بيچ . لا بد ان اتعلم الآن الا انتظر الى الوراء ! وأخرج من محفظته الورقتين المطويتين وجعل لهما مظروفا صغيراً من الورق المشمع ، ثم دس المظروف فى ركن خلف محرك التلاجة واغلق الباب المعدني كما كان .

وبحث تحت مسجلة النقد حتى وجد دليل التليفونات تلوه الأتربة فوق رقم . فبحث فيه عن رقم ادارة الهجرة ، ولما وعاه فى ذاكرته قال مخاطبا المعلنات دون أن ينظر اليها : اذا كان كل شيء قانونيا ومستقيما ، فلن يضار أحد .

وخرج ايثان الى باب الحارة واغلقه . وحمل كيس اللوازم المنزلية وعبر الشارع الى مطعم فورماستر الذى كان مزدحما فى هذه الفترة بالشاربين ، ولكن كشك التليفون كان خاليا . فاطلق يابه الزجاجى ووضع الكيس على الأرض ونثر النقود الصغيرة على الرق ، ثم ادخل التعلبة المطلوبة فى الفتحة وادار رقم صفر . وبعد ان ود عليه العامل قال له :

- أريد مكالة الى نيويورك .
- حسنا . أدر الرقم من فضلك .
- وهذا ما فعله ايثان .

\*\*\*

عاد ايثان الى بيته حاملا كيس اللوازم المنزلية . واستمرى نظره وهو يجتاز الحديقة الصغيرة طول الحشائش ، فقال للمارى بعد أن قبلها :

- الحشائش طويلة يا حبيبتي . الا ترين انه يمكن أن يقوم الآن بتقليمها ؟

- نحن الآن في فترة الامتحانات ، ومشغولية آخر السنة .
- ما هذه الأصوات الزعجة في الغرفة الثانية ؟
- هو الآن يتمرن على الالقاء . انه سيشارك في الحفل المدرسي لمناسبة آخر السنة .

- معنى هذا اننى سأضطر الى تقليم الحشائش بنفسى .

- انا آسفة يا عزيزى . لكنك تعرف الظروف . يجب أن تكون لنا جازة آلية للأعشاب . ان أسرة جونسون عندها آلة مثل هذه يمكن ركوبها .

- بل يجب أن يكون لنا بستانى وصبى بستانى . كان جدى عنده هذا . وبامكان الآن أن يركب الجازة اذا أردت يا عزيزتى .

- لا تتحامل على الولد . انه لم يتجاوز الرابعة عشرة . هم جميعا كذلك ، في هذه السن .

- ان الصوت النشاز الصادر من الغرفة يشتر جنونى . أحب ان أعرف ماذا يفعل ؟ ..

- الظاهر انك متضايق يا ايثان . ترفق بابنك !

كان الآن يصبح بكلمات مبهمه من خلال قصبة رنانة وضعها على لسانه . فقال له أبوه :

- ماذا تفعل بالله ؟ ..

فلفظ الآن القصبة في راحة يده وأجاب قائلا :

- هي من علبه حبوب ميكي ماوس . هذه طريقة الكلام البطئى . لا بد لي أن أتدرب يا بابا .

فجلس ايثان قائلاً :

- لحظة معى . ما هي خطتك في الحياة ؟

- هييه ؟ ..

- يعنى المستقبل . ألم يقولوا لك فى المدرسة ؟ ان المستقبل بين يديك .
- وفى هذه اللحظة دلفت ايلين الى الغرفة وتكومت مثل قطعة فوق الأريكة وهى تضحك ضحكة لاذعة ، وقالت :
- انه يريد أن يظهر فى التلفزيون .
- هناك ولد سنه ١٣ سنة فقط كسب مائة وثلاثين الف دولار فى برنامج للفوازير .
- فقلت ايلين : تبين ان العملية فيها تلاعب .
- على كل حال لا يزال عنده ١٣ الف دولار .
- فقال ايثان : الجوانب الأخلاقية لا تضايقتك ؟
- مع ذلك فان المبلغ كبير .
- ألا ترى ان هذا مخالف للأمانة ؟ ..
- كل واحد يفعل هذا .
- أرى ان أخلاقك تتفكك . اعتدل فى جلوسك . وهل نسيت كلمة « سيدى » من آداب المحادثة ؟ ..
- بدا الانزعاج على الفتى ، ثم اعتدل فى جلسته والاستياء باد عليه ، واجاب :
- لا ياسيدي .
- كيف حالك فى المدرسة ؟ ..
- على ما يرام كما أظن .
- كنت تكتب موضوعا عن كيف تحب أمريكا . هل تصميمك على انسائها أوقف هذا المشروع ؟ ..
- اننى اتممت الموضوع .
- حسنا . أود أن أراه .
- اننى أرسلته .
- لابد ان عندك نسخة منه .
- لا ياسيدي .
- افترض انه ضائع ؟ ..
- لم أفكر فى هذا يا بابا . اننى أتمنى ان اذهب الى المسكرات الصيفية مثل كل الأولاد .
- ليس هذا فى طاقتنا . ليس كل الأولاد يذهبون - قليل منهم فقط .
- يا ليت كان عندنا بعض المال .

- فقال ايثن وهو يتفرس في وجه ولده :
- ساجمل هــبـb
  - ماذا ياسيـبـb
  - بإمكانى أن أدير لك عملا في المحل هـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـبـb
  - ما هو هـبـبـبـبـبـبـبـبـb
  - سوف تحمل وتنظف الرفوف وتكنس ، وربما اذا افلحت يمكن أن تقدم الطلبات للزبائن .
  - أريد أن اذهب الى المعسكرات الصـبـبـبـبـبـبـبـبـبـb
  - وتريد أيضا أن تكسب مائة ألف دولار .
  - ربما أكسب موضوع المسابقة . على الأقل فيها رحلة الى واشنطن . وهي نوع من الإجازة والراحة بعد السنة بطولها في المدرسـبـبـبـb
  - الآن ! هناك قواعد ثابتة للأخلاق ، والادب ، والامانة ، والاستقامة ، وحتى النشاط . حان الوقت لكى أعلمك أصولها.
  - سـبـبـبـb
  - فتطلع اليه الفتى قائلا :
  - لا يمكنك .
  - عـبـبـبـb
  - فهناك قوانين تشغيل الصغار . لايمكننى حتى الحصول على ترخيص عمل قبل سن السادسة عشرة . هل تريد منى أن أخالف القوانين ؟ ...
  - فقال ايثن وقد تجلبي غضبـبـبـb
  - وهل تظن ان جميع الأولاد والبنات الذين يساعدون والديهم نصفهم عبيد ونصفهم مجرمون ؟
  - لم يستطع الآن الا أن يدير نظره ، وقال :
  - لم أقصد هذا ياسيدى .
  - أنا عارف . ولا تكرر هذا . انك جرحت كرامة عشرين جيلا من سلالة أسرة هاولى . كانوا رجالا كراما شرفاء . وربما تكون جديرا بأن تكون واحدا منهم في يوم من الأيام .
  - نعم ياسيدى . هل يمكن أن اذهب الى غرفتى ياسيدى ؟
  - يمكن .
  - وراح الآن يصعد السلالم بخطا وانية .
  - وعندما اخفى امتدلت اليه في جلستها فجأة وقالت وقد جلدت

- « الجوزة » فوق ركبتيها مثل فتاة مكتظة :
- كنت اقرأ خطب هنرى كلاى . انه كاتب ممتاز .
  - نعم . هو كذلك .
  - هل تتذكر خطبه ؟
  - ليس تماما . مضى وقت طويل منذ ان قرأتها .
  - هو كاتب ممتاز .
  - يبدو لى انها ليست موضوعا لقراءة مدرسية للبنات .
  - هو كاتب ممتاز .
- نهض ايثان من مكانه متثاقلا ، خصوصا بعد جهد النهار الطويل فى العمل . وفى المطبخ وجد مارى محمرة العينين غاضبة ، وقد قالت له :
- سمعتك . اننى استغرب ما فعلت . هو صبى صغير فقط .
  - هذا هو الوقت للبداية يا عزيزتى .
  - لا تدلنى بالألفاظ انا لا أحتمل المستبد .
  - مستبد ؟ يا الهى !
  - انه ولد صغير . ولكنك سحقته كحشرة !
  - لا يا عزيزتى . اننى فتحت عينيه على نظرة سريعة للعالم . انه كان يبني دنيا زائفة .
  - من أنت حتى تعرف ما هى الدنيا ؟
  - مر ايثان بجانبها واتجه الى البيت الخلفى . فقالت :
  - الى أين تذهب ؟ ..
  - لجزر الحشائش .
  - كنت اظن انك متعب .
  - انا كذلك - او كنت .
  - ثم تطلع اليها من فوق منكبه وقال وهو يخرج الى الحديقة :
  - الانسان مسكين فى وحدته !
  - وسمعت مارى صليل شفرات الجزارة وهى تقلم الحشائش ثم جاءها صوت ايثان مناديا :
  - مارى . مارى . احبك يا مارى !
  - واستمرت عملية الجز بلا هوادة .

## الفصل الثالى عشر

كانت مارجى « الصيادة الشابة » امرأة جذابة ، ذكية ، بل انها بلغت من الذكاء حدا تعرف معه متى وكيف تخفى ذكائها . لقد اخفقت في زواجها الأول وطلقت ، واخفقت في زواجها الثانى ومات زوجها .

وكانت تنفق أكثر دخلها الذى تناله من زوجها الاول نفقة تطوعية على زينتها وملابسها لاغراء من توقعهم في حبائلها ، وان كانت في علاقاتها بهم تلتزم التكم والسرية . كان منهم داني تيلور، والفيو مارولو ، ورئيس نقطة البوليس ستونى سميت - ولكن هذه العلاقات لم تدم طويلا .

وتحول هدفها الآن الى ايثان هاولى ، الذى بدأ اهتمامها به عرضيا ومن قبيل سد الفراغ ، ثم استحال الى رغبة في اختبار قدرتها وسلطانها . لقد بدأ لها من المناوشات الأولى مستصما . فهو اذن رجل خارق الإرادة ، واذا غلبته لكات اقوى ارادة وانفذ سلطانا .

ولعلمارجى كانت الوحيدة التى تفتنت الى تلك التغيرات العميقة التى بدأت تيمرى ايثان ، وربما روعها ذلك اذ عسده من تأثيرها وصنعها ، بيد انها عقدت العزم على متابعة التجربة الى النهاية . وهكذا نراها اليوم وقد تسلحت بأتم زينة وأبهى ملابس ، كما يتسلح القصاب بأحد مداه وأمضاها ، ثم قصدت من فورها الى محل البقالة لاتلوى على شيء في طريقها الحافل بالمعجبين والمفتونين . كان ايثان منهمكا في الحديث مع رجل غريب في منتصف العمر

توحى هيأته بأنه من الرجال الرسميين . فقالت مارجى :

- انت مشغول يا ايثان . سأعود في وقت آخر .

وانتقلت من فورها الى البنك المجاور ، فتلقاها جو مورفي مرحبا ، ولبى رغبته في صرف شيك عشرين دولارا وهو يجاذبها لفكها الحديث لما كان بينهما من علاقة ودية لم تتجاوز حد الدعوة الى الطمام بين وقت وآخر .



وفيما هي تنأهب للانصراف لمحت الرجل الذي كان يتكلم مع  
إيثان يعر عن كتب منها ويقدم بطاقته ، وبعد برهة ادخل الى  
مكتب مستر بيكر وأطلق الباب عليهما . فقالت مارجي للصراف :  
- من هـــــــــــــ ؟ ..

- لم أره قبل الآن . يبدو انه من رجال التفتيش في البنوك .  
في هذه المناسبات أحمد الله على أمانتي وعلى قدرتي في الجمع والطرح .  
وعادت مارجي على الأثر الى محل البقالة ، ولما حياها إيثناسألته :

- من كان هذا الغريب الأنيق ؟

- الأتحملين كرتك البلورية ؟ ..

- هل هو من رجال المخابرات ؟ ..

- أكثر . هل الناس كلهم يخافون من الشرطة يا مارجي ؟ أنتي

أخاف منهم ، رغم أنني لم أفعل أي شيء ..

- هل كان ذلك الرجل الأنيق من رجال الشرطة ؟ ..

- ليس تماما . قال انه من رجال الحكومة الاتحادية .

- وما الذي كان يريد به يا إيثناس ؟ ..

- كل ما أعرفه هو ما سببني عنه ، ولكنني لا أعرف

ما الذي يريد به .

- وماذا قلت له ؟

- من أي وقت أعرف رئيسي . ومن يعرفه غيري ؟ ومتى جاء

الي « نيو بايتاون » ؟ ..

- وماذا قلت له ؟

- قلت أنني عندما ذهبت الى الخدمة لمحاربة العدو ، لم أعرفه .

وعندما عدت كان المحل قد آل اليه ، وأعطاني عملا .

- وما الذي تظن انه يسمى اليه ؟

- الله يعلم . وان كنت أصرحك يا مارجي أنني شعرت

بالتلق . أنا محتاج الي هذا العمل ، وإذا حدث أي شيء لمارولو

فسوف أكون في الشارع .

- هل نسيت أنك سوف تفتني ؟ ..

- من الصعب أن أتذكر هذا وأنا لست كذلك .

فقالت معابثة :

- تأكد أن الطالع الذي قرأته لك سوف يتحقق .

- أشعر بهذا .

- إلا تظن أنك مدين لي بشيء إذن ؟

- صحيح ؟ ..
- متى ستدفع الدين ؟
- فتح ايشان التلاجة وأخرج زجاجتى كولا قدم اليها احدهما  
واخذ الثانية . وقال لها :
- ما الذى تريدته منى ؟ ..
- لم ار فى حياتى رجلا مثلك . ربما كنت اريد ان اعرف  
كيف يكون الحب ، أو الكراهية ! ..
- أنت ساحرة . لماذا لا تثيرين عاصفة ؟ ..
- بإمكانى ان اثير عاصفة صغيرة فى معظم الرجال بحاجبى فقط .
- أنت سيدة جميلة ولكنك أيضا ذكية . ماذا تريد منى ؟
- قرأت لك حظك وسوف يتحقق .
- وتريدين امتصاص نصيبك ؟ ..
- نعم .

- فرقع عينيه وراح يقول :
- بإمكانى الآن ان أصدقك . مارى يا حبيبة القلب :
- نظرة منك الى زوجك ، وحبيبك ، وصديقك ! احمينى من الشر  
فى داخلى ومن الأذى من خارجى ! استحلفك بمارى ان تسامدنى ،  
لانى خلقت من ضعف ، وقد اضعف وانهار !
- أنت مهرج يا ايشان .
- أعرف هذا .
- اننى اصبحت اخافك الآن ، ولم اكن هكذا من قبل .
- لا أعرف لماذا .
- وفجأة غرت لهجتها قائلة :

- ماروللو .
- ماذا عنه ؟
- انا اسألك .
- عن اذنك لحظة . عشر بيضات ، ومربع زبدة ؟ حاضر وين  
أيضا ؟

- نعم . طيبة . ومارايك فى «بوليف هومدون» ؟
- لم أجربه ، لكنهم قالوا انه للذيذ ... تحت أمرك بامستر  
بيكر . ألم تأخذ مسز بيكر طيبة من « بوليف هومدون » أخيرا ؟
- فرد مستر بيكر الذى كان قد جاء تقطع عليهما الحديث  
لا اعرف يا ايشان . أنا اكل ما يقدم الى . مستر يونج

- هانت - أنت مزبدین حلاوة كل يوم .
- هذا ظرف منك ياسيدى . مستر هاولى ، ضع مشترباتى فى كيس ، وساعود لآخذها وانى عائدة الى البيت .
- حاضر ياسيدتى .
- وقال مستر بيكر بعد خروجها :
- هذه شاببة مدهشة .
- انها منسجمة مع ملوى .
- قل لى يا ايشان : هل جاء ذلك الرجل الحكومى الى هنا .
- نعم .
- وماذا يريد ؟
- لا اعرف . انه سألنى اسئلة عن مستر ماروللو لم اعرف الرد عليها .
- ايشان : هل رايت دانى تيلور ؟
- لا . لم اره .
- هل تعرف اين هو ؟
- لا . لا اعرف .
- لابد ان اتصل به . الا تعرف اين يمكن ان يكون ؟ ..
- اتنى لم اره منذ شهر مايو . وكان ينوى ان يحاول العلاج من جديد . وقد اقترض منى بعض المال .
- ماذا ؟
- اننى اقترضته مبلغا صغيرا .
- كم ؟
- عفا بوا ؟
- انا آسف يا ايشان . اننا اصدقاء قدماء . آسف . هل كان يمتلك تقودا اخرى ؟
- اظن هذا .
- اذا عرفت مكانه فارجو ان تخبرنى . هل اخذت هذا المبلغ من ملوى ؟
- نعم .
- وهل لم تمنع ؟
- انها لم تعرف ، ثقة منها بى .
- انت شخص حاذق .
- منك نتعلم ياسيدى .

- وهل مارى بخير ؟
- بكل خير . ليتنى أستطيع أن أصبحها في اجازة قصيرة .
- كل شيء سيأتي في وقته يا ايشان . اظن اننى ساذهب الى « ماين » في عطلة عيد ٤ يوليو ، بعيدا عن الضوضاء التي لا احتملها .
- ألم تكن في رحلة الى « البانى » ياسيدى ؟
- من أوحى اليك بهذا ؟ ..
- لا أعرف . سمعت في مكان ما . ربما كانت مسز بيكر قد أخبرت مارى .
- لا يمكن . انها لم تعرف . حاول أن تتذكر اين سمعت هذا .
- لايمكننى ياسيدى . وماذا يهم اذا لم يكن الخبر صحيحا ؟
- سأخبرك بينى وبينك لماذا أقلقنى ذلك . السبب هو انه حقيقى . ان حاكم الولاية استدعانى . انها مسألة خطيرة . من اين تسرب اخبار كهذه ياترى ؟ ومع ذلك سأخبرك بشيء ، واذا تسرب عرفت المصدر .
- اذن فلا أريد أن أسمع .
- لاخيار لك الآن بعد ان عرفت حكاية « البانى » . ان الولاية تجرى تحقيقات في شئون المقاطعة والبلدة .
- لماذا ؟
- اظن لان « الرائحة » فاحت حتى وصلت الى « البانى » .
- هل لها علاقة بالسياسة ؟ ..
- ان كل ما يباشره الحاكم يمكن اعتباره من السياسة .
- مستر بيكر . لماذا لا تجرى التحقيقات علنا ؟
- سأقول لك سبب . ان الاخبار تسربت من الولاية ، وعندما بدأ المحققون كانت معظم السجلات قد اختفت .
- ان الانتخابات ستجرى في السابع من يوليو . هل استداع الحكاية قبل ذلك ؟ ..
- لا أعرف . هذا موكول الى الولاية .
- هل تظن ان ماروللو له ضلع في هذا ؟ اننى لا احتمل فقدان عملى .
- لا اظن . ان الموظف الحكومى كان من رجال الحكومة الاتحادية .
- وزارة العدل .
- لا اظن انه من المستصوب أن تسافر في هذه الظروف .
- لا يهيم . لن يحدث شيء قبل عطلة عيد ٤ يوليو . أريد الآن

- تشجذ همتك وتبحث لى عن مكان دانى تبلور .  
- لماذا ؟ هل المسألة مهمة الى هذا الحد ؟  
- نعم . ولايمكننى ان اذكر السبب فى الوقت الحالى . على  
كل حال لو امكنتك العثور عليه لاستغنيت عن هذا العمل .  
- اذا كان الامر كذلك فسوف ابدل غاية جهدى ياسيدى .  
- هذا عهدى بك يا ايشان . واذا وجدته فاتصل بى ، نهارا  
او ليلا .

## الفصل الثالث عشر

أقرر هنا ، اراحة لضميرى ، ان ما فعلته وماخطت لفعله كان شيئاً غريباً عنى ، ولكنه كان ضرورة لابد منها . والواقع انه لم يكن لى أى ضلع فى المأساة الوشيكة التى ستقع فى السابغ من يوليو . انها لم تكن من عملى أو تدييرى ، لكن كان فى طاقتى ان أستبقها وأفيد منها .

ومن الناس من أوتى القدرة على استشفاف التغييرات الحادثة وتلقى اشاراتها الخفية . وأظن ان مارى شعرت بان هناك تغييراً قادماً ، ولكنها أساعت تأويله . وأظن ان مارجى « الصبادة انشابة » عرفت ايضاً ، فهى ذكية كما هى ساحرة ، ولكن هلمنا ادعى الى القلق .

وكنت واثقاً ان مستر بيكر سوف يذهب فى الاجازة بعد ظهر يوم الجمعة فى عطلة عيد ٤ يوليو أو يوم السبت لكى يتسع الوقت لوقوع ما سوف يقع وليكون بعيداً عند حدوث الصلعة . وطبعاً لم يكن هذا ليهمنى كثيراً ، ولكنه أوجب على ان أقوم بصدّة تحركات ضرورية يوم الخميس ، احتمالاً لسفره فى تلك الليلة . ان عملية يوم السبت التى سأقوم بها كانت مرسومة بكل دقة وبأسلوب عملى تماماً الى حد انه كان يوسعى ان أمضى فى تنفيذها وأنا نائم . ولو كان عندى أى خوف منها فلم يكن بأكثر مما يعرض للممثل وهو يوشك ان يخرج الى خشبة المسرح .

وفى يوم الاثنين ، ٢٧ يونيو ، جاء ماروللو الى المحل بعد ان فتحت مباشرة . وقد راح يطوف بأرجاء المحل ويتفقد الأرفق والمنصة مسجلة النقد والثلاجة والمخزن بصورة غير معهودة كما لو كان يراها لأول مرة . ولما سألته ان كان سيقوم برحلة فى عطلة ٤ يوليو مثل غيره قال لى :

- ولماذا تسألنى هذا ؟
- لأنها رحلة يقوم بها كل قادر .
- والى أين يمكن ان اذهب ؟ ..

- الى كاتسكيلر مثلا ، او الى مونتواوك ، حيث يمكنك صيد الاسماك .

وكانت هذه الفكرة كافية لكى يثنى ذراعيه متالما . فاقتربت منه ووضعت يدي على ذراعه برفق وقلت له :

- اسمع يا الفيو . لماذا لا تذهب الى نيويورك لاستشارة كبار الاطباء الاخصائيين فى الروماتزم . لا بد من وجود دواء يوقف هذه الالام .

- لا اعتقد فى هذا .

- عليك ان تجرب . ان تخسر شيئا . اننى مشفق عليك .

فنظر الى طويلا وهم ان يقول شيئا ، ولكنه غير رايه وقال :

- انت ولد طيب .

وهم ان يخرج ، ولكنه توقف فى المدخل وصاح قائلا :

- خذ سيارتى « اليونتياك » .

- ماذا ؟

- اذهب بها فى رحلة يومى الاحد والاثنين .

- هذا شيء لا طاقة لى به .

- خذ اسرتك . اننى قلت للجراج ان يعطوك السيارة .

والخزان مملوء بالبنزين .

- انتظر لحظة !

- اذهب الى جهنم . خذ اسرتك فى اجازة .

وطوح الى بلقافة كانت تحتوى على ثلاث ورقات من فئة عشرين

دولارا .

ولم يظهر ماروللو بقية الاسبوع .

والحق اننى لم اكن اتوقع حكاية السيارة « اليونتياك » . ولم

يسبق له ان اعلم سيلوته لاي انسان . فكانت هذه هى احدى

المغرائب التى بدأت تحفل بها ايلمى فى العهد الاخير .

وفى يوم الخميس ٣٠ يونيو استيقظت كمادتى عند بزوغ الفجر ،

فكان اول ما فكرت فيه ان افرغ لاسرتى حتى لايشغلنى اى طارئ

عما ساكرس له نشاطى هذا اليوم . وهكذا بدأت بمارى وقلت لها :

- هل استيقظت بدرجة تكفى لكى تسمى اخبارا عظيمةمبهجة ؟

- عرفتك تهزل دائما . ان كانت اخبارك من نوع « تبيط »

الحديقة فان ...

- دعى عنك هذا الكلام الفارغ . ان ماروللو اصدر الاوامر

- بان ناخذُ سيارته ونقوم برحلة سعيدة في اجازة العيد .
- انك تمزح كعادتك .
  - وهل يجوز ان اقول كذبة تحزنك ؟ ..
  - لكن لماذا ؟ ..
  - لا اعرف . ولكنني اقسم لك بكل يمين مقدسة ان «البونتيك» الفاخرة وملء خزانها بترين نفى سوف تكون رهن اشارة سموك !
  - لكن الى اين نذهب ؟ ..
  - هذا يازوجتي النحلة الشغالة هو ما سوف تقرينه اليوم وغدا ويوم السبت .
  - لكن هل هذا في طاقتنا . معناه ان ننزل في فندق او ماشابه .
  - عندي تمويل سري لن اكشف عنه الا في الوقت المناسب .
  - ترى ما الذي يريد من هذا ! ...
  - لا يصح ان يصدر كلام كهذا من زوجتي . ربما كان يريد منا ان نحبه .
  - لكن لا بد ان اجهر اشياء كثيرة للرحلة .
  - انه ليس بالكثير على همتك .
- واثناء شربي لفنجان القهوة الثاني عند الافطار كانت ماري قد استعرضت واستبعدت نصف المناطق الترفيهية على امتداد الشاطئ الأمريكي الشرقي كله . مسكينة يا ماري حبيبتي انها فقدت طعم المرح والبهجة هذه الأعوام الأخيرة ! ..
- قلت لها :
- ارجو ان تمنحيني جانباً من تفكيرك ياتور عيني . هناك فرصة لاستثمار هام قريب . اريد مبلغاً آخر من نقودك . ان المبلغ الأول اثمر جيلاً .
  - هل يعرف عنه مستر بيكر ؟ ..
  - انها فكرته .
  - اذن خذ المبلغ . اكتب شيكاً به .
  - الا تحين ان تعرفي التفاصيل ؟ نوع الاستثمار ، وعائده ، والضرائب الواجبة عنه ، الخ ؟ ..
  - لن افهم شيئاً من هذا . ولو فهمت ، فلا اريد ان اعرف . كل ما يهمني الآن هو اننا سنقوم برحلة . رحلة لمدة يومين كاملين .



بعد هذا كيف لا أهتم بحب ماري ، بل كيف لا أعبد لها .  
واسرعت أجمع زجاجات اللبن الفارغة وقصدت من فوري الى  
عملي .

قابلت جو مورفي في الطريق ، ودخلنا الحارة معا ، ولما رأته  
متضايقا سألت عن السبب ، فقال :

- اننى تعبت من تداول اموال الغير . عندي موعد لعطلة نهاية  
الاسبوع واخشى ان تعطلنى زحمة العمل .  
وحشر ورقة في قفل الباب ودخل قائلا :

- اراك فيما بعد .  
واغلاق باب البنك . ففتحت باب المحل الخلفي وقلت خلفه :

- يا جو . هل تريد شطائر اليوم ؟ ..  
فرد من الداخل قائلا :

- لا . اشكرك . ربما يوم الجمعة . والسبت مؤكد .  
الا تغلق في فترة الظهر ؟

- سبق ان قلت لك . البنك يقفل ، ومورفي يواصل العمل .  
اطلبنى اذا اردت .

- شكرا . شكرا بامستر هاولي .  
ولم يكن عندي ما اقله اليوم لاصدقائي فوق الأرفف ، واكتفيت

بان اقول : صباح الخير يا سيادة . استريحوا ،  
وقبل التاسعة بلحظات كنت اكنس الرصيف الامامي بعد ان

لبست « المريلة » .  
وكان مستر بيكر دقيقا في مواعيده . في تمام الثامنة و ٥٩ دقيقة

كان واقفا لدى باب البنك الرجاعي ، حيث وقفت ممسكا  
بالمكنسة ، وقد اعترضت طريقه قائلا :

- مستر بيكر . اريد كلمة معك .  
- صباح الخير يا ايثان . هل يمكنك الانتظار دقيقة ؟ تعال

لدخل . تبعته الى الداخل . كانت الصورة كما وصفها جو ، مثل  
طقس ديني . فقد وقفا وقفة انتباه تام حتى اجتاز عقرب الساعة

تمام التاسعة . وتلا ذلك على الأثر « تككة » وطنين من باب  
الخزانة الفولاذي الكبير . وعندئذ ادار جو الأرقام السرية للقفل

ثم ادار العجلة التي جذبت الرتاج . فانفتح الهيكل المقدس بجلال  
وادي مستر بيكر التحية للأموال المتراكمة . ووقفت خارج الحاجز

الحديدي القذر بخشوع متعبد ينتظر التجلي والبركة !

- لم التفت الى مستر بيكر قائلا :
- والان يا ايثان : ماذا يمكن ان اؤديه لك ؟  
فقلت بركة . اريد ان اكلمك على انفراد ، ولا يمكنني ان اترك  
المحل . سأنتهز اول فرصة وامر بك .  
وجاء حقا ، في اقل من ساعة ، ووقف ينتظر الى ان خرج آخر  
« الزبائن » . فقلت له بلا مقدمات :
- مستر بيكر . ان مستر مارولو واقع في ورطة .  
فاقترب مني قائلا :
- من اى نوع ؟  
- لا اعرف بالضبط ياسيدى . اظن انها خاصة بدخوله الى  
البلاد بطريق غير شرعى .  
- وكيف عرفت ؟ ..  
- انه اخبرني بهذا ، وان قالها بشكل غير مباشر .  
بدا لى ان عقله اخذ يعمل بسرعة لالتقاط اجزاء الصورة  
وتركيبها معا ، وقال :
- استمر . النتيجة ترحيل الاجانب غير المرغوب فيهم .  
- هو هذا كما اظن . انه كان طيبا معى . ولايمكن ان افعل  
شيئا يضره .  
- عليك نفسك قبل كل شيء يا ايثان . ماذا كان اقتراحه ؟ ..  
- لم يقدم اقتراحا ، ولكننى استخلصت فكرة معناها اننى اذا  
تمكنت من تدبير خمسة آلاف دولار تقدا بسرعة ، فيمكن ان امتلك  
المحل .
- هل تريد ان اكلمه ؟  
- انه خارج البلدة .  
- ومتى يعود ؟ ..  
- لا اعرف ياسيدى . تذكر ياسيدى ان هذه الفكرة هي  
مجرد انطباع شخصى ، ولو امكن تدبير المبلغ فقد يوافق . انه يعمل  
الى كما تعرف .
- اعرف هذا فعلا .  
- لا بأس . لقد خطر لى انه قد يكون بإمكانك ان تجهز اوراق  
« البايعة » وتترك التاريخ والمبلغ على بياض . ثم اقوم بسحب  
المبلغ من حساب مارى يوم الجمعة .  
- ولماذا الجمعة ؟ ..

— سمعته يقول ان الجميع سوف يغادرون البلدة في عطلة العيد وقهمت انه قد يعود في هذه الفترة . اليس عندك حساب في البنك؟  
— يا الهى ! انه سحبه باكماله منذ فترة قصيرة . قال انه ينوى شراء أسهم وسندات . ولم أفكر في هذا وقتها لانه اعتاد السحب وكان يعيد المبالغ بأكثر منها . هل تعرف أنك قد تتعرض بهذه العملية الى ضربة شديدة ؟

— ماذا تعنى ؟ ..

— أولا يمكنه ان يبيع المحل لأشخاص متعددين في وقت واحد، وثانيا ان المحل قد يكون غارقا في الرهون .

— بإمكانى بحث هذه المسألة في مكتب البلدة العقارى . انا

أعرف مشغوليتك ياسيدى . وانى أستغل صداقتك لأستمرى . وفضلا عن هذا فانك الصديق الوحيد الذى له خبرة بهذه الأمور .

— سوف أتصل بتوم وأطسون عن الرهون . يالها من ظروف صعبة يا إثنان . اننى أريد ان أقوم برحلة صغيرة مساء غد .

وإذا تبين ان صاحبنا منحرف فقد يؤدي الأمر الى تجريدك من كل شيء .

— اذن فربما كان الأفضل ان أنفض يدي من هذه المسألة . لكن يا الهى ! اننى تعبت بامستر بيكر من عملى كبائع في محل بقالة !

ان مارى ستكون سعيدة اذا تملكك المحل . لكن لعلك على حق . لا يجب ان اغامر بمالها .

— الحقيقة ان كل ما قلته لى عن صاحبك لا يزيد عن كونه تخمينات وانطباعات . والأفضل ألا تتورط .

— عندي فكرة . الا يمكن ان ادفع له نقدا ، دون سجلات مكتوبة ؟ ..

— يمكنك ان تكتب على الشيك شيئا مثل : « من اجل استثمار في عمليات بقالة مع ا . مارولتو » . يمكن ان يكون هذا تأكيدا لبيتك فقط ، دون ان تتورط في شيء اذا وقع تحت طائلة القانون .

— واذا لم يفلح شيء من هذا ؟ ..

— اذن يمكنك إعادة المبلغ الى البنك .

— هل تظن ان العملية تستاهل المجازفة ؟ ..

— حسنا . كل شيء فيه مجازفة . ليتنى لم اكن مضطرا لمغادرة البلدة .

وعندما حضر بعض الزبائن في هذه اللحظة اقترب منى مستر

بيكر وقال بصوت خافت :  
- سأصرف لك المبلغ أوراق بنكنوت فئة مائة دولار وأسجل  
الأرقام . وبهذا يمكنك استرداد المبلغ اذا قبضوا عليه .  
واتصرف على الأثر وهو يومئ برأسه تحية لعارفه من الزبائن  
القادمين .

مكتبة مورد الأريكة  
www.books4all.net

## الفصل الرابع عشر

أول يوليو . انه يوم يفرق السنة كفارق الشعر في الراس .  
اننى عدته كحد فاصل في حياتى . امس كنت شيئا معينا ، وغدا  
شيء آخر مختلف . لقد اتممت استعدادى وهو شيء لا رجعة  
فيه . ولم يكن في حسابى ان اخفى عن نفسى ما انا فاعله . فلم  
يحملنى احد على سلوك هذا الطريق الذى اخترته . وما كان اسر  
ان اقول اننى فعلت ذلك من اجل امرى ، لاننى اعرف اننى  
واجد في توفير اسباب راحتهم وامنهم ما ابغى من عزة . ولكن  
هدفى كان محدودا ، وما ان اتمه حتى يسوغ لى ان اعود الى  
سابق طبيعى وسالف شائى . ان الحرب لم تجعل منى قاتلا ، على  
الرغم من اننى قتلت حينما من الزمن اناسا من البشر .

ومع ذلك فان الاوراق التى سطرها داتى تيلور على عجل كانت  
بمثابة جرح في نفسى يورث الحزن والاسى ، ومثل ذلك كان صنيح  
ماروللو معى .

اننى لم امض ليلتى ساهرا مسهدا كما يقال ان الناس يفعلون  
عشية المعركة . فقد الم بى النوم مسرعا وعميقا وشاملا، وتخلى  
عنى في بكرة الفجر مجدد القوى منتعشا . ثم تسلت يهدوء من  
الفراش وارتديت ملابسى في الحمام وهبطت السلام ملتزما جانب  
الحائط . ولم ادهش عندما ساقتنى قدامى الى دولاى مخلفات  
الاسرة ، حيث فتحته واخرجت « تعويذة الحظ » فوضعتها في  
جيبى واقلقت الدولاى كما كان ، ثم خرجت من البيت عن طريق  
الباب الخلفى . ولم اتمالك وانا اسير في الطريق المظلم الذى حطت  
به اشجار الدردار على الجانبين ان ساءلت نفسى : ترى لماذا حملت  
معى « الحجر السحري » لأول مرة ؟ لدفع شر ؟ لجلب الحظ ؟  
اننى لا اؤمن بقراءة الطالع ، وما كان التعلق بالاماتى في نظرى الا  
بضاعة الخائبيين .

كانت وجهتى هى المختلى الخاص بى في الميناء القديم . ولكننى

وجدت بعد طول الرحلة ان كهفي قد امتلا بامواج المد واكتنفته  
الظلمات .

ولما عرجت على كوخ داني تيلور رايت في الضوء المنتشر الان  
الحشائش من حوله قائمة منتصبه ، فدلني هذا على ان قدميه لم  
تلا الحشائش وان الكوخ خلو من صاحبه .

هكذا عدت ادراجي وفتحت محل البقالة . وفيما كنت اكنس  
الرصيف اذ اقبل مستر بيكر في موعده المحدد وباشر علي الفور  
عمليته المقدسة ، وجاءت على الاثر سيارة مصفحة هبط منها  
حارسان مسلحان وحملوا اكياسا رمادية هي اكياس النقود الي داخل  
البنك . وبعد عشر دقائق علدا الي القلعة الحصينة التي ابتمعت  
بهما الي وجهة اخرى ، واظن انهما بقيا ، حتى احصى جو موفى  
النقود وراجعها مستر بيكر وقدم عنها الايصال اللازم . ولم اشك  
بالنظر الي حجم وفضل الاكياس ان البنك قد وضع في حسابه  
عطلة عيد ؟ يوليو وما يقترن بها من كثرة سحب الاموال فاعد للامر  
عدته . ولو اتني كنت لصا عاديا من لصوص البنوك لكانت هذه  
هي الفرصة المتاحة للسطو . لكنني لم اكن هذا اللص العادي .

ان الفضل في كل ما عرفته يرجع الي جو موفى . وكان بوسعه  
ان يكون من كبار لصوص البنوك لو انه رغب في ذلك . ترى لماذا  
لم تكن عنده هذه الرغبة ، حتى ليجرد ان يجرب نظرياته ؟

كان العمل متواصلا هذا اليوم . وعندما جاء مستر بيكر حوالي  
الساعة الحادية عشرة كان في عجلة ظاهرة حتى اضطرت الي تاجيل  
طلبات بعض « الزبائن » ودخلت معه الي المخزن .

وضع منظروفا كبيرا وآخر صغيرا في يدي . وبلغ من تصبغه انه  
كلمني بايجاز شديد قائلا :

— قال توم واظسون ان المحل بلا رهون . اليك اوراق تقبل  
الملكية . ضع الامضاءات تحت العلامات . انني وضعت علامات  
على المبلغ واخذت الأرقام . واليك الشيك لكي توقع عليه . آسف  
لاستعجالي يا ايثان .

ولما وقعت على الشيك فحصه جيدا رغم استعجاله وقال لي :  
« عرض عليه الفين اولا . ثم زد العرض مائتي دولار كل مرة .  
لا تنس ان رصيدكم في البنك لا يزيد الان عن خمسمائة دولار . كان  
الله في عونك اذا احتجت الي نقود . ولكن لا بد لي من الذهاب .  
اريد ان اسرع قبل زحمة المرور وقت الظهر . »

ومر هذا اليوم بقليلًا . وحوالي الساعة الخامسة جاء ستون  
سميت رئيس القطة لشراء بعض المأكولات المجهزة وكان يادئ  
الإرهاق ، ولما سألته عما به تملص من الإجابة الصريحة ، وسألني  
فجأة :

- قل لي يا أثنان : أنت صديق لستر بيكر . هل تعرف ان له  
معاملات سرية غير مشروعة ؟ ..

- وكيف أعرف ؟ .. لست صديقه الى هذه الدرجة .

- وما رأيك في ماروللو ؟ .. أين ماروللو الآن ؟ ..

- ذهب الى نيويورك لعرض نفسه على أخصائي في الرومانزم .

- يا الهي ! اتنى لا أعرف شيئًا . لو عرفت ولو شيئًا قليلًا ،

لخطوت على نور .

- ما هذا الكلام يا ستوني ؟ .. كلامك مبهم .

- أبدأ . اتنى تكلمت بما فيه الكفاية . لكن لن يكون بوسع

أحد ان ينسب الى شيئًا .

وقبحة أمسك بذراعي قاتلا :

- أثنان . هل تظن اتنى شرطي صالح ؟ هل تظن ان من الصواب

ان يضطروا انسانا الى الوشاية بأصدقائه لكي ينقذ نفسه ؟ ..

- لا . لا اظن .

- ولا أنا . لا يمكنني احترام رؤساء هذا أسلوبهم . ان ما

يحزنني هو اتنى لن أكون شرطيا صالحا بعد الآن لأنني لا أظن

بالتقدير والرضاء الى ما أفعله . ان المساكين كانوا أصدقائي ..

وحت أهون عليه . وقبل ان يحمل مأكولاته قلت له :

- كنت أريد الاستفهام منك عن شيء . لقد عثرت وانا انظف

المحل على مسلسل قديم ، كله صيدا وشحم يابس . وقد قال

ماروللو انه لا يخصه . وهو لا يخصني بالتأكيد . فماذا يمكن ان

أفعل به ؟ ..

- حوله الى اذا كنت لا تريد الحصول على ترخيص عنه .

- سلخضروه من المنزل غدا . فائني وضعته في عربة بها بترولك .

ماذا تفعل بشيء كهذا يا ستوني ؟ ..

- انتظر لأرى ان كان هناك تحقيق بخصوصه ، وبمسند ذلك

القيه في البحر .

فقلت لكي أسرى عنه :

- هل تتذكر منذ سنوات قريبة في بعض جهات الولاية ؟ انهم

ضبطوا البوليس ببيع اسلحة مصادرة ! ..  
والواقع ان هذا أضحكك ، حتى حمل لفافته وانصرف احسن  
حالا مما جاء .

ولما عدت الى البيت آخر النهار وجدت مشكلة في انتظاري .  
فان مارى قد اختارت لرحلتنا الوشيكة منطقة خلوية قرب مونتوك  
كانت أصلا مزرعة لتربية الأبقار ثم تحولت أخيرا الى ساحة لقضاء  
المطلات حيث ينزل القادمون في بيوت للضيافة .

ولكن ايلين كانت تريد ان تذهب الى نيويورك لكي تنزل في  
احد الفنادق وتمضي يومين في منطقة « تيمزسكوير » . اما الآن  
فلم يكن يريد أن يذهب الى أى مكان ، وربما كانت هذه هي  
طريقته في لفت الأنظار اليه واثبات وجوده .

هكذا وجدت البيت يغلى بأسباب الانفعال : ايلين تبكي بدموع  
بطيئة جارئة على خديها . ومارى متعبة وموردة من تأثير الاحباط .  
والآن منزو في غرفة الجلوس متبرما يستمع الى « الترانزستور »  
الصغير الخاص به والذي كان يولول بأقنية عن الحب والضياع  
بصوت اقرب الى الهستيريا تقول : « وعدت أن تكون مخلصا ،  
ولكنك أخذت قلبي المحب المهجور ورميته على الأرض » .

قالت مارى انها يئست وتكاد تنفض يديها من الرحلة . فقلت لها :  
- الا يمكن أن نجسهم في « البدروم » ونذهب وحدنا ؟ ..  
فقالت وقد اضطرت الى رفع صوتها لكي يكون مسموعا فوق  
صخب اقنية « القلب المحب المهجور » :

- الحقيقة اننى أتمنى الآن ان نفعل هذا .

وفجأة تملكنى الغضب . فاستندت متجها الى غرفة الجلوس .  
لكى أمزق ابني اربا وأرمى « قلبه المحب المهجور » على الأرض  
وادوسه . ولكن الموسيقى توقفت فجأة ، وانبعث صوت المديع قائلا :  
« تقطع هذا البرنامج لكي تقدم لكم نشرة اخبار خاصة .

صدر امرقثائى بعد ظهر اليوم بتقديم كبار الموظفين في «نيوبياتون»  
ومقاطعة ويسكس الى هيئة المحلفين الكبرى للتحقيق معهم في  
الاثامات الموجهة اليهم والتي تتراوح بين الحصول على الرشاوى  
عن العقود والناقصات المتعلقة بالمشروعات العامة وفرض الاتاوات  
على القائمين بها والتلاعب في القضايا ... »

هكذا وقعت الواقعة . نزلت الضربة على العمدة ، والمجلس ،  
والقضاة وغيرهم .



استمعت الى النشرة الاخبارية محزوناً مكتئباً . كانوا غارقين في هذه الافعال المنافية للقانون . وحتى لو كانوا ابرياء ، فلن يخلى سبيلهم قبل الانتخابات المحلية . وحتى الذين تثبت براءتهم فالإتهام سوف يظل ماثلاً في الأذهان . هكذا أحبط بهم . وقد أصغيت لسماع أسم ستوني سميث رئيس النقطة بين أسماء المتهمين ، لكن اسمه لم يرد ، وهكذا استخلصت انه أوقع بهم للنجاة بجلده . وكان في هذا تفسير ما رأيت اليوم من ضيقة وغمّة .

قالت ماري وكانت تنصت لدى الباب :

— حسناً . لم تحدث عندنا أشياء مثيرة منذ مدة . هل تظن

يا ايثان ان هذا صحيح ؟ ..

— هذا لايمهم . ان المقصود أشياء ابعث من ذلك .

— ترى ما هو رأى مستر بيكر ؟

— انه سافر في اجازة . واننى اتسائل مثلك ، ما هو شعوره

يا ترى ؟ ..

ان الاخيار ، والعشاء ، والأطباق ، شغلتنا كلها عن مشاكل الرحلة حتى فات الوقت او كاد لاتخاذ قرار نهائى ، او ليريد من الدموع والخصام .

ولما أويت الى فراشى لم استطع ان اغالب تلك الرعبية التى انتابتنى من قمة رأسى الى اخمص قدمى . وقالت لى ماري :

— أراك في حالة سيئة ياعزيزى . هل تشعر بمرض ؟ ..

— لاياحبيبتى . اننى اكاد أشعر بما يشعر به هؤلاء الناس . لايد انهم في أسوأ حال .

— كفى يا ايثان . لايمكن ان تحمل على كتفك متاعب الآخرين .

— بل هذا هو الواقع .

— ترى هل يمكن ان تصبح من رجال الأعمال يوماً ما ؟ .. انت

كثير الحساسية يا ايثان . ليست هذه جريمتك .

— بل ربما كانت جريمتى ... وجريمة كل انسان .

— لست افهم .

— ولا انا ياحبيبتى .

— لو كان عندنا فقط من يمكن ان يبقى مع الاولاد ! ..

— كررى هذا الكلام ياحبيبتى . كررىه .

— ليتنى كنت أستطيع ان أقضى اجازة مفك وحدك .

— ان أقاربنا معدودون . فكرى معى ياحبيبتى . لو أمكن ان

« نعلب » الأولاد أو « نخلهم » لمدة قصيرة ! .. فكرى معى  
واقدهى زناد فكرك يانور عينى . انا مشتاق لكى تكون وحدنا نحن  
الاثنين فى مكان غريب بعيد ... بعيد . ضمينى الى صدرك ...  
لنفكر فى طريقة .

- اراك ماترت توتعتى ! .. هل تشعر بيورد ؟ ..

- يورد وحر . امتلاء وخواء . انا متعب .

- ساحاول التفكير فى طريقة تخلصنا منهما . نعم اننى احبهما ،

لكن ...

- انا اعرف .

- هل سيوضعون فى السجن ؟ ..

- باليت ...

- أقصد اولئك الموظفين ...

- لا . لن يكون هذا ضروريا . بل انهم لن يمثلوا امام المحلفين

قبل يوم الثلاثاء القادم ، والخميس هو موعد الانتخابات . هذه  
هى الحكاية المرسومة .

- اثنان ! انت متشكك فى كل الناس ... ومتشائم .

فجأة شعرت بالخوف . خشيت ان يكون تأثيرى بالأحداث الجارية  
سيبلا لظهار ما أضمره فى نفسى . ان مارى رغم انها تعيش فى دنيا  
كلها ورود واحلام قد تانس فى مسلكى أو انفعالاتى بادرة تكشف  
المستور من خطى . وفى هذا خطر كل الخطر ، الى ان يمر القدر  
بسلام .

لو ان هذه الخطة نبتت امامى كاملة لرفضتها كمعمل ظاهر  
الاستحالة . ولكنها بدأت لعبة . بدأت بالقواعد التى شرحها  
جو مورفى لسرقة اى بنك . وبسبب ما كنت اعانيه من ضيق  
وضجر فى عملى التافه تعلقت بهذه اللعبة واخذت اربط بينها وبين  
كثير من الأشياء الصغيرة التى كانت تقع فى طريقى : ابنى الآن وقناع  
الفار ميكى ماوس ، « التواليت » الذى يتسرب منه الماء ، المسدس  
المصدى - اقتراح عطلة الصيد ، ملوومة جو مورفى على حشر ورق  
فى قفل باب البنك الخلفى المثل على الحارة المشتركة بيننا . وقد  
رحت اكمل اللعبة برسم توقيت للعملية ذاتها ، واجراء تجارب  
نظرية وفعالية .

ولست أدرى متى أصبحت اللعبة غير معدودة لعبة فقط .  
ربما كان ذلك عندما عرفت اننى قد اشترى المحل وقد احتاج

الى مال لادارة العمل فيه . ثم انه من الصعب نبد عملية ناضجة دون اختبارها عمليا . اما عن الجريمة ، والخروج عن نطاق الشرف والأمانة - فانها ليست بجريمة ضد الناس ، بل ضد المال فقط . لن يضار احد بهذه الفعلة . فالمال مؤمن عليه . اما الجريمة الحقيقية فهي ضد الناس ، ضد داني تيلور ، وضد الفيو ماروللو . ولو تمها لى ان اقوم بالعملية ، فان السرقة لن تكون شيئا مذكورا . وسوف تكون عملية موقوتة عارضة . ولن يتكرر مثلها بحال . وصفوة القول قد وجدت قبل ان أدرك انها لم تعد لعبة ، ان خطتي أصبحت تامة : عدة وتوقيتا .

صحيح ان طرود حادث عرضي كان محتملا . لكن هذا محتمل ايضا اثناء عبور شارع او سر تحت شجرة . وهكذا لم يبق عندي خوف ، وكل ما كان يلابسنى هو ذلك الاشفاق الذى يعرض للممثل وهو واقف بين الكواليس فى الليلة الافتتاحية ، على وشك الانتقال الى خشبة المسرح .

وفى خشيتى من عدم النوم نمت نوما عميقا ، بلا أحلام ، واستيقظت متأخرا حتى نهضت من الفراش منتفضا مما أيقظ مارى التى قالت :

- ماذا جرى ؟ ..

- تأخرت فى النوم .

- كلام فارغ . لا يزال الوقت مبكرا .

- ابدا ياملاكى . هذا يوم سوف يشتري فيه الناس كل بقالة الدنيا .

- ستحتاج الى افطار مشبع .

- هل تعرفين ما سأفعل ؟ سأأخذ قهوة مضاعفة من عند

فورماستر ، واقض على معليات ماروللو مثل ذئب . فكرى انت

فى طريقة لهرويتنا من اولادنا الأجزاء . اننا بحاجة الى هذا . وانا

اعنى ما أقول .

وارتديت ملابسى وخرجت قبل محاولة جديدة من جانبها لتوقير

واحتى وهنائى .

قابلت جو مورق فى الحارة الفاصلة بين البنك والمحل كالمعتاد ،

فبادرنى على الفور قائلا :

- ما رأيك فى الأخبير الذى تخدمت ؟

- مشرة بلا حدود .

- بإمكان بيكر ان يعود الآن . ترى هل يفعل ؟ ..

- يعود ؟ ..

- ألا تشم شيئا ؟ ..

نظرت إليه متحيرا وقلت :

- هنا لى اشياء لا تزال غائبة عنى .

فقال بلهجة غامضة :

- انتظر ، وسوف ترى العجب العجيب .

قال جو مورفي هذا وهو يمس قطعة ورق في فتحة القفل كما دته ثم استأذن ودخل دون تعقيب الآخر . دخل بابه ولم أسمع صوت زنبرك القفل « بك » . . . وأرجو ألا يعرف جو مورفي في يوم من الأيام انه كان أفضل معلم لى . فانه لم يعلمنى فقط ، بل انه مثل الواقع هليا في دون وعى منه ، وبذلك مهد الطريق أمامى .

لكن هناك سؤال منطقي قد يوجه الى : اذا كان قد أصبح من المحقق اتنى انال المحل لنفسي ، فما حاجتى الى المال اذن ؟ لاشك ان كايما مثل مستر بيكر وجو مورفي يعرفون الرد ، وكذلك ماروللو بالطبع . ان المحل بغير رأس مال سائل هو أسوأ من لا محل .

فالإفلاس هنا محقق . ان الموردين لا يفتحون أيديهم بسخاء لأصحاب المحال الناشئين . واذن فلا بد لى من مال حاضر ، وهذا المال موجود ينتظرني خلف ابواب البنك ، وعملية الاستيلاء عليه لم تلبث ان انتقلت من نطاق التصور الى دائرة الواقع المؤكد . وكون السرقة شيئا غير مشروع امر لم يقلقنى كثيرا . ولو كان ماروللو مكاني لما تردد في الإقديام عليها .

أما الذي كان يقلقنى هو ما انتهى اليه امر داني هيلور ، وان كان مقضيا عليه على أى حال . ثم ان محاولة مستر بيكر الفاشلة لكي يفعل مع داني نفس ما فعلته كانت تبريرا كافيا لعملى . ورغم هذا فان مسألة داني بقيت بمثابة الجرح المنتهب في أمعالي ، وكان على ان أحتمل الجرح كما يحتمله من يخوض معركة ناجحة . ولعل الزمن كفيل بإبراء هذا الجرح في يوم من الأيام .

كانت المسألة المباشرة الآن هي المال ، وقد اتممت اعداد الخطة بكل دقة .

ان القواعد التي ذكرها مورفي كانت ماثلة في ذهني تماما ، القاعدة الأولى : عدم وجود سابقة - لا سوابق لى على الإطلاق . القاعدة الثانية : عدم وجود شركاء - من المؤكد انه لأشريك لى في التدبير أو التنفيذ . القاعدة الثالثة : عدم وجود امرأة - والواقع ان

مارجى الملقبة « بالصيداء الشابة » هي الوحيدة التى يمكن اطلاق هذا الوصف عليها ، ولم يكن فى نيتى باى حال ان اشرب الشمبانيا من حدائها . القاعدة الرابعة : عدم التبذير - والحقيقة اننى ساستعين بهذا المال لسداد فواتير تجار الجملة ، وسوف اخفيه فى مكان امين لا تمتد اليه يد .

بقيت مسألة التعرف على الفاعل . اننى سالبس قناع الفسار ميكى ماوس ، ولن يبصر احد شيئا آخر . وسأرتدى معطفا واقيا قديما للاروللو ، ومثل هذه المعاطف متشابهة ، الى جانب قفاز من السيلوفان مما يباع فى كل مكان . وسيلقى القنصاع والقفاز فى « التواليت » حال اتمام العملية . اما المسدس القديم فسوف يسلم بعد انتهاء الغرض منه الى رئيس النقطة ستونى سميت باقرب فرصة .

وهناك قاعدة اخيرة اضيفتها من عندى . عدم الطمع وتجنب فئات البنكنوت الكبيرة . فلو وجدت امامى حوالى ستة الاف او عشرة الاف دولار من فئة العشرة او العشرين دولارا لكان هذا القدر كافيا وسهلا اخفاؤه .

وعلى هذا النحو يكون كل شيء على احسن مايرام . ولم يكن يؤسفنى الا عدم وجود مستر بيكر فى البنك وقت العملية . لن يكون هناك سوى مورفى وزميليه هارى واديث . وكان التوقيت مرسوما بكل دقة . ققى الساعة التاسعة الا خمس دقائق اضع الكنسة فى المدخل . ثم البس « المريلة » ، واعلق الصنجة فى سلسلة « السيفون » لكي يتدفق الماء باستمرار فى « التواليت » . فاذا جاء اى انسان سمع صوت المياه وفهم ماهو مطلوب ان يفهمه . ثم المعطف ، والقناع ، والمسدس ، والقفاز ، وعلبة فارقة للنقود . وفى تمام التاسعة يكون عبور الحارة ، ودفع الباب الخلفى ، ولبس القناع ، والدخول عقب سماع صوت فتح باب الخزانة . ثم تهديد الموظفين الثلاثة بالمسدس لكي ينبطحوا على الارض ، بالحركات طبعا ودون اى كلام . ولن تصلد منهم اية مقاومة ، لان جو مورفى قال ان المال مؤمن عليه ، ولا تأمين على حياتهم هم . ثم اخذ النقود ، ووضعها فى العلية ، وعبور الحارة والقاء القناع والقفاز فى « التواليت » الجارى المياه ، ووضع المسدس فى اثناء البترول كما كان ، وخلع المعطف ، وانزال « المريلة » كما كانت حول الوسط ، واخفاء النقود فى طية القبة ذات التجويف السرى ، واخذ للكنسة ، واستشفاف

عملية كنس الرصيف ، لكي أكون تحت الأنظار عند الاندثار بوقوع السطو . ان العملية كلها لن تستغرق أكثر من دقيقة واحدة وأربعين ثانية ، بالتجربة والمران مرارا وتكرارا . ومع ذلك ، وبرغم هذه الدقة المتناهية في التخطيط والتنفيذ ، فأننى لم أتمالك أن شعرت بقلبي يخفق انفعالا ، وبدا لى وأنا أنظر الى عقربى ساعة أبى الكبيرين انهما لا يكادان يتحركان ، وكان الزمن قد توقف .

لقد مضت فترة طويلة منذ أن خاطبت « أصدقائى » لآخر مرة ، ولكننى اتجهت اليهم هذا الصباح بالحديث ، ربما تأثرا وانفعالا: - أصدقائى . ان ما سوف تشهدونه هو لغز خفى . وأنا أعرف انه يمكنى الاعتماد عليكم لالتزام الصمت . واذا كان بينكم من يخامره أى احساس يصدد الجانب الأخلاقى لهذا العمل ، فليفضل بالخروج .

وتوقفت برهة ، ثم أردفت :

- لا اعتراض ؟ حسنا جدا . اذا سمعت فى أى وقت ان «مطبا» منكم ناقش هذا الأمر مع الأقراب ، فسيوف يكون جزاؤه الإعدام بالشوكة ... وانتهر هذه الفرصة فأوجه اليكم شكرى . لقد كنا جميعا هنا خداما متواضعين لتلبية الطلبات واشباع البطون ، وما كنت إلا خادما منكم . أما الآن فهناك تغيير وشيك . سوف أكون منذ الآن فصاعدا السيد الأمر الناهى ، لكننى أعدكم اننى سأكون سيدا طيبا وشفوقا ومتفهما . ان الوقت يقترب أبها الأصدقاء ، والستار يرتفع ، فالى اللقاء .

وعندما تحركت الى الباب الأمامى بالمكتسة ، سمعت صوتى بهتف : « داتى - داتى - أخرج من معدتى وخلصنى من الفثيان! » . وانتابتنى رجفة عنيفة هزمتنى هوأ حتى اضطورت أن استند الى المكتسة برهة قبل أن أفتح الباب .

كانت ساعة أبى يؤذن عقربها القصر بالتاسعة ، وعقربها الطويل ينقص ست دقائق . وسمعت دقاتها قوية فى راحة يدى كقلب قوى خفاق .

## الفصل الخامس عشر

كان اليوم مختلفا عن سائر الأيام كما تختلف الكلاب عن القطط والأسود عن الأبيض . ففيه أمطرت السماء رغم شمس يوليو ولم تترفق بالحشود الزاحفة الى الشواطئ في عطلة العيد لا تسترها سوى ملابس الصيف .

وكانت محال البقالة المائلة لا تفتح قبل منتصف العاشرة، ولكن ماروللو كان يسبقها بنصف ساعة لكي يقتنص ما يستطيع من « الزبائن » . لقد فكرت ان اغير هذا الأسلوب عندما يؤول الأمر الى ، لأنه يوغر صدور اصحاب المحال باكثر مما يبرره الريح . ولكن ماروللو لم يكن يحفل بهذا ، فهو اجنبى ، وهو مجرم وطاقيه، وهو معتصر لدم الفقراء ، وهو عشرات اخرى من هذه الصفات والمثالب . لقد كان من الطبيعى وقد سميت الى القضاء عليه ان تبدو لى جرائمه ونقائصه واضحة مجسمة .

رحت اراقب عقرب الدقائق الطويل فى ساعة ابى يتحرك ثقيلًا وأنا أكنس بغلظة ومتوتر الأصاب فى انتظار لحظة العمل السريع الحاسم . وكنت أنفَس من خلال فمى وقد شعرت بمعدتى تندفع الى رتى كما لو كانت تشاركنى فى التحقير للهجوم .

كان الناس فى يوم السبت هذا الرابع من يوليو قليلين فيما حولى . ولم اتمالك ان عجبت لتأخر موظفى البنك فى الحضور ، ولعلمهم كانوا مثل فئران تلهو فى غياب القط بيكر . فهم الدين انشدهم وأريد حضورهم لفتح البنك فى الموعد المحدد . وكانت الساعة اقل من التاسعة بدقيقة عندما اندفعوا خارجين من المقهى وأسرعوا بعبور الشارع ، حتى هتفت بهم :

— أجروا ! أجروا !

فعلت وجوههم الابتسامات وهم يفتحون ابواب البنك ، وان كانوا فى غفلة عما هو مدخر لهم .

الآن قد حانت اللحظة الحاسمة . ينبغى الا افكر فى العملية كلها ، وانما أسر فيها خطوة خطوة ، وكل خطوة فى مكانها المرسوم ، طبقا

لما رست وتديرت . وهكذا تحاملت على معدتي لكي تهبط الى مكانها الطبيعي ، وأسندت المكينة الى جانب الباب لكي تبدو لكل العيان . وبدأت أتحرك بسرعة فيها العزم والقصد . ثم لمحت من زاوية عيني سيارة تدرج في الشارع وتوقفت لكي ادعها تمر .

— مستر هاولي !

استدرت بمنف كما يفعل رجال المصائب في أفلام السينما يحاصرون وتسد عليهم المسالك . فرايت السيارة تقف لدى الناصية ويهبط منها — يا الهى — ذلك المندوب الحكومى الذى تحدثت عنه . ان الأرض الصلبة التى وقفت عليها ماتت من تحت قدمي وترنحت كأنها صورة في المياه . ورائته وأنا مشلول مكاني يتقدم نحوي . وخيل الى كأنما استغرق في هذا دهرًا . لكن هذا هو ما حدث ببساطة . ان البناء القوى الذى أقمت صرحه تخطيطًا وتنفيذًا ما ليث ان استحال الى تراب أمام عيني ، كما يتحول تمثال طال دفنه تحت الثرى بمجرد ان يلفحه الهواء .

لقد خطر لي أن أندفع الى « التواليت » وأمضي في اتمام عملية السطو على البنك . لكنني لم تنجح الآن . وما كان لي أن انتك القواعد التى أستنها جو مورفي . وان كانت في الحق صدمة كبرى ان يتخلى الانسان عن خطة اطلال التفكير فيها وتلدب عليها مرارًا حتى لم يكن تنفيذها الا مجرد تكرار آخر . ولكنني مع ذلك نبذتها نبذا ، وانصرفت عنها نهائيًا . فلم يكن لي من خيار ولا كانت لي حيلة ، وطافت براسي فكرة تقول : الحمد لله انه لم يخضر بعد هذا بدقيقة ، والا كان ذلك هو المصادفة القتالة التى يتحدثون عنها في القصص الجنائية .

قال الرجل ولا بد انه استشف شيئًا من حالي :

— مالك يا مستر هاولي ؟ يبدو عليك المرض .

فقلت : أسهال .

— هذا شيء لا يصبر عليه أحد . اسرع . سأنتظر .

اندفعت الى « التواليت » ، وأظقت الباب ، وجذبت السلسلة لكي يتدفق الماء . ولم أضئ النور . وجلست في الظلام وأعمائي المضطربة في حركة مائجة . وبعد لحظة حدث ما لا بد من حدوثه ، ورويدا تلاشت الضغوط التى كنت أزرع تحتها . ولم أتمالك ان أضقت قلعة جنينة الى قواعد جو مورفي : في حالة حدوث



طوارئ ، غير خطتك في الحال .  
كان يحدث لى هذا من قبل في الأزمات أو الخطر الشديد : كنت  
انفصل عن ذاتى وإراقب وكاننى قريب يسجل ويرصد - أراقب  
نفسى وحركاتى وتفكيرى ، لكن في منعة من التأثير بالانفصالات  
المتولدة . وفي جلستى في الظلام هذه رأيت الشخص الآخر يطوى  
خطته المحكمة ويضعها في صندوق ويطبق عليها الغطاء ويواربها  
لا بعيد عن نظره فقط بل عن تفكيره . وبصارة أخرى ماهو إلا أن  
قمت في الظلام وسويت ملابسى ووضعت يدي على الباب الرقيق  
حتى كنت من جديد بائع محل البقالة المستمند ليومه الحافل  
بالعمل . لم يبق شيء من التخفى واللياذ بالتكم والسرية . ورحت  
على الأثر أسأله ما الذى يريد منى هذا الشاب القادم ، بلا خوف  
إلا من ذلك الإشفاق اليسير المتولد من خشية الاحتكاك بالبوليس .  
قلت :

- آسف لبعك تنتظر . لا أتذكر ما الذى أكلته حتى سبب هذا  
الاسهال .  
فقال :

- هناك ميكروب دائر هذه الأيام . هذه الحالة حدثت لزوجتى  
في الأسبوع الماضى .  
- أن هذا الميكروب كان يعمل مسدسا في بطنى . ولولا اننى  
أسرعت ... هل من خدمة أقوم بها ؟ أتذكر أنك كنت هنا قبل  
الآن . ما هو عمك ؟ ..  
فأجاب باسمه :

- أنا تابع لوزارة العدل . لكننى لست الآن في مهمة رسمية .  
ولا أظن حتى أن الوزارة ستوافق ، لكن أنا اليوم في راحة .  
وصمت برهة . ثم أردف :

- الحكاية معقدة ، ولا أعرف تماما من أين أبدأ . أنا في الخدمة  
منذ عشر سنوات يهاؤلى ، لكننى لم أصادف أبدا مثل هذه المسألة .  
- ربما لو شرحت لى لأمكن أن أساعدك . أظن أن أسمك والدر .  
- رتشارد والدر .

- اسمع يا مستر والدر . أن « الزبائن » سوف يهجمون بعد  
قليل ، فقل لى ما هى مشكلتك . اننى تكلمت مع مستر بيكر في  
البنك ، وأنت تطارد مستر ماروللو ، رئيسى .  
فقال بصوت خفيض :

- وقد تمكنت منه .
- لاي شيء ؟ ..
- دخول البلاد بصورة غير شرعية . ليس هذا ذنبى . ان الوزارة تذهب الى بلف ، فاتبعه ، وليس من شأنى ان احاكمه .
- هل سيعملون على ترحيله ؟ ..
- نعم .
- هل يمكنه ان يعارض . هل يمكن ان اساعده ؟ ..
- لا . هو لا يريد ذلك . لقد اعترف بجريمته . ويريد ان يرحل ..
- في هذه اللحظة دخل سبعة او ثمانية « زبائن » ، فقلت له :
- اتنى حلوتك .
- وانصرفت الى خدمتهم . ومن حسن الحظ اننى كنت قد تاهبت لهذه المناسبة واستحضرت مايكفى لمواجهة الطالبات الخاصة بعطلة العيد .
- وما ان فرغت بعد انصرافهم حتى قلت له :
- قل لى بسرعة ماذا تريد ؟ ..
- اتنى وعدت ماروللو بالحضور الى هنا . انه يريد ان يعطيك المحل .
- انت مجنون . عفوا ياسيلفى . اتنى كنت اكلم صديقى .
- آه ، بالطبع . اريد لفائف فرانكفورتر تكفى خمسة اشخاص .
- على هذه الصورة كان انقطاع الحديث مع صاحبى ، وعند استئنافه من جديد قال لى :
- الحقيقة اتنى اعانى من صدمة . ان عملى فى الغالب مع المجرمين والمحتالين والنصابين ، فاذا وجدت بينهم شخصا مستقيما كان ذلك صدمة لك ولا شك .
- ماذا تقصد بكلمة « مستقيم » ؟ ان رئيسى لم يكن كريما فى اى يوم . انه رجل لثيم .
- اعرف هذا . ونحن الذين جعلناه هكذا . انه صارحنى وقد صدقته . قبل حضوره الى هذه البلاد كان يصدق الكلمات المنقوشة على « تمثال الحرية » ، ويمى فى ذاكرته منطوق « اعلان الاستقلال » و « وثيقة الحقوق » . ولكنه بعد هذا لم يتمكن من دخول البلاد . ومع ذلك فقد دخل . ساعده « اتسان عطوف » بعد ان اخذ منه كل ما يملك وانزله بين امواج الشاطئ نكى يخوضها حتى البر . ومضت مدة طويلة قبلما استطاع ان يفهم « الطريقة الأمريكية » ،

- ولكنه تعلم ، وتعلم ، حتى استطاع أن يقف على قدميه ويكون ثروته . وهذا هو السبب في أنه لم يتألم عندما وشى به أحدهم .
- وشى به ؟ ..
  - بالتأكيد . كل ما لزم هو مكالة تليفونية .
  - من هو المتكلم ؟ ..
  - من يعرف ؟ .. أن الجهاز الإداري كآلة . كل ما هو مطلوب هو أن تحرك المفاتيح فتمضي الآلة تلقائياً الى النهاية .
  - ولماذا لم يقاوم ؟ ..
  - أنه تعب . ثم أنه « قرف » . وقد جمع مالا ، ويريد العودة الى صقلية .
  - ما زلت لم أفهم حكاية الحل .
  - انه اختبرك . ووجد فيك الاستقامة ، فمال اليك .
  - واذا كان مخطئاً في ظنه ؟
  - ليس هذا رايه . انه يريد أن يجعل منك رمزا او تمثالا باقيا لشيء كان يؤمن به في وقت ما . ان معي في السيارة أوراق نقل ملكية الحل . وكل ما هو مطلوب منك هو ملؤها .
  - وخرج الى السيارة وعاد بعد قليل ومعه مظروف منتفخ ، وقال لي :
  - لا بد أن أذهب الآن . أمامي أربع ساعات في السيارة لكي أعود الى فوجتي التي تكاد تخرج من الانتظار . اننى سألته لن كانت عنده رسالة لابلاغها لك ، فقال : « قل له : حظا سعيدا » . هل عنك رسالة له ؟
  - قل له : « صحبتك السلامة » .
  - وأقبلت موجة أخرى من « الزبائن » . فالقيت المظروف في الدرج أسفل منسجلة النقد وقلبي مغمم بالاسى .

## الفصل السادس عشر

مضى النهار سريعا ومع ذلك بدا وكأنه بلا نهاية .  
وجاء جو مورفي وأنا أوشك اغلاق أبواب المحل الامامية . وقد  
حاولت ونحني نحسني شرابا خفيفا من المعلبات أن اخبره بحكاية  
ماروللو والمحل ، فوجدت انني لا أستطيع ، حتى ولا الحكاية التي  
قيلت لي بدلا من الحقيقة التي امرتها وحدي . وقد قال لي :

- يبدو عليك التعب .  
- أظن هذا . انظر الى هذه الأرفف . لقد جردوها !  
وأفرت محتويات مسجلة النقد في الكيس الرمادي المخصص  
لها ، ووضعت معها النقود التي جاءني بها مستر بيكر ، وفوقها  
المظروف المنتفخ ، وحزمت عنق الكيس بقطعة دوبار . فقال لي :

- لا يجب أن تترك هذا عرضة للأنظار .  
- ربما كان ، تقول . سأخفيها في مكان آخر .  
- بالمناسبة ، هل تعرف ان غريزبي في التكهن المسبق لا تكذب ؟  
لقد استيقظت اليوم وعندى شعور قوى بأن البنك سوف يتعرض  
للسرقة هذا اليوم . اتنا نضع أوتادا صغيرة تحت جرس الإنذار  
الأرضي لئلا ندوس عليها خطأ . وكان أول مافلمته هذا الصباح هو  
انني رفعت هذه الأوتاد . ومعنى هذا متى كنت واقفا من حدوث  
سظو . فكيف تفسر هذا ؟ ..

- ربما كان أحدهم خطط للسرقة وقرات أنت أفكاره فعلم .  
هل تعرف يا جو انني من شدة التعب لن أتمكن من الكنس اليوم ؟  
- لا تترك كل هذه النقود هنا الليلة . خذها الى البيت .  
- ليكن ، مادمت تقول هذا . سأحملها كلها في هذه الحقيبة  
الجلدية . هل قلت لك اتنا سنقوم برحلة ؟

- نعم . أنت في حاجة اليها . هل أنت مستعد للانصراف ؟ ..  
- عندي بعض أشياء لربما لن أسويها . الذهب اتنا مع السلامة  
يا جو .

وأول شيء فعلته بعد انصرافه هو الاتصال تليفونيا بماري لكي

أقول لها اننى سأتاخر قليلا ، فبادرت تقول بلهفة :  
نعم . لكن أسرع . أسرع . عندى اخبار عظيمة !  
عظيمة ! .. عظيمة ! ..

— الا يمكنك أن تقوليها الآن يا حبيبتى ؟ ..

— لا . اريد أن أرى وجهك أولا ! ..

لبست معطفى وقبعتى واطفأت أنوار المحل وجلست فوق المنصة مدلى الساقين . كان الهدوء سائدا ، وهو الهدوء الذى كنت بحاجة اليه . وشعرت فى جلستى محشورا بين مسجلة النقد وبعض الأرفف بجسم مكتل يخزننى أسفل ظهرى . ولما تحسنت جيبنى عثرت على « تعويذة الحظ » التى كنت وضعتها ونسيتها . لقد أخرجتها الآن ورفعتها بين يدى وجعلت احدق فيها . خطر بالأمس انى فى حاجة اليها . فهل ترانى نسيت اعادتها الى مكانها ، أم ان احتفاظى بها لم يكن مصادفة ؟ لا اعرف .

لم أكن بحاجة الى التفكير بقدر ما كنت بحاجة الى إعادة ترتيب افكارى . كنت بحاجة الى نوع من « البديل المؤقت » لكى الود به ريثما يتيسر لى أن أقيم البناء من جديد . كنت الآن أشبه بهذه الأرفف التى هاجمها « الزبائن » بضراوة وفتحوا فى صفوفها هذه الثغرات العميقة وأصبحت فى حاجة الى ملئها وتسوية صفوفها لكى تنماسك وتنتظم من جديد . وهكذا وجدتني أقول لها :

— فلنصل من أجل أصدقائنا الراحين . لكن الباقى علينا نحن معشر الأحياء ... آه يا الفيو ماروللو ! اننى أتمنى لك الحظ والتوفيق والخلاص من الآم الجحود وتكران الجيل . انك ضحيت ، لأنك كنت انت ضحية . وأردت بصنيعك أن تبقى شعلة الاستقامة مضيئة بعد أن لطفوا فيك للشعلة أفسادا ولفوا وتلوينا .  
فهل أكون أهلا لحمل الشعلة حتى تبقى منارا مشرقا وسراجا  
وهاجا ؟ ..

## الفصل السابع عشر

كنت أستطيع أن أشعر بييتى وأنا لازلت عند الناصية ، بيت آل هاولى . فى الليلة الماضية رقد البيت قابعا خانعا فى الظلمة ، ولكنه بدأ هذه الليلة يشع انفعالا . فالبيت ، مثل حجر الأوبال الكريم ، يتلون بالوان اليوم . والواقع ان مارى لم تكذ تسمع وقع خطواتى فى المشى الخارجى حتى اندفعت الى الباب الامامى كسعلة ملتهبة ، قائلة :

- لايمكنك أن تتصور ابدا !
- قولى يا حبيبتى ما عندك ، بلا مقدمات تمثيلية .
- ان مارجى هى احسن صديقة فى الدنيا كلها . انها ستشرف على الأولاد لكى تقوم برحلتنا وحدنا .
- هل هذه خدعة ؟ ..
- اننى لم أطلب منها . انها تطوعت .
- انهم سوف يأكلونها حية ! ..
- بل انهم مقتنونون بها . انها ستأخذهم الى نيويورك بالقطار يوم الأحد ، وتبقى معهم الليل فى شقة صديقة ، ويوم الاثنين يشاهدون حفلة رفع العلم الجديد بانضمام الولاية الخمسين فى مركز روكفلر ، ويتفرجون على الاستعراض ، وكل شيء .
- اننى لا أكاد أصدق .
- اليس هذا شيئا رائعا ؟ ..
- بل هو أروع شيء . ولذن فسوف تتمكن من الذهاب الى ضواحي مونتوك كما كنا تفكر .
- اننى اتصلت فعلا بالطيفون وحجرت غرفة لنا .
- هذا مذهل ! أكاد انفجر من الدهشة ! أشعر باننى أنتفخ !
- وخطر لى ان أخبرها بحكاية الحل ، ولكن كثرة الأخبار المفرحة تؤدى الى التقلصات المعوية كما يقولون . ومن الخير ان أنتظر وأخبرها بعد الوصول الى وجهتنا .
- وجاءت ايلين الى المطبخ متسللة ، قائلة :

- بابا . ان ذلك الحجر الوردى قد اختفى من الدولاب ! ..
- هو معى . فى جيبى . هاهونا . ولك ان تعيده الى مكانه .
- اتك اوصيتنا الا تاخذه بعيدا عن مكانه باى حال ! ..
- ومازلت اوصيكم بهذا ، والموت جزاء من يخالف .
- فانتزعته بحركة اقرب الى الشراهة وحملته بين يديها الى غرفة الجلوس .
- ورايت عيني ماري مسلطين على بنظرات غريبة مكتئبة ، وقالت:
- لساذا اخذته يا ايشان ؟ ..
- من اجل الحظ يا حياى ، وقد ثبت مفعوله !

## الفصل الثامن عشر

أمطرت السماء يوم السبت ، الثالث من يوليو ، مطرا دسبما  
أكثر من المعتاد ، وأخذنا نشق طريقنا بالسيرورة في الطرقات المبللة  
وفي غمار حركة المواصلات المتكاثفة وشعورنا أقرب الى الاحساس  
بالضيق كطبور اطلقت من قفصها فاتتابها الروع عندما واجهتها  
الحرية .

قلت لمارى وقد جلست معتدلة القامة :

- هل أنت سعيدة ؟ .. هل أنت مرحة ؟ ..

- اننى افكر في الأولاد . ترى ماذا يفعلون الآن ؟

- كل ما يمكن أن تتصوره ، إلا ان يفكروا فيما نفعه نحن .

- اظنك على حق . سأحاول أن انسى واتسلى بالمنظر الطبيعية

في هذه المنطقة الجميلة من « لونج ايلاند » .

وكان البيت الخلوى الصغير الذى خصص لنا مؤلفا من غرفة

واحدة نظيفة منسقة . وبعد أن تناولنا العشاء الذى امتزج بكثير

من الشراب لم نستطع أن نغالب النوم الذى زحف الينا قاهرا غلابا

بتأثير الرحلة الطويلة والاسترخاء الجم بعد طول كد وعناء . وكانت

مارى أسبق منى ، كمادتها ، استسلاما لسultan النوم .

وإذا كان الفجر قد بزغ مقترنا برعد ، فانى لم أسمع . وإنما

فتحت عيني على طبيعة مشرقة ذهبية اختلطت فيها ألوان الخلنج

الزاهية بخضرة السرخس الباهتة وصفرة الكشبان الرملية مترامية

حتى الأطلنطى التى كانت صفحته تتلألا على البعد مثل صفحة من

قصة مطروقة . وكان ثمة طريق يكسو بالحصى ينتظم هذه البيوت

الصغيرة فى شبه قرية خلوية قامت فى قلبها قامة كبرى للطعام

يفشاها النزلاء جميعا .

وقصدت من فورى الى مكتب المدير وكان يحسبنا هند قدمونا

من المشاق ، فقلت له :

- صباح الخير .

فسدد انفه الى قائلا :



- هل نتمت يوما هنيئا ؟ ..
- جدا . هل يمكن أن أحمل صحيفة افطار الى زوجتى ؟
- أن الأكل يقدم هنا في قاعة الطعام ، من الساعة والنصف الى التاسعة والنصف .
- لكن اذا حملتها بنفسى ...
- هذا مخالف للأصول هنا .
- الا يمكن أن نخالفها مرة ؟ .. انت تعرف الظروف .
- قلت هذه العبارة عامدا ، اذ كانت هى ما يشتهي مثله ، فقال وقد شاع السرور في وجهه :
- السيدة تشعر بالخجل . اليس كذلك ؟ ..
- انت تعرف مثل هذه الظروف .
- لا اعرف ما الذى يقوله الطباخ في هذا ...
- اطلب منه وقل له هناك دولار ينتظره واقفا على حافته :
- كان الطاهى يونانيا ، وقد وجد الدولار جدايا . وفي الوقت المحدد الغيتنى أحمل صفحة حافلة مكسوة بغطاء ، وقد زينتها في الطريق بياقة من الأزهار البرية تجميلا لمأدبة الافطار الملكية التى حملتها الى حبيبة الروح . ولعلها كانت مستيقظة عندما دخلت عليها ، ولكنها فتحت عينيها وهتفت :
- انتى أشم قهوة . آه . آه ! يا للزوج الحبيب! وازهار ايضا ! ثم افطرنا وشربنا القهوة مرتين ، ومارى متكئة على وسادة فى الفراش وقد بدت أكثر نضرة وبرائة من ابنتها .
- وعندما حان الوقت الذى قدرته مناسبا قلت لها :
- استعدى للمفاجأة . عندى أخبار محزنة ومفرحة .
- هل اشتريت المحيط ؟ ..
- ان ماروللو ضبط بتهمة دخول البلاد بطريقة غير شرعية ، وسيقومون بترحيله .
- هذا شنيع ! ماذا سنفعل . ماذا ستفعل انت ؟ ..
- انتهى وقت اللعب . انه باعنى المحل - أو بالأحرى باعه لك . فهو مالك على كل حال . وسيقوم بنقل الملكية الى ، لانه يودنى . والواقع انه باعنى المحل نظير - ثلاثة الاف دولار .
- يعنى ... يعنى ان المحل ملكك الآن ؟ ..
- نعم .
- ولم تعد بائعا ! .. لم تعد بائعا ! ..

وانكفات بوجهها على الوسادة وانخرطت في بكاء من اعماق صدرها ،  
كبكاء عبد رقيق قطعوا الطوق من حول رقبتة .

تركها وخرجت الى الساحة وجلست في الشمس الى ان تماكنت  
مارى وغسلت وجهها ومشطت شعرها وارتدت ملابسها ونادتني .

لقد بدت الان مختلفة تماما . كانت رافعة الرأس شامخة . ولا  
عجب ، فقد أصبحنا من الأشراف مرة أخرى .

— الا يمكن أن نعمل شيئا لمساعدة مستر ماروللو ؟ ..

— لا يمكن ..

— كيف حدث هذا ؟ .. من اكتشف أمره ؟ ..

— لا أعرف .

— انه رجل طيب . ما كان يجب أن يفعلوا معه هذا . كيف كان

مسلكه ؟ ..

— احتمال بكرامة وشرف .

ومشينا على الشباطىء كما كنا نفكر أن نعمل ، وجلسنا بين  
الرمال ، والتقطنا الأصداف الصغيرة البراقة وأراها كل منا لصاحبه ،

وأبدنا إعجابنا بالطبيعة من بحر وهواء ، وضياء وشمس لطف من  
حدثها الريح — وكان الطبيعة كانت تستمع الى اطرائنا .

ولكن مارى بدت مشغولة البال . وأحسبها كانت تريد العودة  
في وضعها الجديد لكي ترى النظرة المختلفة في أعين النسباء ،

والنبرات المتغيرة للتحجيات في شارع « هاى » . فهي لم تعد « مارى  
هاولى المسكينة ، التي تقوم بأعمال شاقة في البيت » . لقد أصبحت

مسز إيثان هاولى ، وسوف تظل كذلك على الدوام .

ومع ذلك فقد بقيت طول اليوم لأن ثمنه مدفوع . وتناولنا  
الفداء في القاعة العامة ، وكانت حركاتها الرصينة ووقارها العادى

شيئا خيبا آمال صاحب النزل الذى كان أكثر انتعاشا بقدم العشاق .  
وكانت خيبة أمله أشد عندما دنا من مائدتنا قائلا : ان هناك مكالمة

تليفونية لمسز هاولى . فقلت لمارى :

— من يعرف أننا هنا ؟ ..

— مارجى بالطبع . اننى قلت لها من أجل الأولاد . آه ! يارب

لا يكون الآن ... أنت تعرف انه متسرع ! ..

وغادت وهي ترتعش قائلة :

— هل سمعت الخبر ؟ .. هل سمعت الراديو ؟ ..

— هل يمكنك أن تخبرنى بسرعة ؟ ..

- ان الان فاز في المسابقة ، ونال جائزة التفوق ، وسبابة ، سوف يظهر في التلفزيون ... هل يمكن ان تصدق هذا ؟ ..  
 خصية مشهورة في العائلة ! ..  
 - لايمكن ان اصدق هذا ! ..  
 - بل صدق ! تصور ان ابنا واحد من خمسة اولاد في الولايات المتحدة كلها ينال جائزة التفوق ، ويظهر في التلفزيون ! ..  
 - وساعة ايضا ! ترى هل يمكنه ان يعرف الوقت ؟ ..  
 - اثنان ! اذا كنت تهزل هكذا ، فسوف يظن الناس انك غيور ن ابناك ! ..  
 - هذا من تأثير الدهشة فقط . كنت اظن ان اسلوبه في الكتابة مثل مستوى اسلوب الجنرال اجرتهاور ! .. ان الان ليس عنده سلطان الوحي ! ..  
 - انا اعرفك يا اثنان . انك تحب دائما ان تتحمل على اولادك . كئنا انت الذي تفسدهم . اريد ان اعرف - هل ساعدته في تابة موضوع المسابقة ؟ ..  
 - ساعدته ؟ انه لم يدمنى حتى اراه ! وما هو شعور ايلين ؟  
 - انها فخورة مختالة مثل طاووس ! وكانت مارجي منفعة تحمسة للدرجة انها كادت لا تستطيع الكلام . ان الجرائد تريد مل احاديث معه - والتلفزيون . انه سيظهر في التلفزيون . هل كرت انه ليس عندنا جهاز تلفيزيون لكي نشاهده ؟ ..  
 - سيكون لنا جهاز غدا .  
 - صحيح يا اثنان ؟ .. نسيت انك الان صاحب المحل . لا بد ان تعود الان . انهم سيعودون بقطار الساعة السابعة والثالث .  
 جب ان نكون في البيت لاستقباله .  
 واطرقت ماري براسها برهة كأنما تصلى ، وقالت :  
 - انت تملك المحل ، والان اصبح شخصية مشهورة . من ان يصدق ان كل هذا يمكن ان يحدث مرة واحدة . يجب ان كون هناك عند وصولهم . اذهب لدفع الحساب بينما احزم ادواتنا .

## الفصل التاسع عشر

سلك ابني مسلكا متزنا . كان هادئا ولينا معنا . فلم يطلب نارا ، ولم يأمر باعدام . وانما تقبل التكريم الذي ظفر به ، والتهاني التي ارجيناها اليه قبول من يعتبر ان هذا حق له ، دون ما غرور ، وكذلك في غير ما تواضعت به متكلف . وما لبث ان تقدم الى مقعده في غرفة الجلوس وادار جهازه الاذاعي الصغير قبلما تم اشتغال كل « الصواريخ » المائة التي اوقدناها احتفاء بفوزه في المسابقة الوطنية الكبرى . ولقد بدا واضحا انه اغتفر لنا كل مضايقاتنا وتدخلاتنا وتطفلانا . والحق انني لم اشهد في حياتي ابنا يتقبل العظمة بمثل هذه السماحة .

كانت هذه ليلة المجائب حقا . واذا كان صعود الان السهل الى السماء باعنا على الدهشة ، فان رد الفصل من جانب ايلين كان ابث على الدهشة والعجب . كنت اظن من دراستي لاطوارها عن كتب انها سوف تهتسبم لدواعي الغيرة والحسد ، ولكنها خيبت ظنوني ، اذ كانت هي المحتفية الاولى بفوز اخيها ، وكانت هي التي حكمت لنا القصة وقالت انهم بينما كانوا جلوسا في شقة انيقة في الشارع السابع والستين بعد امسية ساحرة ، وهم يشاهدون التلفزيون ، واذا نبا فوز الان بداع في نشرة الاخبار . والواقع ان ايلين كانت هي التي اخلت تسهب في وصف ما اعقب ذلك من فرحة غامرة واتصالات باهرة ، في حين جلس الان وهي تحكي هذا صامتا هادئا ، خصوصا عندما شرحت لنا كيف انه سوف يظهر في التلفزيون مع الاربعة الفائزين الآخرين ويقرا موضوعه الفائز ، بينما يسمعون ويشاهدون الملايين من المواطنين . وفي خلال ذلك كانت ماري سعيدة قريرة العين لا تنفك عن الاطراء والتحدث بالنعمة ، ولكنني عندما نظرت الى ناحية مارجي الفيتها واجمة ومنطوية على نفسها شيئا ما ، كما فعلت يوم قراءتها للطلع ، ولم تلبث ان استاذنت في الانصراف رغم الحاحنا عليها في البقاء .

وقالت ماري على الاثر :

- اتنا لم نخبرها بموضوع الحل .  
 - دعى ذلك الآن . لا تريد أن نسلب « صاحب الفخامة »  
 حقه الكامل في الاستئثار بالليلة لنفسه . أين ايلين ؟ ..  
 - انها ذهبت للنوم . وهذا بعد نظر منها . وانت يا الآن .  
 هذا يوم عظيم لك ولنا . الا ترى الآن ان الوقت قد حان للنوم ؟  
 فأجاب الآن متعظا : اظن اننى سأجلس هنا فترة .  
 - لكنك محتاج الى الراحة . فنحن الآن في منتصف الليل .  
 - انا مرتاح هكذا .

ولما استنجدت بى مارى قلت لها :  
 - ليكن ما يريد يا عزيزتى . انه سوف ينام حتى الظهر فدا .  
 اما انت وانا فعلينا أن نستيقظ في الساعة السادسة .  
 وكانت مارى اول النائمين . وبعد نصف ساعة سمعت صرير  
 درجات السلالم ، فعلمت ان ابنا المشهور قد صعد للنوم .  
 وبينما كنت اراقب البقع الحمراء وهى تتراقص امام عيني في  
 الظلام ، سمعت ايلين وهى تتسلل هابطة السلالم فلم اتبعها هذه  
 المرة ، اذ سمعت بعد قليل صرير المفتاح في قفل الدواب ، وعلمت  
 ان ابنتى عادت مرة اخرى الى ضم « الحجر السحري » الى صدرها  
 لكي يعطيها شحنة عاطفية .



ذهبت الى المحل في الصباح مبكرا . وقد فتحت مظروف البنك  
 الذى اعطانيه مستر بيكر وأخرجت منه ثلاثين ورقة بنكنوت من  
 فئة المائة دولار وتركت العشرين ورقة الباقية . ان الثلاثة الاف  
 دولار سوف تكون رصيد الأمان لكي يمكن من موازنة اقتصاديات  
 المحل . اما الالف دولار الباقية فساعيدها الى حساب مارى في  
 البنك ، على ان اعيد الثلاثة الاف بعد استقرار الأعمال . وقد  
 وضعت مبلغ الثلاثة الاف دولار في المحفظة الجديدة حتى بدت  
 منتفخة في جيبى الخلفى . وانتقلت بعد ذلك الى المخزن حيث جئت  
 منه بصناديق الملبات وفتحتها واخذت اكدها في الأرفف الخاوية ،  
 بينما دوت في ورقة كافة السلع التى كان على ان اطلبها .  
 ولا بد ان الستين تختلف بعضها عن بعض في المناخ وفي « المزاج »  
 مثلما تختلف الأيام ايضا . فقد كان عام ١٩٦٠ هذا عام التغيير -  
 العام الذى طفت فيه المخاوف المكنونة الى السطح ، ولم يعد  
 السخط خامدا بل أخذ يتغير تدريجا مستجيلا الى غضبي . ان

هذا الذي وصفت لم يكن احساسى انا فقط ولا احساس «باتاون»  
ايضا ، بل كان الطابع القومى العام . فمن قريب سوف تعلن  
الترشيدات لانتخابات الرئاسة ، وبدا الجو كله مشحونا بسخط  
يوثك أن يتحول الى غضب بما يبغبه الغضب من انفصالات . بل  
لم يكن هذا حال الأمة الأمريكية وحدها ، فقد كان العالم كله  
يضطرب بالقلق والتوتر وعدم الاستقرار كلما تطور السخط الى  
غضب وبدا الغضب يلتمس متنفسا له فى العمل - أى عمل طالما  
كان طابعه المنصف . كانت افريقيا وأمريكا الجنوبية وأوروبا وآسيا  
والشرق الأوسط كلها مبعات للقلق والتوتر وعدم الاستقرار مثل  
خيل السباق عندما تقف لدى الحاجز متحفزة للانطلاق

ولقد كنت على يقين ان يوم الثلاثاء هذا الخامس من شهر يوليو  
سوف يكون يوما مشهودا أكثر من سائر الأيام ، وكان احساسى  
يحدثنى بأنه ستقع فيه أحداث غير عادية ، وكان منها على سبيل  
المثال ماحدث من حضور مستر بيكر الى البنك قبل موعده بساعة .  
فقد طرق على باب المحل الأمامى قبل أن أفتح للعمل ، فأدخلته  
واغلقت الأبواب . وقال من فوره :

- يا للشناعة ! .. اتنى كنت معزولا عن العالم . وقد عدت  
حالبا سمعت .

- أبة شناعة تقصد ياسيدى ؟ ..

- عجبا ! أقصد القضية أ ان هؤلاء الرجال هم أصدقائى ،  
أصدقائى القداماء . لا بد لى ان أفعل شيئا .

- انهم لن يستجوبوا قبل الانتخابات - تقصد وجهت اليهم  
الإتهامات فقط .

- أعرف هذا . الا يمكن ان نصلح بيانا عن اعتقادنا فى براهنتهم ؟  
ولو اعلانا مدفوع الأجر اذا لزم الأمر .

- فى أى جريدة ياسيدى ؟ ان جريدتنا لن نصلح قبل يوم  
الخميس .

- على أى حال لا بد من عمل شيء .

- صدقتى يا سيدى .

كان هذا الكلام أقرب الى الشكليات ، ومع ذلك فقد بدأ  
مشحونا بالقلق حقا . وعاد يقول :

- ان الجماعة المتطرفة الميئونة سوف تفسد الانتخابات الباردة  
ما لم نفعل شيئا . لا بد لنا من تقديم مرشحين جدد . أن ماحدث

لاصدقائنا شيء بشع ، لكنهم اول من يعرف اننا لن ندع الجماعة المتطرفة تسيطر على الامور .

- انهم في غم وحزن . ولم يجدوا وقتا للتفكير والتدبير . هل جاء ماروللو ؟ ..

- انه ارسل صديقا . وقد اشترت المحل بثلاثة آلاف دولار .

- هذه صفقة . من ارسله عنه ؟ المافيا ؟

- مندوب الحكومة الاتحادية . وبدنا ان ماروللو كان يودنى .

ورايته يقطب فجأة مفكرا ، ثم قال :

- لماذا لم افكر في هذا ؟ انه الرجل المطلوب . من اسرة طيبة ،

واهل للثقة ، ومن الملاك ورجال الأعمال ، وشخصية محترمة ،

وليس لك عدو في البلدة . لاشك انك انت الرجل المطلوب .

- أي رجل ؟ ..

- ادارى البلدة .

- انتى لم اكن من رجال الأعمال الا منذ يوم السبت .

- انت تعرف ما اقصد . يمكننا ان نجتمع حول شخصك

وجوها جديدة محترمة .

- من بائع في محل بقالة الى ادارى البلدة ؟ ..

- لم يفكر احد قط ان يكون سليل اسرة هاولى بائعا في محل بقالة .

- كان هذا تفكيري ، وتفكير ماري .

- لكنك لست كذلك . يمكننا اعلان هذا الاختيار اليوم قبل

ان تقرر الجماعة المتطرفة المجنونة قرارها . انتى انصحك يا ايشان

ان تبيع المحل . سوف تكون شخصية كبيرة القدر بما لايسمح

بان تقف لخيمة « الزبائن » . ألم تسمع شيئا عن داتى ؟

- لا حتى الآن .

- ما كان يجب ان تعطيه تقودا .

- ربما . كنت اظن انى اعمل لصالحه . قل لى يامستر بيكر .

ما الذى حدث للسقينة « بيل لادير » ؟ ..

- ما الذى حدث ؟ .. انها احترقت وقرقت في الميناء .

- كيف حدث هذا ياسيدى ؟ ..

- غريب ان تسأل في هذا الوقت . انا لا اعرف الا ماسمعه .

كنت وقتها صبغرا ولا اتذكر . ان تلك السفن العتيقة كانت مشبعة

بالبزوت . ولايد ان واحدا من البحارة القى عود ثقاب . وكان

جهدك الكابتن هاولى هو الريان . واظن انه كان وقتها على الشاطئ .

- وهل وجدت مشكلة بخصوص التأمين ؟ ..
- ان شركات التأمين ترسل عادة محققين من جانبها . ولكن بعد وقت حصلنا على مبلغ التأمين . أسرة هاوولي وأسرة بيكر .
- كان جدى يظن ان النار اضرمت في السفينة عمدا .
- ولماذا ، بحق السماء ؟ ..
- الحصول على قيمة التأمين . فان صناعة صيد الحيتان واستخراج زيوتها كان قد فات أوانها .
- لماذا تنبش هذه الأشياء القديمة يا ايثان ؟ لقد حدثت منذ زمن طويل .
- من البشاعة حرق سفينة . انها جريمة قتل . اتنى ساعمل على انتشال قاعها من البحر يوما ما . اتنى أعرف مكانه . على مسافة نصف كابل بحرى من الشاطئ .
- ولماذا تفعل هذا بالله ؟ ..
- لكى ابحث ان كان ماحدث لم يكن مدبرا . على كل يحسن ان تذهب الآن الى البنك لكى تبارك فتح الخزانة . واريد انا ان افتح المحل ايضا .
- ولم يكذب بيكر ينصرف حتى جاء بيجارز ايضا . ولا بد ان المسكين كان يراقب في الخارج وينتظر انصراف بيكر . وقد بادرنى على الفور قائلا :
- هل فكرت في التراخي ؟ ..
- اظن ان ستة في المائة احسن .
- لا أعرف ان كانت اكلوة محلات « ب . ب » سوف تقبل .
- المسألة متروكة لها .
- ربما يوافقون على خمسة ونصف في المائة .
- وربما تدفع انت النصف في المائة الباقي .
- يا لطيف ! كنت اظنك ساذجا . هل يمكن ان اخذ « الطلبة » الكاملة اليوم ؟ ..
- غدا افضل و « طلبة » اكبر .
- ماهذا ؟ لابد انك اصكبت رئيسك من عنقه ! هل تظن ان هذا في قدرتك ؟ ..
- انتظر غدا لترى .



كانت حركة العمل خفيفة يوم الثلاثاء وهذا بالمقارنة بيوم السبت



الماضي . فقد اخذ الناس مهلة كي يتكلموا من « الفضيحة » ، قالوا انها بشعة ، محرنة ، مخزية ، ولكن مسلية أيضا . والحق انهم لم يلبسوا فضيحة منذ مدة طويلة . ولم يكن اهتمامهم موجها الى المناقشات الانتخابية في البلاد عامة بقدر ما كان مركزا في « نيويورك » لعرفتهم بالرجال الذين واحوا يرقصون فوق قبورهم .  
وحوالي الظهر جازني ستوني سميت رئيس نقطة الشرطة وكان يبدو متعبا محزونا . وقد اخرجت المسدس القديم من حلبة الزيت وقدمته له قائلا :

— خذ بهيدا عني . انه يشتر اعصابي .  
— امسحه اولاً . انه سلاح قديم بطل استعماله . قل لي ، هل عندك احد يمكن يحل محلك هنا ؟ ..  
— لا ..

— اين ماروللو ؟ ..  
— خارج البلدة .  
— اظن انه لا يبد ان تغلق المحل بمض الوقت .  
— لماذا ؟ ..

— نريد ان تذهب معنا الى الارض المملوكة لداني تيلور والتي كان فيها قصر العائلة القديم قبل ان يتهدم .  
— داني تيلور ؟ .. ماذا جرى ؟ ..

— يوسفني ان اقول اننا مشرنا في بدروم المتزل على صندوق ويسكى فيه زجاجتان فقط خاليتان ، وزجاجة حبوب منومة .  
والظاهر انه بقي في هذا المكان المهجور مدة طويلة وتعرض وجهه للنهش — ربما من القطة . هل تعرف علامات في جسده يمكن بها ان تتعرف عليه ؟ ..

— لا اريد ان انظر اليه .  
— ومن يريد ؟ هل تعرف علامات ؟ ..  
— اذكرك وجود اثر جرح من اسلاك شائكة فوق ركبته اليسرى .  
ووشم قلب مثل هذا ، احدنااه ونحن صبيان بشفرة حلاقة وصبغناه بالحبر .. ان الوشم لا يزال ثابتا عندي ، كما ترى .  
— هل من علامات اخرى ؟ ..

— نعم . هناك ايضا اثر جرح كبير تحت ذراعه اليسرى .  
— اظن ان هذه كلها علامات كافية . ولا اظن اننا سنحتاج الى الذهب . سندع المحقق يتأكد بنفسه . وسيكون عليك ان تؤدي

الشهادة من هذه الجروح اذا كان هو داني تيلور .  
- ليكن . لكن لا تلغنى اراه ياستوني . انه كان ... انه كان  
صديقي ، كما تعرف .  
- بالتأكيد . قل لي يا ايثان . هل صحيح ما سمعته من  
ترشيحك لوظيفة ادارى البلدة ؟ ..  
- هذا خير جديد في سمى . هل يمكنك ان تبقى هنا دقيقتين ،  
ربما اميز الشارع وآتى بشراب ؟ ..  
- آه ! انت معلور . الذهب بصرمة . لا بد ان اجارى ادارى  
البلدة الجديد .  
وجئت بالشراب . وعندما اتصرف ستوني وضعت لافتة على  
المحل كتبت فيها « مغلق حتى الساعة الثانية » ، ثم اغلقت  
الابواب واسدلت الستائر .  
وجلست في محلى الجديد ، حليف وحدة موحشة تعصر قلبي .

## الفصل المشرون

في الساعة الثالثة الا عشر دقائق خرجت من باب المحل الخلفي ودرت حول الناصية ودخلت البنك من الباب الامامي . ولا رآني جومورني تطلع الي بتحفظ قائلاً :

- لكن أنكم عن داتي يا ايشان . انا اعرف انه كان صديقك الحميم .

- شكرا .

وعندما رآني مستر بيكر قال لي بهدوء :

- هل تظن لحظة يا ايشان ؟ ..

لم اجد فائدة من تأجيل المواجهة ، فدخلت الي مكتبه . واطلق

الباب . وبعد ان جلست قال لي :

- حادث محزون .

- نعم .

- انا متأكد انك كنت تنوي الخير بالنسبة له .

- كنت اظن انه سوف يستفيد من الفرصة

- بصرف النظر عن المأساة والخسارة ، هناك مشكلة . هل

تعرف ان كان له اقارب ؟ ..

- لا اظن .

- كل انسان عنده مال يكون له اقارب .

- لم يكن عنده مال .

- كان عنده الأرض الواسعة المتبقية من بيت أسرته المحترق .

- احقا ؟ .. أرض فضاء خربة ويدوم كالتقير ! ..

- اسمع يا ايشان . قلت لك من قبل اتنا نخطط لاقامة مطار

يخدم الاقليم كله . ان الأرض الفضاء مستوية السطح . واذا

نحن لم ننتفع بها فسوف نتكف الملايين لتمهيد مدارج للمطار بين

التلال . وحتى لو لم يكن له وريثة ، فسوف تنتقل المسألة الي

الحاكم ، وتضيع شهور .

- مفهوم . يحسن الآن ان اعود الي المحل .

- هو محطك الآن .
- احقا ؟ نسيت . اننى اتعود على هذا بصعوبة .
- نعم . تنسى . ان النقود التى اعطيتها له كانت نقود مارى .
- انها لن تراها بعد الآن . انك بعثتها .
- كان داني يود مارى . وكان يعرف ان النقود لها .
- ويكفيها هذا فخرا !
- انه فعل شيئا حسبه مزاحا . انه اعطاني هاتين الورقتين .
- وبرزت من جيبى الداخلى الورقتين المشهد عليهما ، وكنت اعرف اننى سأبرزهما يوما على هذه الصورة .
- بسط مستر بيكر الورقتين فوق مكتبه ونظر اليهما . رايت عضلات اذنيه تختلج وهو يقرأ . وبعد ان اعاد القراءة وتطلع الى ، رايت الخوف باديا في هيأته . لقد رأى امامه شخصا لم يكن يشعر بوجوده . ومضت فترة قبلما استطاع ان يتمالك ويتوازن ، فقال بلهجة واقعية :
- ما هو الثمن الذى تطلبه ؟ ..
- واحد وخمسون في المائة .
- من ماذا ؟ ..
- من الهيئة التى ستقوم بمشروع المطار ، او الشركة ، او سمها ما شئت .
- هذا مضحك .
- انت تريد مطارا . المطار الوحيد الصالح ملكى .
- راح يسمح زجاج نظائره . ونظر الى كل مكان حوله الا نحوى .
- واخيرا قال :
- هل تدبرت ما تفعله الآن يا ايشان ؟ ..
- نعم .
- وهل تشعر انك تفعل شيئا طيبا ؟ ..
- اظن ان شعورى كشعور الرجل الذى قدم له زجاجة ويسكى وحاول استدراجه لتوقيع الورقة .
- هل اخبرك بهذا ؟ ..
- نعم .
- انه كذاب .
- ربما . وربما كانت هذه الاوراق زائفة .
- وسحبتهما من امامه برفق وطويتهما واضدتهما الى جيبى فقال :

- هذه الوثيقة قانونية ، مؤرخة ، ومشهد عليها ، وواضحة .
- ربما كانت نيته ان يعطيك درسا اخلاقيا في التضحية والابثار .
- يا مستر بيكر . لم يوجد في اسرتي احد حرق سفينة ! ..
- سوف نتكلم يا ايثان . سوف تقوم بالعمل . سوف نكون
- اموالا . ان بلدة نامية سوف تثب الى العمران من حول الارض
- القضاء الخربة . اظن انه لا بد لك الان ان تصبح ادارى البلدة .
- لا يمكننى ياسيدى . ان هذا سوف يشكل تضاربا في المصالح .
- اناسا محزونين الان قد اكتشفوا هذا بعد فوات الاوان .
- تنهد ، وكانما خشى ان يثير كلامى شيئا يعتلج في صدره . ولم
- البت ان نهضت ووضعت يدي على مسند المقعد وقلت له :
- سوف تكون احسن حالا ياسيدى عندما تعتاد على الحقيقة
- الواقعة ، وهى اننى لست مقفلا سانجا يسهل ابتلاعه .
- لماذا لم تشركتى في اسرارك ؟ ..
- ان شريك الخفاء في خطر .
- اذن تشعر انك ارتكبت جريمة .
- لا . ان الجريمة هى التى ارتكبتها غيرى . لا بد لى الان من
- فتح المحل ، حتى ولو كان محلى الخاص .
- وكانت يدي على مقبض الباب عندما سألنى :
- من وشى بماروللو ؟ ..
- اظنك انت ياسيدى .
- فوثب على قدميه ، بيد اننى اغلقت الباب خلفى وعلت الى محلى

## الفصل الحادى والعشرون

كان بيت هاولى متللا بالأتوار والزخارف عندما علت . وعرفت ان المناسبة هي الاحتفاء بفوز الان في المسابقة القومية واعداد مشاء عائلى خاص لهذه المناسبة الفذة .

وعندما مررت بغرفة الان وفتحت الباب وجدته واقفا امام المرآة وقد اصطنع شاربا اسود صغيرا من الاصباغ وليس ربطة عنقى المنقطة . ولكنه ارتبك عند دخولى وقال معتبرا :

- اننى اتمرن على الدور .  
- الحقيقة يابنى اننى فى غمرة الفرح نسيت ان اقول كم انا فخور بك .

- هي ... هي مجرد بلابة .  
- بصراحة ، لم اكن اظن انك كاتب قدير مثل رئيس الجمهورية .  
اننى فى الحقيقة مندهش بقدر ما انا مسرور . متى ستقرا موضوعك امام العالم ؟ ..

- يوم الأحد ، الساعة الرابعة والنصف . وسأذهب الى نيويورك . ستقوم طائرة خاصة بنقلى .  
- حسنا . هي قفزة كبيرة فعلا اذ تكون واحدا من خميسة فى البلاد كلها .

وبدا يزبل الشارب . ورايته والدهشة تأخذ بمجامعى ان معه مجموعة كاملة من أدوات الماكياج .  
قلت له : حدث كل شيء لنا مرة واحدة . هل تعرف اننى اشتريت المحل ؟ ..

- نعم . سمعت .  
- حسنا . عندما تنتهى الضجة سأحتاج الى مساعدتك .

- ما قصدك ؟ ..  
- قلت لك قبل الان . لكى تساعدنى فى المحل .

- لايمكننى ان افعل هذا .  
- لايمكنك ماذا ؟ !

- متى مواعيد لأحداث إذاعية وتليفزيونية متعددة . وهناك مسابقة « فوازير » جديدة ساشترك فيها . وهكذا ترى اننى مشغول وليس عندي وقت .

ورش رأسه بسائل من مضخة شعر . فقلت له :  
- اذن فقد جددت لنفسك المستقبل ، اليس كذلك ؟ ..  
- هي مجرد بداية ، كما قلت لك .  
- لا أنوى أن اطلق كلاب الحرب هذه الليلة . سوف نتنافس في هذا فيما بعد .

- هناك شخص من محطة اذاعة « ن.ب.مى » حاول أن يتصل بك تليفونيا . ربما كانت المسألة متعلقة بعقد يريدون عمله معى ، لأننى دون سن الرشد .

- هل فكرت فى المدرسة يا ولدى ؟ ..  
- ومن يحتاج الى المدرسة اذا كان أمامه عقد ؟ ..  
أسرعت بالخروج وأغلقت الباب خلفى ، وفى الحمام أسرفت فى اتزال الماء البارد على جسدى لكى أكبح جماح غضبى الجائح . وعندما خرجت نظيفا لامعا متائقا متعطرًا بعطر ماري عادت الى سيطرتى على اعصابى .

وجلسنا الى الوليمة التى كانت حافلة بالدجاج المشوى والفطائر . وقد طلبت أن نشرب نخب « البطل » متمنيا له الحظ السعيد ، واختتمت مرددا :

« وبعد شتاء احزاننا الذى اكفهر واستطال

جاء الآن صيفها المشرق بمرض الآمال »

فقلت ايلين : هذا كلام شكسبير .  
- نعم . لكن من اية مسرحية ؟ .. ومن القائل ؟ .. وفى اية مناسبة ؟ ..  
فلم يرد احد .

وبعد ان ساعدت فى نقل الأطباق الى المطبخ قالت ماري التى كانت لاتزال تحت تأثير النشوة بعد ان لاحظت ضيقى الكامن :  
- لا تضايق نفسك . سيعرف كل شيء فى وقته . أرجو أن تكون صبورا معه .

ثم اضافت بعد برهة :  
- هناك رجل اتصل بك من نيويورك . اظن ان المسألة بخصوص

الآن . اليس من المثير أنهم سيرسلون اليه طائرة خاصة . اننى لا اكاد اصدق انك الآن مالك المحل . والجميع يتكلمون عن قرب اختيارك ادارى البلدة .

— لن يكون هذا . امامى مشروع اعمال سيجعل هذا مستحيلا .

انا مضطر للخروج الآن يا حبيبتي . عندي اجتماع .

— ربما يجعلنى هذا آتمنى عودتك بانما فى المحل . كنت وقتها

تبقي فى البيت كل ليلة . ماذا نقول للرجل اذا جاء مرة ثانية ؟ ..

— يمكنه ان ينتظر .

— انه لم يقبل هذا . هل ستتأخر ؟ ..

— لا اعرف . المسألة تتوقف على الظروف .

— خلا معك معظم الطر .

— بالتأكيد .

لبست قبعتى وخرجت الى الليل المظلم . كنت اريد الميناء القديم

و « المختلى » . فيهما عالم خاص اعيد فيه بين الموج والد ترويب

أفكارى واسوى شفت نفسى . وفى الطريق رايت الشرطى وبنى

جالسا فى سيارته فى دورته الليلية ، وما ان مرت به حتى

بادرنى قائلا :

— اسمع يا ايت . هناك شخص كان يبحث عنك . شخص فى

سيارة كروزر كبيرة لها سائق خاص .

— وما الذى يريد ؟ ..

— لا اعرف . سألنى ان كنت شاهدك . فلم اقل له شيئا .

— انت ستتحق هدية يا ولى .

— اذا رايت هذا الشخص ، فهل اقول له انك ستعود الى البيت ؟

— قل له ان ياتى الى المحل غدا .

— « كريبزلر امبريال » ، ابن اللثام ! طويلة فى مثل اللورى !

وصادفت جو مورفى واقفا على الرصيف امام مطعم ومقهى

فورماستر ، ينظر حوله مترددا متحيرا . فقلت له :

— فكرت انك ستذهب الى نيويورك لآخذ زجاجة مثلجة .

— الجو خائق ، ولم يساعدنى قلبى على ذلك . تعال ندخل

ونشرب يا ايثان . اننى أشعر بقم .

— الجو خائق لاساعدنا كما قلت .

— يا للنحس ! اذا ركب الانسان ، فلا مكان يلجئ اليه ، ولا

صديق يجالسه !



- يجتر بك أن تزوج .  
- وهنا يصعب الاتيس والبطيس ! ..  
- ربما كنت على حق .  
- بل على حق كل الحق . ليس في الدنيا من يماتى الوحده  
اكثر من المتزوج ! ..  
- وكيف تعرف ؟ ..

- اتنى اراقبهم . وامامى واحد منهم . ليس امامى الذن من  
جليس سوى ساقى البار . سوف اسرد فى سمعه الحلقات الكتيبة  
لحياة اعزب ضائع . ولن يمنحنى سمعه الا بحساب - او بالحساب  
الى اللقاء يا ايثان . اذهب فى رعاية الله . ههههه ما يقولونه فى  
المكسيك ! ..

ولم اكد ابتعد حتى لمحت السيارة الكريزرلر تنعطف وتقف عند  
ناصية بيت هاولى القديم - اى بيتى - وكان شكلها اقرب الى عربية  
الموتى منه الى سيارة لورى . كانت سوداء ولكن بغير لمان بسبب  
قطرات المطر ورشاش الشحوم المتطاير من الطرقات .  
عدت ادراجى وييمت شطر سيارة . فرأيت رجلا بقبعة سائق  
من خلال الزجاج الامامى . وعندما تقرت باصصامى على الزجاج  
اتحدر زجاج النافذة بحركة كهربائية ، وشعرت بلفح تكييف هواء  
يهب على وجهى .

قلت : انا ايثان هاولى . هل تبحث عنى ؟ ..  
وعلى الامر انفتح باب السيارة تلقائيا وخرج رجل نحيل اتيق  
التياب ، وقال لى :  
- انا دانسكومب ، مندوب تليفزيون بروك وشوين . اريد ان  
اسكلم معك .

ونظر الى ناحية السائق واردف :  
- ليس هنا . هل يمكن ان ندخل ؟ ..  
- اظن . امتقد ان الجميع ناموا . واذا تكلمت بهدوء ...  
وسرنا فى المشى الحجرى بين الحشائش المبتلة . وكان الضوء  
الليلى ينبعث من الصالة . ولما دخلنا اضأت نور مصباح القراءة  
فوق المقعد الكبير الخاص بى .  
كان السكون يسود ارجاء البيت ، ولكنه بدا لى سكونا غير  
طبيعى ، مشويا بالتوتر .

قلت له ❦

- لا بد ان المسألة هامة حتى تحضر في هذا الوقت المتأخر .
- هو هذا . اننا نريد أن نبقى هذه المسألة محصورة بيننا .
- ان هذه السنة كانت سنة عصيبة كما تعرف ، خصوصا بعد فضائح « الفوازير » وغيرها وما اقترن بها من تحقيقات لجان الكونجرس .
- لا بد لنا الآن أن نراقب كل شيء . هذه أوقات خطيرة .
- يودى أن تقول لى ماذا تريد ؟ ..
- هل قرأت الموضوع الذى كتبه « ابنك » فى مسابقة « احب امريكا ؟ .. »

- لا . لم اقرأه . انه أراد أن يفاجئنى .
- وهذا ما فعله . ولاأعرف كيف لم نضبطه ، ولكن هذا ما حدث .
- وسط أسمى ملقا أترق الغلاف وأردف :
- اقرأ ما تحته خطوط .

جلست فى المقعد وقتحت الملف . كانت الكتابة مطبوعة بألوان  
كاتبه شبيهة بحروف الطبعة . وقرأت ما يلى :

« احب امريكا »

« بقلم الان ايثان هاولى »

- « ما هو الانسبان الفرد ؟ ذرة ، تكاد لا ترى بشر عدسة »
- « مكبرة - مجرد نقطة فوق سطح الكون . لا حساب . له »
- « فى الزمن ولو قدر ثمانية بالقياس الى الأبدية التى لا بداية »
- « لها ولا نهاية لها ولا حصر لها ، قطرة من ماء فى الأعماق »
- « العظمى تتبخر وتبددها الريح ، ذرة من رمل سرعان ما تلتصق »
- « فى التراب الذى منه نجمت . فهل كائن بمثل هذا الصغر »
- « وهذه الضالة وهذا التلاشى وهذا الزوال يمكن أن يعوق »
- « الزحف الدائب لامة عظمى هى باقية على مدار أجيال وأجيال »
- « قادمة ، ويقف فى وجه كل تسلسل ممتد من اللرارى المنشققة »
- « من أصلابنا وسوف يدوم ما دامت الدنيا ؟ قتلنا لبلادنا كل »
- « الرعاية والاهتمام ، ولنرتفع بأنفسنا الى مصاف الوطنيين »
- « أولى العزة والنقاء والتجرد . ولنندرا عن وطننا كافة الأخطار »
- « المحدقة المهتدة . ما الذى نساويه - بل ما الذى يساويه أى »
- « رجل - إن لم يكن على استعداد ولم يبحث بإقبال التضحية »
- « بنفسه فى سبيل بلاده ؟ .. »

- رحت خلف الصفحات ، قرأت الخطوط اللونة بالقلم الرصاص  
شائعة فيها من اولها الي آخرها وقال لي الرجل :
- هل تعرف هذه الكتابة ؟ ..
  - لا . انها تبدو مألوفة . كانها من كتابة القرن الماضي .
  - هي كذلك . هي خطبة قائلها هنري كلاي ، عام 1800 .
  - ويأقئ الكتابة ؟ كلها من كلام كلاي ؟ ..
  - لا . هي مقتطفات متناثرة ، بعضها من دانييل ويسترن ،  
وبعضها من جيفرسون ، وبعضها من لنكون . ولست أعرف كيف  
اجتهد هذا كله . واعتقد انه بسبب الآلاف المؤلفه الواردة للمسابقه .  
الحمد لله اننا ضبطناها في الوقت المناسب .
  - لا يبدو ان هذا أسلوب صبي .
  - لا أعرف كيف حدث هذا . وكان يمكن ان يمر دون ان  
تلتفت اليه ، لو لم يصلنا البطاقه البريدية .
  - بطاقه بريدية ؟ ..
  - بطاقه بريدية مصورة ، بها صورة ناطحة السحاب « امباير  
ستيت بيلدينج » .
  - من أرسلها ؟ ..
  - شخص مجهول .
  - ومن أين أرسلت ؟ ..
  - من نيويورك .
  - دعني أنظر اليها .
  - انها محفوظة تحت القفل احتمالا لاية مشاكل . انت لا تريد  
ان تقوم مشاكل ، اليس كذلك ؟ ..
  - وماذا تريد ؟ ..
  - أريد ان تسمى الموضوع كله . ونحن من جانبنا سوف نسقط  
الموضوع كله وننساه ، اذا رغبت .
  - ليس هذا بالشئ الذي يمكن نسيانه بسهولة .
  - أقصد انه مطلوب منك أن تقفل فمك - لا تسبب لنا اية  
مشاكل . انها كانت سنة سيئة . في سنة الانتضابات يمكن أن  
ينبش أي انسان أي شئ .
  - أقفلت الملف وأمدته اليه ، وقلت :
  - لن اسبب لكم اية مشاكل .

- فاتفرج فمه عن أسنان لؤلؤية ناصعة ، وقال :
- كنت أعرف هذا . قلت لهم هذا . اننى تحريت عنك .
  - فوجدت سجلك طيبا . وانت من أسرة كريمة .
  - هل يمكن أن تذهب الآن ؟ ..
  - اننى أقدر مشاركتك .
  - أشكرك .
  - اننى لا أحب أن أذهب وانت غاضب . ان مهنتى هى العلاقات العامة . يمكننا الاتفاق على شيء ، مثل منحة دراسية ، أو شيء من هذا القبيل - شيء له احترامه .
  - لا . اذهب عنا فقط ، من فضلك .
  - سوف ندبر هذه المسألة .
  - وتركته ينصرف وعلت الى الجلوس واطفأت النور وجلست انصت الى البيت . كان يخفق مثل مثل قلب ، ولمه كان قلبى او صرير البيت العتيق . وبدأ لى أن اذهب الى دولاب الأسرة وأخرج «تعويذة الحظ» لاضعها فى يدى - بل وقتت لكى افعال هذا .
  - دلفت الى غرفة ايلين وأضأت النور . وجدتها مكورة تحت الغطاء ورأسها تحت الوسادة . ولما حاولت رفع الوسادة تشبثت بها حتى اضطرت لتزعها عنوة . فرايت خيطا من الدم يسيل من زاوية فمها .
  - قالت : انزلت فى الحمام .
  - ظاهر . هل أصابتك شئ جديدة ؟ ..
  - لا اظن .
  - بكلمات أخرى ، ليس ههنا من شأنى .
  - اننى لا أريد أن يأخذوه الى السجن ! ..
  - ووجدت الآن جالسا على حافة سريرى ، عاريا الا من بنطلون قصر . وبدت عيناه كمينى فار حوصر ، فاستعد لمقاتلة الكنسة .
  - الجبان القلر ! ..
  - هل سمعت كل شيء ؟ ..
  - سمعت ما فعله ذلك الجبان القلر .
  - وهل سمعت بما فعلته أنت ؟ ..
  - انبرى الفار المحاصر الى الهجوم ، قائلا :
  - وماذا يهم ؟ .. كلهم يفعلون ههنا .

- هل تؤمن بهذا ؟ ..
- إلا تقرا الجرائد ؟ .. كلهم حتى اكبر شخصية - ما عليك الا أن تقرا الجرائد . ان كنت متمسكا بالفضائل فما عليك الا قراءة الجرائد . لا يمكن أن احتمل ذنوب الجميع . أنا لا يهمني شيء . فقط ذلك المكان القلدر .
- استيقظت ماري . ورايتها جالسة على حافة فراش ايلين . انها صخرة عاتية ، لا تتأثر بشيء ، ولا تهتز من شيء . لا بد انها انصبت ايضا الى ما دار . وقالت لي :
- هل تأتي لىكى تنام يا ايثان ؟ ..
- ليس الآن ، يا حبيبتي .
- هل تخرج مرة ثانية ؟ ..
- نعم . لىكى اتمشى .
- أنت محتاج الى الراحة . لا يزال المطر يسقط . هل لا بد من خروجك ؟ ..
- نعم . هناك مكان امرقه . لا بد ان اذهب اليه .
- خذ معطف المطر . انك نسيته قبل الآن .
- نعم يا حبيبتي .
- لم اقبلها وهذا الجسد الصغير مكور فى الفراش . وانما لمست منكبها ووجهها ، فكانت كصخرة رابضة .
- ذهبت الى الحمام برهة لاخذ علبة شفرات .
- وما كدت اهم باخذ معطفي من الصالة امتثالا لما رى حتى فوجئت بايلين تتعلق بى وتلمس انفها الدامى فى صدرى وجسدها الفض يرتعد ، وقالت لى :
- خذنى معك .
- لا يمكن يا « عبيطة » . لكن اذا جئت معى الى المطبخ فسوف افسل وجهك .
- خذنى معك . انك لن تعود .
- ماذا تقولين ؟ .. طبعا سوف اعود . اننى اعود دائما الى البيت . اذهبى الى فراشك واستريخى . وسوف تشعرين انك احسن .
- فتعلقت بى من جديد واخذت تربت على ذراعى وتلمس قبضتها المكورتين فى خاصرتى وفى جيبي حتى خشيت أن تعثر على

التسفرات . كانت دائما بنية ملائمة ، متوددة ، مدهشة في أطوارها  
وتقلباتها . ولم تلبث فجأة أن تخلت عني ووقفت عن كتب مني  
رافعة الرأس شاخصة العينين بغير دموع . فقبلت وجنتها الصغيرة  
وشعرت بالدم المتجمد تحت ملمس فمي . ولم ألبث أن استدوت  
إلى الباب وأسرفت بالإشعاد . ولعلني هربت منها ومن ملوئى -  
خصوصا بعد أن سمعت خطواتها الرتيبة تهبط على السلالم .

## الفصل الثاني والمشروع

كان المد في ارضه باع .  
خضت في مياه الخليج الدافئة وتسلقت الى داخل « المختلى »  
والموج الوانى يدخل ويخرج معزقا نصفى الأسفل ونائرا من حولى  
ما لا عدد له من قناديل البحر الصغيرة التى كانت ذؤاباتها ملتصق  
بساقى وبتنى فتحررتى وتولنى .  
واستحال المطر الآن الى غلالة رقيقة كست النجوم ومصليح  
البلدة حتى بدت كصفحة مضيئة قائمة .  
وجاءت موجة أخرى فرفعت ساقى حتى شعرت وكانهما انفصلتا عنى .  
وشعرت بجسدى يلتهب تحت اللغات قناديل البحر . وعلى البعد  
لمحت سارية مركب صغيرة مارة ببرق ضوءها ، ثم ما لبث الضوء  
أن اختفى بابتعادها .  
لكن ضوء طروللو ما زال يلوحا لم ينطفئ . وضوء جدى  
الأكبر الكابتن هاولى ما زال سلطما .  
أما ضوءى فقد أفل وانطفأ . وليس أسود من ذبالة خامدة .  
وكم في الدنيا من حطام نفوس حالكة السواد بعد أن خبا منها  
كل ضياء .  
هناك وقت يمرض للمرء فيقرر فيه الانسحاب كزما مشرقا ،  
بعيدا عن كل أسلوب مأساوى أو ابتغاء معاقبة النفس أو الأسرة .  
مجرد وداع رفيق يقبه حملم دلقه أو شريعان مفتوح - مجردلقه  
أو شسفرة ماضية .  
واتدفعت الى الداخل موجة متعالية فرفعت ساقى وفخذى  
والقت بها الى جانب المختلى وانتزعت معطى في خروجها .  
ثم تدرجت على فخذى وامتلت يدى الى جيبي الجانبى للتمس  
طبة الشفرات حتى عثرت عليها . ومن عجب اتنى تذكرت اليدين  
لللافتين الحائيتين لتلك التى تفررتى بضياء محبتها ، وإذا يلى  
قد استعصى خروجها من جيبي الميتل . وشعرت كأنما اجتمع في  
هذه اليد كل ما في الكون من ضياء وسناء .

ثم دفعتني هجمة من الامواج واقت بي الى اقصى «المختلى». و  
زادت حدة الموج . ولم يكن بد من مغالبة المياه لكي اخرج ،  
وكان على ان اخرج من « المختلى » . فاخذت الانحرج وازحف  
واندفع واتخبط في مياه غطت صيدى ، الى ان دفعتني قلب  
الامواج الى جدار عتيق من كتب من المختلى .  
كان لزاما على ان اخرج . كان لزاما على ان اعيد التعويذة  
الى صاحبها الجديدة وحاملة الضياء المتجدد .  
والا خبا الضياء وانطفأت الشعلة .

تمت

مختلى - مورد الأريكة  
www.books4all.net



روايات الهيبلا  
تقدم الشهر القادم

معادة الأسرة

بقلم الكاتب الكبير

ليوتولستوى

ترجمة

مكتبة الوكيل

## هذه الرواية

ولد جون شتاينبك عام ١٩٠٢ في مدينة ساليانس بولاية كاليفورنيا الأمريكية . وبعد أن درس العلوم في جامعة ستانفورد باشر عددا من الأعمال المتعاقبة : عامل يدوي ، وصيدلي ، وحارس متسافر ( للبضائع أو الماشية ) ، وقاطف فواكه ، ومساح للأراضي . وفي عام ١٩٢٩ أصدر روايته الأولى : ( الكاس الذهبية ) ، عن مورجان القرصان . وكانت أشهر مؤلفاته هي روايته ( عنانيد الغضب ) التي صدرت عام ١٩٣٩ ، وقد منحت جائزة بوليتزر ، وتدور أحداثها حول أسرة من المهاجرين ذهبت تبحث عن العمل في كاليفورنيا ، وهي تضارع في تأثيرها القصة العالمية المشهورة ( كوخ العم توم ) . وتشمل رواياته الأخرى : ( شرق عدن ) ، و ( عن الفئران والرجال ) ، و ( اللؤلؤة ) ، و ( بريم الخميس الطوف ) ، و ( كاناري رو ) ، إلى جانب مجموعات من القصص القصيرة . وفي عام ١٩٦٢ منح جون شتاينبك جائزة نوبل في الآداب ، وقد توفي عام ١٩٦٨ .

